صوت الثورة

مجلة سورية شهرية شاملة - تصدر منتصف كل شهر عن التجمع الوطني الحرّ

العدد 2 - 15 تشرين الأول - اكتوبر 2013

اقتصاد:
صندوق سوري لإعمار سوريا

ملف العدد:
مؤتمر جينيف 2

الطريق إلى دمشق:
التحول الديمقراطي في سوريا 2 من 4

حوار العدد مع
سميح شقير

التغريبة السورية الكبرى

لوحة الغلاف: تمام عزام

فكر: جورج صبرة - د. بدر الدين عرودكي - د. محمد حبش - ثائر الزعزوع

سياسة: د. يحيى العريضي - سلام الكواكبي - ابراهيم الجبين - عبد القادر عبدللي - د. ممتاز الشيخ

يوميات السوريين: معركة القصير 2 - غوطة دمشق - حي الوعر في حمص

شعر: عبد القادر الحصني - فرج بيرقدار - فاتن حمودي - أحمد م أحمد - فؤاد م فؤاد

سينما: أطفال سوريا يصعدون إلى السماء - حسان عزت

بالتعاون مع مركز توثيق الانتهاكات في سوريا

الاسم	فهد علي عدنان (الخجا)
المحافظة	ريف دمشق
الجنس	ذكر - بالغ
الفئة	مدني
إسم الام	
العمر	52
الوضع العائلي	متزوج وله 6 اطفال وزوجته حامل
المنطقة	دوما
المهنه	
الرقم الوطني	
رقم الهويه	
تاريخ الوفاة	02-08-2011
مكان الوفاة	
سبب الوفاة	اعتقال - تعذيب
الرتبه	
معلومات اضافيه	اعتقل بتاريخ 31-7-2011 من قبل جهاز أمن الدولة إثر تواجده في مطبعة بدران بدوما الساعة الرابعة عصراً حيث تم اقتياده إلى فرع الخطيب التابع لجهاز أمن الدولة، جاءته نوبة اختلاجات عصبية نتيجة التعذيب فطلب زملاؤه في الزنزانة من السجانين إسعافه إلا أنهم لم يستجيبوا الا بعد مرور نصف ساعة حيث أخرجوه لفترة ساعتين من الزنزانة ثم أعادوه إليها وهو بنفس الحالة حيث توفي بعدها بلحظات

مجلة سورية شهرية شاملة
سياسية - فكرية - ثقافية
اقتصادية - اجتماعية
تصدر منتصف كل شهر
عن التجمع الوطني الحرّ
للعاملين في الدولة السورية

الإشراف:
المكتب الاعلامي
في التجمع الوطني الحرّ

مدير التحرير:
نجم الدين سمّان

مراسلون:
خولة دنيا
محمود الشرع
رشا عمران
عارف حمزة
حسين برو
يوسف الرشيد
فتون الوعرية
نجمة الصباح مصطفى

سكرتير التحرير:
عبد الله غبّاش

ايميل المجلة: tawasol_sy@yahoo.com
الموقع الالكتروني: http://syria-nass.com

الإخراج الفني:
مهيار الدمشقي

المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

التجمع الوطني الحر
للعاملين في مؤسسات الدولة السورية

ينطلق التجمع الوطني الحر للعاملين في مؤسسات الدولة السورية من الإيمان العميق بمشروعية الثورة السورية التي انطلقت لإنهاء مرحلة الاستبداد التي حرم فيها المواطنون من الحرية والكرامة، والتي اختطفت الدولة السورية لتصير دولة أمنية تحكم بالقمع والترهيب من فئة تهتم بمصالحها الشخصية، وبثرائها غير المشروع.

ولقد كنا نحن العاملين في الدولة، الرافضين لمظاهر الفساد وآلياته، نحاول إصلاح ما فسد ، لكننا نصطدم بجبروت الدولة الأمنية التي قبضت على الحكم ولم يكن متاحاً للجميع أن يغامروا بمواقف فردية تجر عليهم تهم الخيانة وتعرض أطفالهم وأسرهم لويلات باتت قاتمة ومخيفة بعد أن تم تقديم صور القمع المريعة في الثمانينيات .

ولأنا نعتبر أنفسنا عاملين في الدولة التي بناها أجدادنا منذ مائة عام، ولسنا أجراء عند نظام الحكم، فقد رفضنا العمل بأمرة هذا النظام المجرم، وخدينا غروره وجبروته، وأعلنا انضمامنا لثورة شعبنا، ووضعنا كل طاقاتنا وإمكاناتنا تحت تصرف الثورة، وانضوينا تحت مظلتها الرحبة عبر الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، وشكنا في إطاره هذا التجمع الوطني الحر للعاملين في مؤسسات الدولة، لنحافظ على بنية الدولة السورية، وعلى مؤسساتها، ولنستعد لمواجهة ما قد يحدث من فوضى واضطراب لحظة السقوط المرتقب للنظام، وقد ينهار فجأة فيحدث فراغ إداري نأمل أن يملأه على الفور العاملون في إدارات الدولة ومؤسساتها ممن سارعوا للانضمام إلى ثورة شعبهم، وجندوا طاقاتهم فيها .

ونحن نحاول في هذا التجمع لم شمل العاملين الذين انتشروا في بلاد الهجرة، والذين بقوا في عملهم يساندون الثورة، لتوظيف إمكاناتهم في بناء جسد الدولة القادمة .

وقد أعلنا منذ بداية تأسيس التجمع أننا لسنا حزباً سياسياً، فالهدف الذي نتوحد حوله هو إسقاط النظام، وانتصار الثورة، وتتويج الجيش الحر جيشاً وطنياً يحمي الشعب ويدافع عن حريته وكرامته، وسيبقى عملنا مكملاً لعمل الائتلاف الوطني، ومنسجماً مع إدارته وتطلعاته ، مستمداً من الشعب ومن ثورته المباركة طاقة حيويته ونشاطه ومعيار سلوكه وسعيه إلى أهدافه.

والله الموفق.

مجلس الأمناء

فهرس

الهوية الوطنية والمواطنة

جورج صبرة 26

المثقف والسلطة
قبل الحركات الثورية في العالم العربي

د. بدر الدين عرودكي 30

جيش السفياني
دمشق.. وقدر المحشر والمنشر

د. محمد حبش 38

إن كان لابد من جنيف 2

د. يحيى العريضي 56

المدرسة القديمة في الخارجية الهندية

سلام الكواكبي 62

افتتاحية العدد

المرأة السورية

د. اسمهان الأطرش

مما أدهشني وأذهلني في الثورة السورية ما حققته فيها المرأة من أعمال مبهرة، بدت امرأة مختلفة, مشحونة بحبها لوطنها, ثائرة في الساحات والشوارع, إلى جانب الشباب تهتف لحريتها وكرامتها. رأيتها امرأة تصنع التاريخ فهي الشهيدة وأم الشهيد وزوجة الشهيد وأخت الشهيد وابنة الشهيد فكم من خنساوات كن من نتاج هذه الثورة، والعالم يُكبر صبرها وماتحملته وماقدمته من خدمات فهي قاعدة هذه الثورة,ماأجمل أن ترى أن الشيئ الجميل في أمر عظيم جذوره أنثى!!!! رأيتها قوية,متماسكه, مبادرة,مكافحة ليست بحاجة إلى من يزكيها ويعطيها حسن سلوك، بهرتني المرأة السورية بطاقاتها العالية, وكفاءاتها المميزة, وإبداعاتها في العمل وتأمين لقمة عيشها, فكثير من النساء بلا معيل، فالمرأة هي المعيلة وهي تشكل وهج الثورة. ولكن السؤال ماذا فعلت منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية ومواثيقها التي تحتفل كل عام بيوم المرأة العالمي تجاه المرأة السورية وهي تُعذب وتُعتقل وتُهان ؟؟ أين قراراتكم وتوصياتكم في رفع الظلم والقهر عن المرأة؟ لذلك قررنا نحن النساء السوريات ألاّ نناشد أحداً وحسبنا أننا نصنع الحدث، ونجد الحل ماستطعنا الى ذلك سبيلا ,هكذا علمتنا الأحداث، نقول لكل الجبابرة والطغاة وللعالم أجمع إن الاصلاح الذي ننشده في هذه الثورة المباركة جاء ترجمة لمشاعر غضب وقهر وكبت، لقد حان الوقت للإصلاحات الجذرية لا الشكلية أو التجميلية في حياتنا السياسية، وأعيننا تتوق إلى نساء (فاعلات) لا(منفذات) نساء تضعن استراتيجيات وتتخذن قرارات، لا تبحثن عن مناصب تشريفية أو شكلية، فتحية إلى كل أم شهيد, وأخت شهيد, وزوجة شهيد, وابنة شهيد, ولكل أرملة, ومشردة ونازحة ولمن عانت وما تزال تعاني، تحية لك ياأماه, ياأختاه, يابنيتي أدعو الله أن يوفقنا جميعاً لتحمل شرف المسئولية، وندعو الله أن يكلل ثورتنا بالنصر القريب.

رئيسة المجلس النسائي

حَلَبُ.. التي تُعرَفُ من قَوافِلِهَا وأنوالِهَا

46

من حكايانا الحومصية 2 حكاية المؤذن الذي مات حزناً

42

الثورة وإعلام النظام

90

خف سندريلا: ثنائية الفراء والزجاج

110

نشاطات مكتب التجمع الوطني الحر.. في غازي عنتاب

تواصل – غازي عينتاب \ تركيا.

أجرى مكتب التجمع في غازي عينتاب وقام بعدة أنشطة خلال الشهر الماضي؛ ومن أبرزها:

1. الاجتماع مع رجال أعمال سوريين؛ للبحث في إمكانية إنشاء جامعة خاصة للسوريين في المناطق المحررة.

2. الاجتماع مع مجموعة من الأطباء السوريين لوضع خطة إعادة تاهيل للمشافي الحكومية في المناطق المحررة؛ وتحديد احتياجاتهامن كادر وأجهزة وأدوية.

3. الاجتماع مع السيد ياسر بطش (ماجستير في الصناعات الدوائية). تمهيداً لتشكيل لجنة تقوم بتحديد قائمة الأدوية الإسعافية اللازمة لكافة مناطق الصراع.

4. الاجتماع مع الأستاذ بسام قوتلي (ماجستير في إدارة الأزمات. مغترب من كندا). لبحث إمكانية استقدام فرع لجامعة غربية أو أمريكية إلى تركيا لحل مشكلة الطلاب السوريين. والعمل على دعم البحث العلمي للباحثين الاكاديميين.

5. الإجتماع مع مسؤول عن وزارة الخارجية التركية؛ تمّ فيه التعريف بالتجمع ونشاطاته منذ نشأته وحتى الآن. وبمكتب التجمع في غازي عنتاب وبمكوناته.

6. الاجتماع مع ممثل منبر الأناضول ومع رئيس وقف بلبل زاده؛ تم خلال اللقاء بحث انشاء فروع في الجامعات التركية تدرس باللغة العربية مستعينة بالاكاديميين السوريين. والمساعدة اللوجستية لطلابنا السوريين (تسهيل تسجيلهم. طعام. إقامة. منح. وكل ما يهمّ حياتهم اليومية ودراستهم....).

نساء في التجمع الوطني الحر

تمّ في غازي عنتاب (التركية) تشكيل المجلس النسائي السوري بحضور رئيس التجمع الوطني الحر الدكتور رياض حجاب وحضور مجلس الأمناء .

وقام المجلس النسائي بانتخاب الدكتورة اسمهان اطرش رئيسة للمجلس النسائي، كما تم انتخاب أمينة سر ومسؤولة مالية للمجلس وممثلة لرئاسة المجلس في التجمع. وأوضحت المشاركات أن أهداف المجلس هي نصرة الإنسانية التي تستغيث تحت وطأة أعتى نظام همجي بربري عرفه التاريخ، ومهمة المجلس النشائي المشاركة في التخيف من معاناة المرأة السورية جراء ما أصباها من ويلات النظام الأسدي سواء كانت في الداخل أم في بلد النزوح فهي إما أم شهيد أو زوجة شهيد أوأخت يتيم أو معاق وسيقدم المجلس الدعم المادي والمعنوي عبر إنشاء مشاريع انتاجية صغيرة للنساء النازحات داخل المخيمات وفي الداخل السوري وذلك للإادة من طاقاتهن ولتحسين وضعهن المعاشي.

وقد تم انشاء مشغل للخياطة والنسيج ضمن مخيم باب الهوى الحدودي بإمكانات بسيطة كبداية وسيعرض إنتاج المشغل في مدينة الريحانية، وقام المجلس االنسائي بإجراء دورات تثقيفية وتوعوية ونفسية لنساء المخيم. وقد تمّ تبنّي دورة تمريضية من قبل المجلس في منطقة جبل الزاوية وبالتحديد في مدرسة كنصفرة لتخريج ممرضات قادرات على التعامل مع مختلف الإصابات من جروح وحروق وكسور واختناق وإتقان الرعاية الطبية المنزلية للجرحى المصابين. كما تمّ إعطاء دعم مادي رمزي لبعض الأسر ذات العوز الشديد كحالة إنسانية إسعافية؛ وقام وفد من المجلس بإجراء زيارات ميدانية برئاسة رئيسة المجلس لحوالي أكثر من خمسين عائلة ذات العوز الشديد؛ وتمّ توثيق تلك الحالات على أمل إيجاد بعض الجهات الداعمة لهن. ولكون رئيسة المجلس طبيبة نسائية فهي تقوم بالإشراف الطبي وبشكل دوري على النازحات القادمات من منطقة اريحا واللواتي تعرّضن مؤخراً لأقسى أنواع العنف وتم تقديم بعض المساعدات العينية لهن. كما تقوم الدكتورة اسمهان بتوثيق بعض حالات العنف الجنسي الذي تعرضت له بعض النساء لتقديمها إلى المحاكم القانونية العادلة. ويتم انعقاد المجلس دورياً.

و في خطة عمل المجلس عدة مشاريع منها: مشروع الإنتاج الغذائي الذي سيؤمن بعض احتياجات النازحين الفقراء وتشغيل ما أمكن من نسائنا المحتاجات في مدينة الريحانية وفي المخيم وفي الداخل السوري ماأمكن ويحتوي المشروع على تحضير مواد غذائية تقدم لمحتاجين. كما تمّ أخذ موافقة رئاسة بلدية الريحانية على تصنيع وإدخال المواد الغذائية من وإلى الداخل السوري؛ وقد عبّرت السيدة رئيسة المجلس عن الشكر والتقدير للحكومة التركية لما تُقدّمه من تسهيلات لإنجاز مايمكن إنجازه لعون النازحين. كما قام المجلس بإعداد دورات تعليمية للصفوف الدراسية الإعدادية والثانوية لطلاب جبل الزاوية بسبب تعرض مدارسهم للقصف.

وتطلب المشاركات في المجلس من كل الجهات المعنية تقديم دعم مادي ومعنوي من أجل تطوير عمل المجلس وتمكينه من تقديم عون أكبر للنازحين الذين يعانون مأساة إنسانية مفجعة.

المجالس المهنية للتجمع الوطني الحر

في الإطار المتابع لهيكلية التجمع بمايلبي احتياجاته و يحقق تطلعاته و أهدافه و بغية الاستيعاب الأمثل لنطاق العضوية ولتعدد الاختصاصات والكفاءات والخبرات التي رفدت التجمع بإعداد متزايدة حتى تاريخه رأى مجلس الأمناء في التجمع ضرورة التقطير الإختصاصي والمهني لاعضائه فاستحدث آلية المجالس المهنية ليمارس كل عضو بالتجمع دوره في إطار مهنته وخبرته والذي يشكل بحد ذاته مقدمة ضرورية لحماية أجهزة الدولة من التداعي والسقوط من خلال الحرب المجرمة والشاملة التي يشنها النظام على شعبه والتي من شأنها أن تهدد بالنتيجة أو أن تقوض كيان الدولة .

من هنا عقدت في الفترة الواقعه ما بين -22 30 / 7 / 2013 اجتماعات عدد من المجالس المهنية والتخصصية التي تقرر أحداثها في تركيا (اسطنبول - غازي عنتاب) تم من خلالها انتخاب هية ادارية لكل مجلس و استشراف آفاق عمل المجالس حالياً على صياغة وافعية لعمل الاجهزة القضائية بالمناطق المحررة و استحداث المحاكم الضرورية لإحقاق العدالة والقانون والفصل في المنازعات و الخلافات الناشئة .

وقد باشرت بعض المحاكم عملها فعلاً كما يقوم المجلس بتوثيق جرائم و انتهاكات النظام وقد قطع شوطاً بعيداً في هذا المجال وهو يواصل عمله في الداخل السوري ولديه عدة مكاتب و مراكز تواصل (وسوف ننشر فيما بعد تقريراً مفصلاً عن أهم نشاطات المجلس و نوافيكم تباعاً بأخبار فعالياته) كما ألتئم غازي عنتاب مجلس المحاسبة والمساءلة والرقابة المالية وقد أقر خطة طموحه لرصد الانتهاكات و المخالفات و مظاهر الفساد المتفشي الذي ينتهجه النظام بمختلف تفرعاته وتشكيلاته وسيمارس المجلس إذ إنه يضم عدداً كبيراً من المفتشين والمراقبين عمله القريب على المؤسسات الحكومية في المناطق المحررة وسيشمل هذا العمل التفتيشي على الأداء المالي لهيكلات الثورة كما سيسعى المجلس إلى استجلاء الصورة الرقابية في سوريا ككل

و سيتواصل في مهامه هذه مع الأجهزة الرقابية الدولية ملتزماً المصداقية و الشفافية , وإدراكاً من التجمع لأهمية دور المرأة في نصرة الثورة و تضحياتها الجسيمة فقد استحدث مجلس للمرأة أغلب أعضائه من الأخوات المقيمات في الداخل والمخيمات وقد لوحظ في عمل المجلس نشاطات تهدف إلى تفعيل هذا الدور وإعطائه بعداً واقعياً حركياً رافداً للعمل الثوري وسيتولى المجلس القيام بحملات توعية للمرأة واستحداث مركز للأخوات المغتصبات نفسياً و اجتماعياً و انتاجياً .

و هذا بالتالي يعزز دور التجمع في رعاية الطفولة و الأمومة و رعاية الأطفال و إيجاد المناخ الملائم لتطوير قدراتهم و فعالياتهم لبناء المستقبل المرجو .

كما تم تأسيس مجلس للعاملين في المجال الطبي والذي باشر فوراً العمل الطبي الاغاثي و يسهم بشكل فاعل إلى تقديم الاسعافات و المواد الطبية اللازمة لعلاج الجرحى في الداخل أو نقلهم للعلاج خارج القطر و قد تم تجهيز بعض المشافي الميدانية و المتمركزة بالأجهزة و المعدات الطبية و المواد الصيدلانية و الدوائية و ثمة سعي جاد لتشمل مساعدات المجلس جميع المحافظات السورية دون استثناء وعلى مجلس التعليم العالي والبحث العلمي تقرر استحداث مجلس للدراسات يضم خيرة الباحثين و رجال العلم السوريين لإعداد الدراسات والأبحاث المطلوبة وفق أسس التنهيج العلمي و التي تتنازل مختلف نواحي العمل الثوري و بناء الدولة على أسس عصرية متقدمة وقد تم تأطير عمل اعضاء مجلس شعب المنشقين في مجلس البرلمانيين و تم استضافة الخبرات السورية من الخارج في مجال العمل البرلماني و تم الاتفاق مع بعض المنتديات البرلمانية الدولية و على الأخص منظمة البرلمنت في المانيا لتنظيم دورات اطلاعية و تدريبية للعمل البرلماني في سوريا الغد كأعضاء برلمان أو كجهاز وظيفي ولقد أسهم الدبلوماسيون بقسط وافر بتزويد هيكليات الثورة بالدراسات و الاستشارات اللازمة (الائتلاف و غيره) للتواصل مع المنظمات الدولية و خاصة مجلس حقوق الإنسان و سيواصل مجلس الدبلوماسيين لدى التجمع هذا العمل الهام في إطار مركز للدراسات افتتح مؤخراً في مقر التجمع و سيعلن المجلس على ايجاد الصيغ الناجعة لآليات التواصل الدولي و تصويب أشكال التعاطي الصوري مع المنظمات و المحافل الدبلوماسية هذا وقد تم تشكيل عدد آخر من المجالس المهنية و لازال بعض المجالس قيد التشكيل و لا يفوتنا ان نعرج على أهمية مجلس الادارة المحلية و الذي يضم شريحة واسعة و منتوعة من العاملين في الدولة و نشير إلى أن المجلس بصدد تقديم معونات إغاثية خدمية مباشرة إلى المحافظات السورية (سيارات اطفاء - وحدات تنظيف - مطاحن) و نعيل لذلك أهمية كبيرة في ظل تردي الوضع الخدمي في الداخل من جراء القصف التدميري الوحشي الذي يمارسه النظام على الاراضي السوريةو الذي أفضى إلى تدمير شبه كامل للبنى التحتية في بعض المناطق و المحافظات .

خطة التحول الديمقراطي في سوريا

2 من 3

رضوان زيادة
مدير المركز السوري
للدراسات السياسية والاستراتيجية

إصلاح النظام الانتخابي والحزبي:

تعتبر سوريا من أوائل الدول العربية التي اعتمدت الخيار الديمقراطي متمثلاً بإجراء انتخابات شعبية من أجل تمثيل المجتمع في السلطة، رغم أن الانتخابات بحد ذاتها لم تكن تعني دوماً استقراراً سياسياً أو ديمقراطية حقيقية. و قد بدأ انتهاج الانتخابات في سوريا بشكل مبكر جداً، أي أنه في عام 1919 تم إجراء أول انتخابات و ذلك خلال المؤتمر السوري العام و الذي أعلن إثره عن تشكيل الدولة السورية و التي كانت حينذاك دولة ذات نظام ملكي نيابي. ثم جرت انتخابات شعبية لأول مرة و هي انتخابات المجلس التأسيسي أو الجمعية التأسيسية و التي وضعت دستوراً للبلاد و ذلك عبر قانون انتخابي اقتضى أن تتم الانتخابات على درجتين، بحيث ينتخب المواطنون ممثليهم في دوائر صغيرة مثل الأحياء و القرى، و يقوم هؤلاء الممثلين في مرحلة ثانية بانتخاب ممثلي المحافظات، و قد أعطى القانون كوتا خاصة بالعشائر و بالأقليات الدينية و الطائفية، غير أن المجلس الذي كان ذا طابع ثوري و تحرري من الانتداب الفرنسي حل من قبل سلطة الانتداب.

في عام 1953 جرى استفتاء شعبي على دستور وضع إثر انقلابين عسكريين قام بهما أديب الشيشكلي عامي 1950 و 1951، في جو بدا فيه أن حالة الانفتاح السياسي و الجو الديمقراطي في سوريا قد زالت. غيّر الدستور الأخير من شكل الدولة السورية محولاً النظام إلى نظام رئاسي ليفوز الشيشكلي و بنسبة فاقت 90% برئاسة الدولة قبل أن تتم انتخابات برلمانية فاز بها حزبه. بعد ذلك بعام و إثر الإطاحة بانقلاب الشيشكلي جرت انتخابات ديمقراطية بقانون انتخابي سمح للمرأة بالترشح لأول مرة. في عام 1957 جرت انتخابات تشريعية تكميلية في عدد من المحافظات و كان ذلك بقانون انتخابي جديد اعتبر فيه التمثيل على أساس النظام الأكثري من مرة واحدة، إذ أن القانون الذي سبقه كان يشترط فوز المرشح ب40% من الأصوات لكي ينال المقعد و لو اضطر للإعادة الانتخابات أكثر من مرة. و جرت انتخابات عام 1961 بذات القانون مع زيادة المقاعد العشائرية.

الطريق إلى دمشق

ثم تطورت الحالة السياسية في سوريا بشكل كبير ديمقراطياً بإعلان وقف قانون حالة الطوارئ و قام المجلس التشريعي بوضع إصلاحات كبيرة على النظام الانتخابي و السياسي في سوريا و حدد موعداً مبكراً للانتخابات و ذلك في شهر تموز من عام 1963، إلا أن انقلاباً حدث في الثامن من آذار لعام 1963 قتل الحلم الديمقراطي و الانفتاح السياسي لأربعين عاماً تلت.

إثر الانقلاب الأخير أعيدت حالة الطوارئ و أغلقت الصحف المستقلة و ألغيت الأحزاب السياسية، قبل أن يتم الاستفتاء على الرئاسة عام 1971 و الدستور عام 1973 ليفوز بالرئاسة حافظ الأسد و بنسبة موافقة تجاوزت 99% و ليتم اعتماد دستور جديد و هو ما يعرف بالدستور الدائم لعام 1973 و الذي شرعن سيطرة الرئيس و حزبه على الدولة بشكل تام.

لم تشهد سورية انتخابات ديموقراطية حرة منذ استيلاء حزب البعث على السلطة إثر انقلاب الثامن من آذار. وعندما كانت تجري انتخابات على المستويات الثلاثة - الرئاسية و البرلمانية و المحلية - كان الهدف هو إضفاء جو بروتوكولي احتفالي على نتائج مقررة سلفاً بسبب الأنظمة و القوانين التي جرت صياغتها بطريقة لا تؤدي إلا إلى نتيجة واحدة و هي فوز مرشحي السلطة. لا بل لم تعد هناك حاجة لاجراء انتخابات فيما يتعلق بموقع الرئاسة، إذ نص دستور عام 1973 في مادته الثامنة على احتكار البعث للسلطة من خلال تكريسه حزباً قائدا للدولة و المجتمع . و عليه تقوم القيادة القطرية للبعث باختيار مرشحها للرئاسة ليجري الاستفتاء عليه شعبياً. و لم يفز المرشح الوحيد خلال الثلاثين عاما التالية و هو الرئيس حافظ الأسد في أي مرة بأقل من 99 بالمائة من الصوت الشعبي .

أما الانتخابات النيابية فقد حرص البعث أيضا على تفصيل نتائجها بطريقة تسمح له بالسيطرة على السلطة التشريعية إلى جانب السلطة التنفيذية من خلال تخصيص نصف مقاعد البرلمان سلفاً لمرشحيه تحت اسم «مقاعد العمال و الفلاحين». و ينطبق الشيء نفسه على قوائم الانتخابات للمجالس المحلية و حتى على انتخابات غرف الصناعة و التجارة والتي كان يفترض أن تكون لها خصوصية مرتبطة بطبيعة النشاط الصناعي و التجاري. فيما يجري تشكيل لائحة من حلفاء السلطة من رجال الأعمال لخوض انتخابات غرف الصناعة و التجارة لضمان السيطرة على نشاطاتها و منع ظهور نفوذ لأي جهات لا يكون ولاءها مضمون بالكامل.

أما الأحزاب فكانت بالمجمل محظورة فضلاً عن أن يسمح لها بخوض الانتخابات، و باستثناء أحزاب صغيرة ملحقة بماكينة البعث في إطار ما كان يسمى «الجبهة الوطنية التقدمية»، أو ما يطلق عليه السوريون تندراً «أحزاب الميكرو باص» كناية عن صغر حجمها و قلة تأثيرها، لم تعرف سورية الحياة الحزبية بما يسمح بخلق بيئة سياسية تنافسية تسمح بتداول السلطة شأن المجتمعات التعددية.

أما الجهة المناط بها الإشراف على الانتخابات وفق القانون فكانت وزارة الداخلية التي كانت حريصة كل الوقت على أن تكون النتائج متوافقة مع ما تبتغيه السلطة التي تمثلها. وبهذا تمكنت السلطة من تقييد الحياة السياسية و الحزبية بطريقة جعلت معها من المستحيل إجراء انتخابات تعددية بطريقة حرة و نزيهة و تضمن تمثيلاً لأوسع فئات المجتمع.

شكل هذا الوضع السياسي جزءاً من الصورة العامة التي أدت في نهاية المطاف إلى اندلاع الثورة السورية، التي تسعى من بين ما تسعى إلى تحقيقه الانتقال من النظام الشمولي- العائلي إلى النظام التعددي - الديموقراطي، مع ما يتطلبه ذلك من إعادة النظر بمجمل القوانين و الأنظمة التي كرست هيمنة الحزب الواحد.

مع نهاية العام 2011 ومع تزايد الضغوط المحلية و الخارجية لإيجاد حل للأزمة، قام بشار الأسد بإصدار قانون جديد للانتخابات كجزء من حزمة «إصلاحية» شملت أيضا إصدار قانون للأحزاب ووضع دستور جديد للبلاد. و لما كان الهدف هو إعطاء الانطباع بأن النظام يسير في طريق الإصلاح، فإن التغييرات التي أدخلت على هذه القوانين، ومنها قانون الانتخابات، ظلت أسيرة العقلية نفسها التي سادت خلال النصف قرن المنصرم من حكم البعث. فبالرغم من أن القانون الجديد أعطى دوراً أكبر للقضاء في الإشراف على العملية الانتخابية، إلا أنه أبقى قضايا كثيرة مهمة في يد السلطة التنفيذية. فقد نص القانون الجديد مثلاً على تشكيل «لجان الترشيح» الموكلة بالبت بطلبات الترشيح بناء على اقتراح المحافظ في كل دائرة انتخابية، و كذا تشكيل اللجان الانتخابية بقرار من المحافظ في كل مركز انتخابي، وجعل

رئيسها من العاملين المدنيين في الدولة، ومنحه صفة الضابطة العدلية طيلة مدة الاقتراع. وهذا يعني أن هاتين اللجنتين تقعان فعلياً تحت سيطرة السلطة التنفيذية. كما نص على أن يتقدم المرشح لعضوية مجلس الشعب بطلب خطي إلى المحافظة، على أن يتولى المحافظ إحالة الطلب خلال (24) ساعة إلى لجنة الترشيح، ما يعطي المحافظ سلطة لا يجب أن تكون له. و كذلك اشتراطه لعقد الاجتماعات الانتخابية إخطار وزارة الداخلية أو أي من وحداتها الشرطية قبل عقد الاجتماع بأربع وعشرين ساعة على الأقل، في حين أن مثل هذه الإجراءات لا تعتبر ضرورية في المجتمعات الديموقراطية إذا كان الحزب السياسي مرخصاً.

كما كرس القانون الجديد اعتماد المحافظة كدائرة انتخابية واحدة، و أقرّ المبدأ الأكثري في التصويت، الأمر الذي يتيح لحزب السلطة وحلفائه في الجبهة الوطنية التقدمية وعبر التحالف مع كبار رجال الأعمال المحسوبين على النظام التحكم في مسار الانتخابات، ويحرم الأحزاب الجديدة من الاستفادة من الخصوصية السورية المتنوعة طائفياً و مذهبياً، ويحرمها أيضاً من قطف ثمار التضحيات التي قدمتها لتحقيق التغيير.

كما أقر القانون التقسيم القديم المعمول به للمرشحين إذ قسمهما إلى قطاعين، أحدهما العمال والفلاحون والثاني بقية فئات المجتمع، و لطالما استغل البعث هذا التقسيم لتمرير مرشحيه عبر قوائم العمال و الفلاحين باحتكاره الفعلي لها وحصر تمثيلها به. كما أجاز القانون للوزراء أن يرشحوا أنفسهم لعضوية مجلس الشعب مع استمرارهم بمناصبهم، ما يعني أن هؤلاء يمكن أن يستغلوا مناصبهم و الموارد العامة التي تقع تحت سلطتهم خدمة لحملاتهم الانتخابية.

لهذه الأسباب و غيرها كان لا بد من وضع قانون انتخابي جديد يواكب التغييرات التي جاءت بها الثورة و حجم التضحيات الكبيرة التي قدمتها وبما يحقق انتقال سورية إلى نظام سياسي يتم فيه انتخاب أعضاء الهيئات العامة من قبل الناخبين من خلال انتخابات حرة ونزيهة تقوم على أساس التعددية السياسية و الحزبية و المنافسة المتكافئة بين مختلف الاطراف.

يجب اعتماد نظام التمثيل النسبي في الانتخابات العامة التشريعية والمحلية لأنه يشجع من جهة على تنافس الأحزاب، و يؤدي من جهة أخرى إلى إعطاء فرصة أكبر للأفراد الذين يحوزون

الطريق إلى دمشق

أكبر نسبة تأييد ضمن القائمة الحزبية، و بمقدار ما يحقق النظام النسبي تمثيلا أوسع و أكثر عدالة لمختلف فئات المجتمع و يساعد على تحقيق أكبر قدر ممكن من الإجماع الوطني خاصة في مرحلة كتابة الدستور و تحقيق المصالحة الوطنية في مراحل ما بعد الصراع، إلا أنه لا يخلو من عيوب أهمها حصول اختناقات في سير الأعمال التشريعية وما ينتج عن ذلك من صعوبة في اتخاذ القرارات و تنفيذها، نتيجة وجود أحزاب عديدة و مختلفة يعصب التوفيق بين رغباتها ، ويمكن تجنب ذلك بفرض عتبة انتخابية (نسبتها 2%) من مقاعد مجلس النواب (البرلمان) على الأحزاب التي يسمح لها بالدخول إلى المجلس مما يحد من تفتت الأصوات وتشتتها ويسهل تأليف الحكومة.

يهدف القانون الانتخابي المقترح إلى إجراء انتخابات أولية خلال المرحلة الانتقالية يتحقق فيهما شرطا الحرية والعدالة للشعب السوري، و بما يسمح بكتابة دستور جديد. و يجب أن تؤدي هذه الانتخابات إلى فرز جمعية دستورية ذات تمثيل شعبي واسع تشرف على وضع الدستور المستقبلي لسورية و تعمل كهيئة تشريعية مؤقتة خلال الفترة الانتقالية.

يجب أن يتضمن الدستور الجديد الذي جرت الموافقة عليه من قبل الشعب مواد و فقرات تتناول كيفية تغيير النظام الانتخابي المؤقت، حيث يجب أن يحدد الدستور كيفية الانتقال لكل الانتخابات المستقبلية التالية.

كما يجب أن تراعي الاقتراحات المتعلقة بالنظام الانتخابي القواعد الدولية السائدة وأفضل الممارسات المطبقة في الانتخابات الديموقراطية، بما فيها تلك التي تلحظها مختلف الوثائق الصادرة عن الأمم المتحدة مثل «الشرعة الدولية للحقوق المدنية و السياسية» لعام 1966، و خاصة الفقرة رقم 25 التي تنص على الحق في المشاركة في الشأن العام، و حق الانتخاب و حق التمتع بالوصول إلى الخدمات العامة.

إن النظام النسبي هو النظام الانتخابي الذي يضمن أوسع نسبة مشاركة ممكنة في الجمعية التأسيسية و ذلك بحكم طبيعة هذا النظام الذي يسمح بمشاركة كل من يفوز بنسبة معينة من الأصوات حتى و لو كانت قليلة، خصوصاً إثر ثورة شعبية قام بها كل مكونات الشعب السوري.

ورغم أن النظام النسبي يحتاج من أجل تطبيقه إلى بيئة ديمقراطية فيها تعددية حزبية في وقت تخلو سوريا من ذلك، إلا أن هذه الانتخابات تعد فرصة حقيقية لبناء ديمقراطية قوية تتطور مع تراكم الاستحقاقات الديمقراطية، كما أنها ستشكل خارطة أولية للكيانات الحزبية في سوريا.

كما أن النظام النسبي يمنع بشكل كبير سيطرة تيار أو حزب ما على الجمعية التأسيسية بحكم طبيعته التي تفرض مشاركة الجميع، وحتى لو رأى البعض في هذه النقطة بالذات سلبية بحيث أنه ربما يكون تنوع المكونات في المجلس التأسيسي سبباً في الاختلافات و صعوبة التوافق على القرارات فإن هذا بحد ذاته أدعى للقبول بالنسبية و نقل الاختلافات إلى داخل المؤسسات الدستورية بدلاً من أن يكون مكانها في الشارع، إضافة إلى أن هذا الجو الخلافي داخل مؤسسة الجمعية التأسيسية على سبيل المثال سيكون منطلقاً لتطوير الحياة السياسية و مكاناً رسمياً لتبادل وجهات النظر السياسية المختلفة.

كما يقترح القانون اعتماد القوائم المفتوحة بدلاً من القوائم المغلقة، بحيث يحق للناخب اختيار قائمة معينة و اختيار مرشحه المفضل ضمن القائمة، و ذلك بسبب حداثة التعددية الحزبية في سوريا، مما قد لا يعطي فرصة كافية للناخب للاقتناع بقائمة ما و قد يرغب بالتصويت لشخص معين يثق به بشكل أكبر مما يعطي فرصة أعلى للمستقلين، و يمنح الناخب فرصة أعلى لاختيار ممثله.

لم يضمن هذا النظام المقترح أي حصص خاصة بطوائف و مذاهب دينية أو أصول عرقية معينة، و ذلك لتكريس مبدأ المساواة و نبذ فكرة الفصل الديني و التقسيم الطائفي بين مكونات الشعب السوري، كما أن نظام التمثيل النسبي يضمن إلى حد كبير مشاركة أوسع لكافة أطياف المجتمع السياسية، غير أن هذا النظام يشمل كوتا انتخابية تضمن تمثيلا مقبولاً لكلا الجنسين في الجمعية الدستورية و ذلك لضمان مشاركة فاعلة و حقيقية لكلا الجنسين، و الهدف الحقيقي من ضمان مشاركة حقيقية لكلا الجنسين هو ضمان مشاركة حقيقية و فاعلة للمرأة السورية في الحياة السياسية، كون المشاركة الفاعلة للمرأة تساهم في إعطاء نظرة جديدة و رؤية مختلفة للعديد من القضايا مما يساهم فعلياً في رفع مستوى القرار السياسي في الدولة.

و بحسب النظام الانتخابي المقترح ، و الذي حدد عدد الدوائر الانتخابية بإثنين و ثلاثين دائرة، و بتطبيق الآليتين السابقتين في تشكيل القوائم الانتخابية و اختيار الفائزين في الانتخابات، فإن الحد الأدنى لمشاركة أي جنس من الجنسين في المجلس التأسيسي سيكون 85 ممثلاً أو ممثلة على الأقل.

كما أن القانون الانتخابي المؤقت يجب أن يتضمن إشارة واضحة تشجع الأحزاب السياسية على تقديم مرشحين من ذوي الاحتياجات الخاصة، وأن يكون وجودهم ملحوظاً و في أعلى قوائم المرشحين في الانتخابات. بعبارة أخرى، يجب أن تتضمن الوثيقة الدستورية المؤقتة فقرة تنص على إضافة ما بين مقعدين الى ثلاثة مقاعد للجمعية الدستورية المؤلفة من 290 و ذلك للأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة يتم انتخابهم وفق آلية تضعها الهيئة العليا المستقلة للانتخابات بالتعاون مع ممثلي المجتمعات الأهلية.

يجب أن تكون العمليات الانتخابية خلال المرحلة الانتقالية محددة و متضمنة تفاصيل إجراءها بوثيقة دستورية مؤقتة يتم وضعها من قبل الجمعية الدستورية التي تعمل كهيئة تشريعية مؤقتة تمثل الشعب السوري. و يجب أن تحدد الوثيقة الدستورية المؤقتة، والمصادق عليها من قبل الجمعية، القواعد العامة المرتبطة بإجراء الانتخابات و الاستفتاء المقترح على الدستور. و يجب أن تتضمن هذه القواعد أمور أساسية مثل ماهية النظام الانتخابي المقترح، إنشاء هيئة مستقلة عليا للانتخابات، إنشاء آلية لفض المنازعات الانتخابية بإمكانها أن تنظر في الشكاوى، معايير كفاءة الأحزاب السياسية و المرشحين و الناخبين، و الحقوق الديموقراطية الأساسية للسوريين.

إعادة هيكلة الأجهزة الأمنية

يذكر السوريون أن بداية صعود الأجهزة الأمنية وتدخلها في الحياة السياسية والاجتماعية كان مع استلام عبد الحميد السراج قيادة الأجهزة الأمنية ومن ثم وزارة الداخلية في الإقليم السوري إثر الوحدة مع مصر بين عامي 1958 و1961 حيث تكرس دور الاستخبارات والأجهزة الأمنية وبدأت ببسط نفوذها على المجتمع.

كان واضحاً صعود «اللجنة العسكرية» داخل جهاز حزب البعث التي أصبح لها فيما بعد دوراً حاسماً في تقرير من يستلم السلطة ويتحكم بها، ولذلك فإن دور المؤسسة العسكرية نما بشكل أعاق تطور المؤسسات المدنية وشلّ عملها في بعض الأحيان كما حصل مع الانقلابات العسكرية المتتالية التي حصلت خلال التاريخ السوري منذ عام 1949 وحتى عام 1970.

إثر انقلابه الداخلي عام 1970، قام حافظ الأسد بتوسيع أجهزة المخابرات، وأتى برؤسائها إلى داخل مؤسسات الدولة، فقد اتكأ و خلال حكمه وبشكل رئيسي على رفاق دربه في النضال العسكري، ولذلك تحدد تطور إطار الدولة في عاملين رئيسيين؛ عامل الولاء وهو المحدد الحاسم، والخلفية العسكرية التي شكلت الجزء غير الظاهر في نمط الدولة المدنية التي حاول الأسد بناءها.

لكنه قام وبالتوازي مع ذلك في بناء هياكل مؤسسية هدفها ترسيخ النظام، تتوارى السلطة الفعلية خلف واجهة المؤسسات المدنية، وبنفس الوقت أيضاً كان لابد من إعادة بناء المنظمات الشعبية مثل اتحاد العمال والفلاحين والنقابات وغيرها إضافة لحزب البعث على أسس تضمن الولاء الكامل، وذلك عبر توسيع الإدارة الحكومية والجيش والأجهزة الأمنية مترافقاً مع تزايد القدرة المالية للدولة جراء المعونات العربية الهائلة التي قدمت إلى سورية بعد حرب 1973 ثم العائدات النفطية السورية التي اكتشفت فيما بعد.

وقد انعكست طريقة بناء الأسد لمؤسسات الدولة بطريقة يحكم السيطرة عليها من خلال صياغته للدستور الدائم الذي صاغه وأقرّ في عام 1973 . إذ يعطي دستور عام 1973 صلاحيات واسعة لرئيس الجمهورية، فهو فضلاً عن ذلك الأمين العام لحزب البعث الذي يعطيه الدستور السوري في مادته الثامنة الحق في قيادة الدولة والمجتمع، كما أنه يجمع إلى ذلك منصب القائد العام للجيش والقوات المسلحة وفق (المادة 103) من الدستور، وهو رئيس القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية، أما صلاحياته فهي تتجاوز الصلاحيات التنفيذية إلى التشريعية، كما أن له الحق في تعيين رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء وإعفائهم من مناصبهم (المادة 95)، وإعلان حالة الحرب (المادة 100)، وإعلان حالة الطوارئ وإلغائها (المادة 101) . ذلك كان بالتأكيد نقطة البداية التي سمحت للأسد في بناء الدولة على شكل الهرم يكون فيه رئيس الدولة رأس الهرم أما أضلاعه الثلاثة فهي أولاً الإدارة الحكومية وثانياً الجيش وأجهزة الأمن (المخابرات) وثالثاً الحزب.هذه الأجهزة الثلاثة عبارة عن هياكل هرمية متمركزة تنحدر كلها من قيادة النظام نزولاً إلى المدينة ثم القرية إلى الحي بدرجات متفاوتة، ومتوازية خطياً بعضها مع بعض.

الطريق إلى دمشق

هذه الأجهزة هي: المخابرات العامة (أمن الدولة) والتي تتبع لمكتب الأمن القومي التابع للقيادة القطرية لحزب البعث اسمياً، وأصبح فيما بعد مكتب الأمن الوطني، والأمن السياسي الذي هو دائرة من دوائر وزارة الداخلية، والمخابرات العسكرية ومخابرات القوى الجوية اللتان تتبعان اسمياً لوزارة الدفاع، وينسق بين هذه الأجهزة مكتب الأمن القومي التابع للقيادة القطرية لحزب البعث. لكل هذه الأجهزة مهمات المراقبة المحلية وتمتلك فروعاً في كل المحافظات وفروعاً مركزية داخل العاصمة دمشق باستثناء مخابرات القوى الجوية ذات المهمات الخاصة .

وفي ظل التنافس الأمني بين هذه الأجهزة المختلفة فقد توسع دور بعض الفروع الأمنية بشكل كبير حتى على حساب الإدارة التابع لها، وذلك يعود إلى نفوذ رئيس الفرع وسلطته التي غالباً ما تتعزز بحسب علاقته المباشرة مع الرئيس، لذا غالباً ما تعدت هذه الفروع صلاحياتها في الكثير من الأحيان وترافق ذلك مع نمط من الحصانة القانونية؛ إذ تحمي المادة 16 من قانون استحداث إدارة أمن الدولة الذي صدر بالمرسوم التشريعي رقم 14 بتاريخ 15 / 1 / 1969، موظفي الأمن من الملاحقة القضائية في حال ارتكابهم جرائم التعذيب بالرغم من أن القانون يصفها بالجرائم، حيث تنص المادة على أنه «لا يجوز ملاحقة أي من العاملين في إدارة أمن الدولة عن الجرائم التي يرتكبونها أثناء تنفيذ المهمات المحددة الموكلة إليهم أو في معرض قيامهم بها إلا بموجب أمر ملاحقة يصدر عن المدير». وقد ظلت كل هذه القوانين سارية المفعول بالرغم من صدور الدستور النافذ والصادر في 3 /3/ 1973، مما جعلها صاحبة التأثير الأول والأخير في القرار السياسي أو الاقتصادي أو الإداري، و ساهم بنموها بشكل مخيف. فقد بلغ عدد الموظفين في أجهزة الأمن السورية المختلفة 65 ألف موظف بدوام كامل وعدة مئات من الألوف بدوام جزئي، فهناك وفقاً لذلك عنصر مخابرات لكل 257 من المواطنين السوريين. ولما كان 59.5% من السوريين فوق سن 15 سنة، فعندها يكون هناك رجل مخابرات لكل 153 مواطن سوري وهي تعتبر من النسب الأعلى في العالم .

تلبية حاجات المجتمع المستقبلية بشكل فوري.

بيروت خيمتنا...

فـي الخيمة التجأتُ إليهم، كانت السـماء ممطرة، رعد خريفي يتلوه أيلول على مسـامعنا؛ خوفٌ؛ واسـتكانات الضعيفِ حينَ يعلم أن لا أحدَ.. إلا الله له في الامتحان الأشرس الذي فرضه على السوريّ.

- كيفَ يمكن أن يتجاور الخوف من الشتاء مع الخوفِ من عودةٍ الى بيوتٍ مهدمة وتسكنها الأرواح؟

تقول لنا عجوزٌ يكويها ألم الفقدِ على ابنةٍ وأحفادٍ غيبهم الموت في كرم الزيتون.

وغيبَ الفقد والمجهول ابنان اثنانِ ذهبا وراءَ الأختِ علّهم ينجّون ما تبقى من جسدها، فغابوا وراءها..

بيت أم الطشت كان نظيفاً، يضج برائحةِ امرأة اعتادت تنظيم المكان وترتيبه، عروسٌ ما تزال بعد اثني عشر عاماً من الزواج، يخاف عليها زوجها، فتملأ الضحكة مُحياها، نشرب الشاي بخفةِ من أراد التآخي مع المكان..

يقول حمزة هي أختي أم الطشت.. ويضحك بعبثِ صبيٍّ في الثانية عشر من العمر. ولماذا أم الطشت؟ لا يوجد لديها «صبّة» أرض للحمام، فتستحم في الطشت كي لا يملأ الماء المكان... مفهوم، ونضحك نحن كذلك...

الشاي لدى أم الطشت.. بنكهة ابنة البلد، وأولاد البلد يتحلقون حولنا، لا أحد يفهم السوري في وجعه مثل السوري، يتفق الجميع...

المنظمات تأتي وتغيب، تأخذ اسماءنا، وتفاصيلنا، ورمشات أعيننا، التقطت الأمم المتحدة السعادة في وجه العروس، فارتأت

التغريبة السورية الكبرى

أنها لا تستاهل المعونة (40 ألف ليرة لبنانية، أقل من 30 دولار في الشهر) قالوا يستطيع زوجك أن يهتم بكِ... هكذا بكل بساطة نحاسب على بقايا ما نولده من سعادة مؤقتة.

خيمة أخرى تفترش الأرض فيها، بقايا السبانخ والأعشاب، غذاء اليوم المكرور، المرأة المحنية الظهر، تعمل جاهدة كل اليوم لتؤمن ربطة الخبز (3000 ليرة لبنانية) من بيع الاعشاب، ما تبقى يطبخونه على الغداء.

تمسح يديها بحرجها قبل ان تمد يدها مصافحة...

المخيم الصغير (30 خيمة في المكان) أرض بين البيوت تم استئجارها لوضع الخيم، أطفال يعبثون بالهواء، وصغيرة قمر مع جرحٍ نابت بالدم على جبينها، ولا دواء، بين ذراعي أمها تشدنا من عيوننا لكي نزور خيمتها.. هنا احمم اولادي واستحم، بقايا غطاء الخيمة من الخيش والكرتون ينفتح على الخارج.. بينما ثقوب صغيرة تملأ سقف التخشيبة..

كنا معزوزين، كان لدينا بيوت، والعجوز مع زوجيه كان لديه بيت من طابقين في منطقة عدرا بريف دمشق.. يحاول جهده توسيع الخيمة قليلاً لتتسع للجميع يضع جلابيته على زنار خصره، ويرمي غترته فوق رأسه بنزق متصابي.. ليحدثنا عن معانته..

هذه الخيمة لأم البنات، زوجها في بعلبك يحاول أن يجد عملاً هناك.. وهي المرمية في الشارع مع بناتها، وجدت من دفع لها ثمن الخيمة وأجار الأرض لسنة (800 دولار) يا له من مبلغ نكبة تدفعه لشراء بؤس أفضل.

ما تزال مع صاحبة الخيمة الأصلية بجلسان سوية، بانتظار رحيلٍ ما للقديمة..

تخلتط الخيام في رأسي، رؤوسنا، وتبقى خيمة أخرى (جارة أم إخلاص) هي ذاكرة مكانٍ آخر، أصحابها من حمورية، فقد الزوج أخوة له في الغوطة واستطاع الهرب بعائلته مع رصاصة في اليد.

أعطاه صاحب منزل على العضم غرفة مؤقة لينصب خيمته الصغيرة، غرفة بدون بابٍ أو شبابيك على الرمل.. ولكن أستر من البقاء في الخارج هكذا قال، كان صاحب البيت اللابيت، يستفيد منه ومن ابنه في عمل يومي من الصباح للمساء بحجة الغرفة السيئة.

النصيب الذي يمكن أن نقدمه، لا يغطي سوى أجزاء مفتتة من المشكلة.. هكذا نظرنا في عيون بعضنا البعض..

الشتاء، المازوت، الملابس الشتوية، رفع الخيم عن الأرض حتى لا تدخلها مياه السيول في الشتاء، النايلون لتغطية الخيم.. هي كلها مشاكل لا أحد يغطيها.

المدارس، لأطفال حرمو من ثلاثة سنوات من التعليم.. بعضهم لم يعرف مدرسة في حياته بعد.. كيف يمكن أن تعالج؟.

على الضفة الأخرى للمتوسط بيروت المدينة تنسج حكايا مختلفة تماماً، هناك للمعاناة وجهٌ آخر، مقاهي بيروت تكتظ بالسوريين.. شباب المجتمع المدني، يناقشون جدول الدورات القادمة، السلم الأهلي، المجتمع المدني، شكل الدولة، عالم الفيسبوك المليء بالحكايا اليومية لحياة تبدو عالماً مختلفاً لأهل الخيام..

أصبحت بيروت محافظة سورية من جديد، ويضحكون.

أحب هؤلاء الشباب، حين كانوا ينزلون للمظاهرات، بقلوب قوية، وخطط لما يمكن أن يتم، تحييدهم عما يتم صاغته أيادٍ كثيرة، فانتشروا في العواصم..

تبدو بيروت مدينة أليفة تشبه ذاكرة مدينة متروكة، قليل من الرتوش وتصبح شبيهة بشامنا..

هناك من أدمن السفر بين دمشق وبيروت، فأصبحت بيروت مرتع هوى جديد، يمضي العمر على ارصفة المقاهي، فتجاور متسولة سورية مع اطفالها، وكأن المشهد بات طبيعياً.

كيف سيلمُّ شتاءٌ جديدٌ كل هذا الشتات؟

في بلد أصبح اللاجئين السوريين أكثر من ثلث سكانه، تبدو الحياة طبيعية، بقع الخيم والمخيمات تلوث المشهد اللبناني، لا يلقي عبئاً كما يبدو على أحد، دأبٌ نهاري لمجموعة من الناشطين للملمة ما يمكن بوسائل شتى.. أموال تصرف لا تدري لماذا وعلى ماذا..

لا أحد يريد أن يرى الحقيقة، يخبئ عينيه إن لم يستطع تغطية المشهد البشع.. (تركوا الأمر للبلديات كل بلدية تقرر ما تريد) يبدو القرار متناسباً مع عدم وجود دولة في لبنان، وإنما جماعات محسوبة على جماعات...

فترتأي إحداها خنق اللاجئين كي يعودوا من حيث أتوا، وآخرون يظنون أن بوسعهم تقديم ما يمكن للقرابة الطائفية، هذا لا يشمل زيادة الأجارات والأسعار.. واكتواء اللاجئين بها..

أي استعلاء متبادل يمكن أن تلتقطه في العلاقة بين اللبناني والسوري؟ استعلاء يبدو مضحكاً أحياناً، تمتزج الشماتة التاريخية بالاستقواء بتاريخ مضى تتم الثورة عليه اليوم.

رفض للمكان، مع اضطرار لقبوله كبديل وحيد، بحثٌ مضني عن مهربٍ آخر لبلدٍ أوربي سعيد..

طبقة غنية تأتي لترفه عن نفسها في لبنان السعيد، أحد بدائل السعادة المفقودة في دمشق المخنوقة بالموت..

هناك دائماً من لا يملك الخيار.. هم أهل الخيام...

خولة دنيا - بيروت

2013/9/27

يوم مع.. النازحين السوريين
في مخيم سعيد هواش في بيروت

منذ ثلاثين شهراً ويزيد، حينما صرخ أول سوري مطالباً بالحرية، وبأن الشعب السوري لا يقبل بالذل، والنظام الوحشي يمارس أبشع أشكال القتل والتدمير على أبناء هذا الشعب الثائر، أكثر من مائة ألف شهيد وأكثر من ربع مليون معتقل، ومثلها من المفقودين، وأكثر من ستة ملايين نازح داخل وخارج الحدود.

صار الشعب السوري نازحاً في بلده، وبات قسم آخر موزعاً بين دول الجوار،سنحاول أن ندخل مخيمات النزوح وننقل لكم واقع الحال الذي يعيشه السوريون هناك، ستكون بدايتنا من مخيم سعيد هواش في بيروت، وهو مخيم ملاصق لمخيم صبرا، وهو بالأساس مخيم للاجئين الفلسطينيين في لبنان.

بالانتقال إلى المخيم،تنتقل من شوارع بيروت باتساعها ورحابتها إلى أزقة ضيقة متلاصقة لا تكاد تتسع لمرور أكثر من شخصين معاً، بيوت لا يمكن أن ترى الشمس، عشوائيات بكل ما تعنيه الكلمة.

دخلنا المخيم كنا أربعة،وكان علينا أن نذهب أولاًإلى آمال وهي امرأة فلسطينية تساعد الوافدين من السوريين بتسجيلهم لدى الجمعيات الخيرية وبتعريف الناشطين السوريين العاملين بالإغاثة عليهم، كما تساعد بالمراجعات الطبية وتأمين وتوزيع المواد، وهي على معرفة بجميع النازحين السورين وبيوتهم وعلى اطلاع كامل على أحوالهم ....

التقينا آمال بمدخل المخيم برفقة مجموعة من النسوة، استقبلتنا بحميمية واعتذرت كونها مضطرة للغياب بعض الوقت مع النسوة لتحل بعض مشاكلهم، إلا أنها طلبت منا التوجه إلى بيتها والبقاء ريثما تعود ولم تنسَ المرور على

بائعالتسقيةلتطلب لنا ترويقة. دخلنا البيت, الباب مفتوح كأغلب البيوت,غرفتان ومنافع تسكنه آمال منذ طفولتها وهي الآن مع شابين وطفل وزوج. لم تتأخر كانت توزع مواد تنظيف على بعض الأسر .. وما إن دخلت حتى توافدت النسوة تعاتب آمال لعدم حصولهن على تلك المواد. فكانت تعتذر لتلك وتعد الأخرى بتدارك الموضوع في المرة الأخرى,وبعد استراحة محارب رافقتناأمال (أم السوريين كما يسمونها في المخيم) إلى بعض بيوت النازحين السوريين.

المخيم عبارة عن أزقة ضيقة وبيوت بلا نسق. شديدة الفقر بينها بيوت يحجبها شرشف عن الآخرين بمعنى لا باب لها. وعلى الأغلبتسكن عدة عائلات في البيت الواحد والذي يكون إما غرفة أو غرفتين بأحسن الأحوال.

التقيت بعدد من العائلات السورية من معرة النعمان وهناك عائلات من حماة وحمص وحلب وريف دمشق ودرعا. البيوت مفروشة بما تصدّق به صاحب البيت أو ما قدمه الجوار من أثاث يمكن الاستغناء عنه. وإلا فالبيت مفروش بحصائر بلاستيكية وفرشات الإسفنج.بعض البيوت فيها مروحة وبراد وربما تلفزيون وموقد للطهي.أجور البيت ذو الغرفة الواحدة حوالي 250 دولار بينما لا يقل ذو الغرفتين عن350 دولار.

إحدى الأسر من معرة النعمان. تضم الوالد وهو مدرس شريعة بمدارس المعرة. مريض قلب. وزوجته وأربع بنات وابن شاب وصهر وحفيد. موجودون هناك منذ ثلاثة أشهر. يبحث الرجال عن عمل. لكن بلا جدوى. ففرص العمل قليلة جداً.الابنة الكبرى طالبة أدب إنكليزي وهي أيضاً تبحث عن فرصة عمل. الوالد يحمل مرضه ويخرج الى الشوارع العريضة يحمل مجموعة من البوالين وألعاب الأطفال التي يبعها هناك. ويعود مساء ومعه ثمن الخبز والماء وأحيانا بعض الليرات لتحظى العائلة بوجبة تشبه إلى حد ما طعام أيام زمان.

عائلة أخرى من ريف حلب تسكن غرفة واحدة مساحتها تسعة أمتار يعيش فيها شاب سوري وزوجته وطفل صغير مريض.ويسكن معه والده وزوجة والده وشقيقته.

هبة امرأة من معرة النعمان. متزوجة ولها أربع بنات وصلت أول مرة إلى لبنان منذ سبعةأشهر. عادت إليالمعرة. فدمشق. لتعودوتستقر أخيراً هنا.تعيش في بيت مستقل مؤلف من

التغريبة السورية الكبرى

غرفة واحدة ومطبخ.يعمل زوجها أجيرً بفرن يقدم الكعكبأجر زهيدلا يكفي أجرة البيت. وفي المساء يعمل على عربة لشي اللحوم ساعده بالحصول عليها قريب له سوري له مقيم في لبنان منذ زمن. هبة الآن حامل في الشهر الرابع. مراقبة الحمل بما يلزم من تحاليل وتصوير أمواج صوتية وأدوية تتكفل به هيئة الاغاثة للسوريين.

شمس صبية من درعا جاءت مع أسرتها بعد تكررقذائف الموت على بلدتهم الصغيرة. والتي أودت بحياة شقيقتها ذات التسعة عشر ربيعا. والحامل بالشهر الثامن أثناء محاولتهم الهرب من منزلهم. شمس تعيش مع أمها وأبيها وأخويها الصغيرين في بيت مؤلف من غرفة واسعة ومطبخ وحمام. تتمنى شمس لو استطاعت أن تكمل دراستها في الصف الحادي عشر الثانوي إلا أنها لا تحمل وثيقة النجاح في الصف التاسع. أما أخويها الصغيرين. فالصغير والذي يبلغ من العمر سبع سنوات تمكن الوالد من تسجيله بمدرسة المخيم لقاء 70000 ليرة لبنانية.أما الثاني ويبلغ من العمرعشرة سنوات.فلم يحظ كأخيه بفرصة للتعلم.بل ذهب ليساعد والده الذي يعمل عامل بناء بالجبل حتى يستطيع دفع مصاريف التعليم للأخ الأصغر.

ونماذج كثيرة تجمعها ذات الظروف.
تلك الأسر تحصل على مساعدات من جمعيات موجودة ببيروت تقدم لهم سلة غذائية تتضمن البقوليات والحبوب والسكريات إضافة للمعلبات (جبنة ومرتديلا وطون وسردين)وحليب الأطفال والحفوضات, مع سلة صحية تتضمن مواد تنظيف شامله الكميات تكفي لمدة شهر, كما تقدم لهم الطبابة والأدوية. وكذلك على اعانات تشمل فرش ولحف ومروحة وغاز.
أغلب هذه المعونات تقدمهاجمعيات لبنانية. مثل جمعية التقوى. وجمعية ذو النورين.وجمعية سردة. وكذلك الهيئة الإغاثية التي قام بتأسيسها فريق من الشباب السوريين المتواجدين في لبنان.

وبالنسبة للأطفال الصغار.فمنهم من يذهب إلى مدرسة المخيم. والأكثر لا يستطيعون التعلم بسبب عدم القدرة على تسديد رسوم الدراسة. وأما الفتيان فللأسف ليس لهم إلا التسكع.
وبمبادرة من الشباب السوريين العاملين بالإغاثة سيتم افتتاح روضة أطفال للسوريين داخل المخيم وقد تم حتى اليوم تسجيل حوالي 75 طفلاً.

وأثناء وجودنا بالمخيم. وبمحاولة لانتزاع بسمة من عيون طفل. وزرع فرحة في عيون آخر. قام شباب مجموعة سردة بقضاء يوم كامل مع أطفال المخيم. قدموا لهم دفاتر رسم وأوراق وأقلام ملونة وهدايا. رسموا مع الأطفال ولونوا ولعبوا. ثم أنجزوا معرضاً لنتاجاتهم.كان يوما مميزاً عند الأطفال. سُمي هذا النشاط باسم (حملةردولي الطفولة) وهي شكل من أشكال تقديم الدعم النفسي للأطفال.

هو يوم كامل أمضيناه في المخيم. عايشنا التشرد والبؤس في أعلى تجلياته. شاهدنا الغصة وهي تخنق أخوة لنا شردهم جلاد مجرم واقتلعهم من بيوتهم وأرضهم. يومٌ طويل شعرنا فيه أن الوطن لا يُباع ولا يُشرى. وأن حلمنا بسوريا جديدة لا بد آت.

كفاح شعبان

النزوح من المناطق المنكوبة
والهروب من المناطق الصامتة

سيذكر التاريخ الظلم التاريخيّ الذي تجرّعه السوريّون الذين شعروا بحقّهم المغيّب في الحياة، والعيش بكرامة وحريّة. وهذا الظلم، الذي استمرّ لأكثر من أربعة عقود، وتفشّى بشكّل وحشيّ في السنتين والنصف الاخيرتين من عمر الثورة، اتخذ عدّة صور لا يمكن للعقل البشريّ تصوّره إلا إذا تناوله على شكل مذابح مستمرّة تصل لمرحلة الإبادة. فلم يكن هناك تدرّج في العنف سوى في بداية الثورة، ثمّ صارت كلّ الصور ترافق بعضها البعض في ذات الوقت؛ من اعتقالات وطرد لخارج البلاد، وتعذيب جسديّ ونفسيّ ومعيشيّ، وتهجير ونزوح وقتل تحت التعذيب وقتل بالأسلحة الفتاكة. وكانت تلك المدن وأريافها، مثل درعا وحمص ودير الزور وإدلب وحماه وحلب والرقة ودمشق، تذهب نحو وصفها المضني بأنّها مدن ومحافظات منكوبة. بينما كانت هناك محافظة وحيدة هي الحسكة تستحق وصف المحافظة «الصامتة»، وليس الصامدة، كما وصفنا المدن المنكوبة التي ذكرناها، أو المدن الموالية، شاءت أم أبت، مثل اللاذقية وطرطوس والسويداء والقنيطرة.

دخلت الحسكة في الحراك الثوريّ بعد أشهر قليلة من بدايته، ثم ازداد زخمها بعد خروج مظاهرات تتضامن مع درعا المحاصرة في ذلك الوقت، مطالبة بالحريّة وإسقاط النظام، رافضة رشوة النظام بمنح الكرد الجنسيّة السوريّة، من أجل عدم التحاقهم بالثورة السوريّة، ومن أجل الاستفراد بالمدن التي ثارت تباعاً، ويا للأسف، وليس بشكل موحّد في ذلك الوقت.

سرعان ما انتبه النظام إلى الثقل المحليّ والدوليّ، الذي قد يشكّله التحاق محافظة الحسكة، ذات التنوّع المسيحيّ والكرديّ والعربيّ بالثورة بعد خروج المظاهرات في محافظتي حمص ودير الزور، وكذلك إلى المعضلة التي سيقع فيها إذا صارت الحسكة، وهي ثالث أكبر محافظة سوريّة من حيث المساحة، حاضناً شعبيّاً للجيش الحرّ والمعارك العسكريّة التي دأب النظام على الدفع باتجاهها بكلّ طاقته وعناصره وخبرته... ومن أجل القضاء على هذه المعضلات، والمعضلات الأخرى التي قد تكون غير محسوبة الجانب بشكل دقيق، أدخل النظام صراعاً آخر يناشد مصلحته،

التغريبة السورية الكبرى

ويعادي الثورة، إذا جاز التعبير، ولو على حساب كلّ المواطنين المتواجدين على تلك البقعة الكبيرة من الأرض السوريّة؛ فتمّ تقوية شوكة حزب الاتحاد الديمقراطي، وهو الفصيل السياسيّ في سوريّا لحزب العمال الكردستاني، وإدخال الجماعات الإسلاميّة المتشدّدة، التي أرسلها النظام سابقاً إلى العراق منذ عام 2003، ليصبح المواطنون، في تلك المحافظة صامتين رغماً عنهم، لوجود ثلاث قوى متصارعة في الظاهر، ومتحالفة في الباطن لتحييدها عن الانضمام للثورة.

وبلعبة ذكية من النظام قام بتسليم بعض مراكزه الأمنيّة لأحدهما، وبتسليم آبار النفط ومراكز المياه والطاقة لكليهما، على أن تبقى جميع الخيوط، المتحكّمة في تلك الثروات، المنتجة للخدمات الأساسيّة لعيش المواطن، في يده؛ وبات النظام يروّج بأنّه يُصلح ما يُخرّبه صراع الطرفين الكرديّ والسلفيّ.

في المناطق المنكوبة نزح المواطنون بسبب الوحشيّة العسكريّة للنظام في محاربة معارضيه، فهو على استعداد لقتل مئات الأشخاص، وتدمير البنية التحتيّة، في طريقه للقضاء على ثلاثة مسلحين يتمركزون في ذلك المكان، بينما في المدن الصامتة نزح المواطنون بسبب استمرار سياسة الإذلال المطبّقة في محافظة الحسكة وحدها، إذ لا نجد ذلك في المناطق المحرّرة أو التي ما زالت تحت سيطرة النظام أو الموالية له. ففي مدينة مثل القامشلي وحدها تمّ حفر آلاف الآبار للحصول على المياه التي ما عادت المدينة تحصل عليها، وهذه الآبار لم يتم حفرها في بيوت الناس فحسب، بل حتى في الشوارع والأحياء الراقية من المدينة. وهكذا جاء الدور على مدينة الحسكة حيث انقطعت المياه في شهر أيلول المنصرم فقط لعشرة أيام متتالية. هذه الآبار التي قد تؤدي إلى محو محافظة الحسكة نفسها عن الوجود، إن فرغت الآبار وانهارت التربة تحتها، وليس سكانها فحسب.

ومحافظة الحسكة هي المحافظة الوحيدة ربما التي لا توجد فيها خدمة انترنت سوى على أجهزة الخلوي التي تتوقف عن الخدمة لفترات مختلفة، وصلت إلى /58/ يوماً متتالياً في فترة سابقة.

لذلك فإنّ الكثيرين من المواطنين هربوا من المحافظة، سواء لداخل المناطق الغير محرّرة، أو لخارج البلاد في هجرات وصلت لحدّ الخوف من تفريغ محافظة الحسكة من سكانها، عندما شعرت بأنّها فقدت كلّ الأشياء الأساسيّة في حياتها من خدمات وتعليم وعمل، وبأنّها تعيش في ذلّ مستمرّ.

رغم أنّ محافظة الحسكة لم تنقلب على النظام، بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، وبقيت محافظة مخلصة للصمت، إلا أنّها تتلقى عقاباً مستمرّاً من النظام وشبّيحته والأطراف المرتبطة به في الخفاء، وتحمل شعارات تطالب بإسقاطه في العلن. هذه المحافظة التي تنتج ما يزيد على نصف ما ينتجه الاقتصاد السوري، قبل انهياره، تلاقي عقاباً كأنّ عمر أسبابه آلاف الأعوام.

عارف حمزة

فنان الكاريكاتير

فادي أبو حسان

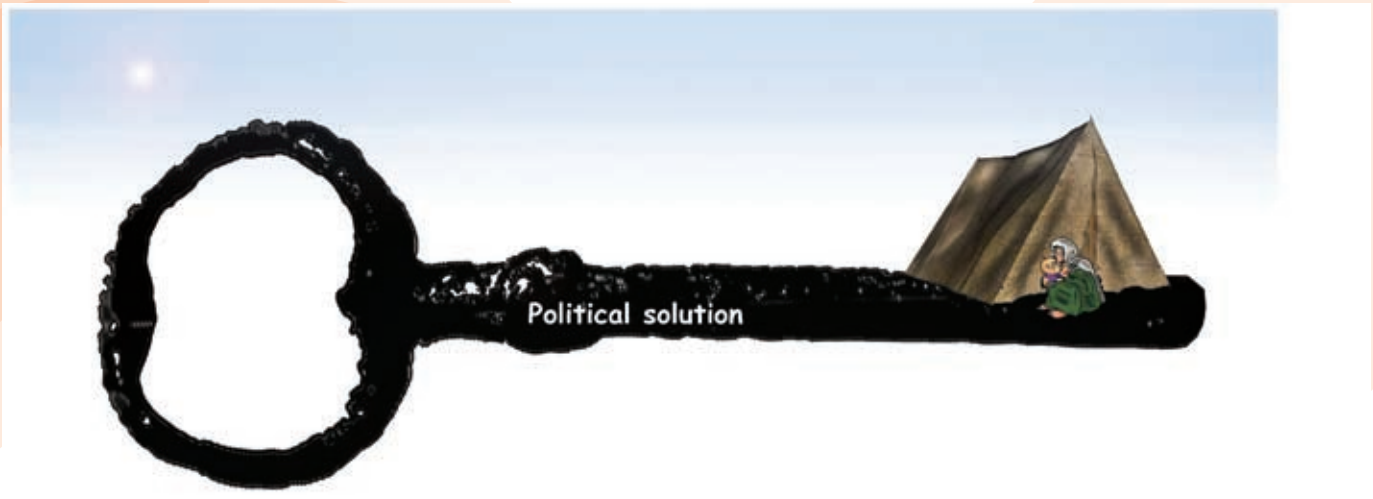

كاريكاتير

الهوية الوطنية والمواطنة

• جورج صبرة

في خريف عـام 1978، وفي أحد الفروع الأمنية في سوريا ،كنت معتقلاً سياسياً بيـن الآلاف من سـجناء الـرأي والضمير الذين ازدحمت بهم السـجون السـورية ،كـي ينعم الحاكـم المسـتبد بالصمت. وفي الزنزانة المنفردة ذلك المكان الضيق للسـجين, اتضحـت لـي أبعـاد الفضاء الواسع للمواطن والمواطنة. كان السجان يصرخ في السـجناء «تعـال يا مواطن, اجلـس يا مواطن, خذ يا مواطن» (دون أن يعفيه ذلك من البذاءة والتجريح وقلة الأدب والاعتداء الجسـدي أحياناً). كان يفعل السـجان ذلك لأنـه محظور عليه أن يتحدث بأسـمائنا, مثلمـا هو محظور علينا أن نسمعها أو ننطق بها. فالإنسان في بلاد التسلط والقمع يصبح رقماً قابلاً للزيادة والنقصان ومعرضاً للمسح والإلغاء والتشويه.

في ذلك المكان الكريه الذي هو أبعد ما يكون عن المواطنة . بل يشكل التحدي النقيض لها , عرفتمعنى المواطنة أكثر مما عرفته من الكتب . وتعلمت كيف أصبح مواطناً من الوقائع المريرة لانتهاك حقوق الإنسان في بلدي أكثر مما علمتني إياه المحاضرات والندوات الثقافية والسياسية , وصممت أن أكون مواطناً أكثر من أي وقت مضى . فكما يقال : «الحسن يظهر حسنه الضد». كان شيئاً مضحكاً ومبكياً في آن معاً, أن تشوه الديكتاتورية والاستبداد معنى المواطنة إلى هذا الحد . فأنا سجين ويناديني السجان كمواطن . رغم أنه يتركني أتوسد حذائي لمدة عامين في مكان لا يكاد يتسع لجسمي . وأنا مواطن ولو أنه حرم أهلي من معرفة حتى مكان تواجدي . وأنا مواطن ويستطيع سجان أن يحتفظ بي ثمان سنوات في السجن دون تهمة ودون محاكمة. رغم وجود الدستور والقانون والمحاكم وكل العدد الأيديولوجية والسياسية والمؤسساتية للدولة . لكنها دولة الراعي والرعية. دولة السلطان والتابعين , بلبوس عصري وتقنيات حديثة . وكأن الحجاج بن يوسف الثقفي غادر مسجد الكوفة إلى القصر

الجمهوري . فخلع لقب الوالي واستطاب لقب الرئيس ومنصبه. هل وصلت الامور إلى هذا الحد من التشويه؟ نعم . فالسجان قد لا يعرف المعنى التاريخي و السياسي للمواطنة . لكنه بالقطع يعرف أنني لست مواطناً . وهو لا يعتبرني كذلك . فالكلام شيء والفعل شيء آخر، و ما يجري على الأرض لا علاقة له بما يسطر في الكتب . وبدون في الملفات الحكومية الرسمية رغم تشوهاته الكبيرة . لذلك جاء الربيع العربي حاسماً ومصمماً على قدر مرارة المعاناة وعمرها الطويل . اختصرته الثورة السورية بشعار « الحرية و الكرامة» . في طريقها لبناء وطن ومواطن .

سورية بلد متعدد القوميات والأديان والطوائف والمذاهب والعشائر وسائرالبنى التقليدية و الأهلية . وهو متعدد الآراء والاتجاهات السياسية والفكرية والثقافية المعاصرة وسائر بنى المجتمع المدني الحديث . هي انتماءات مفرطة في تعددها نتاج ستة آلاف عام من الحضارة .فمعظم المكونات الحضارية للعصور القديمة والوسطى تجد لها مرتسمات واقعية وما زالت حية على الأرض السورية وفي حياة السوريين .وسورية بلد المسيحية مثلما هي بلد الإسلام . والأحياء اليهودية ما زالت بمسمياتها في المدن الكبرى . والكنائس المسيحية على تنوعها موجودة على الأرض السورية . تماما مثلما هو الإسلام على تعدد طوائفه ومذاهبه . والمكونات الإثنية عديدة أيضاً : العرب والكرد والتركمان والسريان والآشوريين والأرمن والشركس.. وتنوع الأفكار والاتجاهات السياسية المعاصرة أكثر من أن تحصى .

من الواضح أن هذه المكونات المتنوعة والمتعددة (مثل موزاييك متعدد الأشكال والألوان) يمكنها أن تتساكن وتتجاور أوتتنازع وتتحارب , لكنها لا تستطيع أن تتوحد على هوية واحدة تحدد انتماءها المشترك وانتسابها إلى وطن واحد , إلا إذا قامت الدولة على مبدأ المواطنة و نجحت في تثبيتها كقاسم مشترك لجميع الهويات والانتماءات الأخرى وفوقها جميعاً . أي الانتماء للوطنية السورية في وعاء الدولة السورية الجامعة , التي تحقق للسوريين الاحساس بالهوية والتمتع بالحقوق على قدم المساواة مع الآخرين , والاستجابة للمسؤوليات والواجبات والمشاركة في الحياة العامة . فالمواطنة علاقة بين الفرد والدولة , يحددها دستور الدولة وقوانينها , وتتضمن قدراً من الحرية وقدراً من المسؤولية , وترتب للفرد مقداراً من الحقوق وعليه مقداراً من الواجبات .

ما هو جوهري هنا هو عنصر الانتماء . لأنه يعطي المعنى الحقيقي لمفهوم المواطنة , وبدونه تصبح المواطنة أقرب إلى مجرد جنسية تمنح حقوقاً وتفرض واجبات , وتكون أقرب إلى مفهوم التوطن والإقامة يسهل خلعها واستبدالها . ولنا في آلاف المغتربين والمهجرين عن ديارهم الذين يقطنون بلاداً أخرى وحملوا جنسيتها دون تحقق الانتماء للمجتمع والدولة أوضح مثال على ذلك . إذ يبقى هؤلاء أسرى مشاعر الاغتراب , حتى أنهم لا يشاركون في الحياة العامة رغم أن القوانين تضمن لهم ذلك وتوفر شروطه . فبدون تحقق الانتماء تفقد المواطنة روحها وجوهرها الفعليين .

اقترن مبدأ المواطنة وتحققه على أرض الواقع بحركة النضال التاريخية للإنسان من أجل الحرية والعدل والمساواة والكرامة الإنسانية . وهو تعبير عن سعي الإنسان لتحقيق ذاته وتأكيد فطرته وحقه في الوجود الكريم والمشاركة الفعالة في اتخاذ القرارات وتحديد الخيارات التي تمسه فرداً أو عضواً في جماعة وفق إرادته ومصالحه . كما عبر عنه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان « يولد الناس أحراراً و متساوين في الحقوق » . وهو ما قاله عمر بن الخطاب قبل أربعة عشر قرناً في بلاد العرب « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟!« بموضع إحقاق الحق في نزاع بين قبطي ومسلم . وتقتضي المواطنة حتى تتحقق :

- الاعتراف بوجود ثقافات مختلفة واحترامها .
- الاعتراف بوجود ديانات مختلفة واحترامها .
- الاعتراف بوجود ايديولوجيات سياسية مختلفة وفهمها وتفعيلها وتوفير حق التواجد والتعبير لها .
- احترام حق الآخر وحريته .
- فهم الاقتصاد العالمي والاهتمام بالشؤون الدولية .

وتقوم المواطنة على مفهوم بسيط وبديهي لكنه ليس سهل المنال . يتمثل بالحقوق الطبيعية الأصيلة للإنسان ، وأن الشعب صاحب السيادة . وبالتالي فهي تبنى على حقوق أساسية للفرد كإنسان أولاً ثم كمواطن من الشعب في الدولة ثانياً . وتتحقق وفق أبعاد: الهوية ، الانتماء ، التعددية وقبول الآخر ، والحرية والمشاركة والحقوق المتساوية .

حس الانتماء إلى الدولة وإلى الشعب والتفاعل اليومي والعميق في مجريات الأحداث داخلها يعطي المواطنة جوهرها . ويحول المرء من مجرد مشارك إلى جزء بنيوي وفاعل . يتبادل معها التأثر والتأثير في عملية تفاعل مثمرة , شرطها الأول والأساس المساواة . فالشعور بالمساواة الفعلية بين المواطنين يوحدهم , ويزيد الفعل التضامني بينهم , ويؤدي إلى الاحترام المتبادل والعمل المشترك والتحلي بروح عالية من السلمية والتواصل والتسامح .

تلعب المواطنة دوراً كبيراً في تحصين ساحة المواطن الفرد والمواطنين كجماعة ضد تدخل الدولة و تعسفها في حياتهم . وتعمل على حماية حد من الحريات ومقاومة الانتهاكات التي تقوم بها الدولة . وتعمل على ضمان ذلك وتوسيعه باستمرار . كما تعمل المواطنة على توليد آليات للعمل المشترك والسعي نحو تحقيق المصالح العليا والخير العام لكل من المجتمع و الدولة أي للوطن بأكمله . وتظهر المواطنة على مستويين : الأول في العلاقة بين الأفراد والدولة والثاني في العلاقة بين الأفراد بعضهم ببعض , وتقوم على الأسس التالية :

1. المشاركة بحرية وفعالية في الحقل السياسي وفي أدوات الحكم ومؤسساته .

2. المساواة التامة مع الآخرين في كل شيء , أمام القانون وفي الحقوق والواجبات بعيداً عن أي اعتبارات أو استثناءات أو خصوصية يمكن أن توجد .

3. التمتع بمنظومة الحريات والحقوق المدنية والسياسية المختلفة والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية, التي يحفظها دستور ديمقراطي وسيادة القانون .

بتحقيق هذه الأسس يتحقق وجود المواطن وانتماؤه لوطنه وولاؤه له وتفاعله الإيجابي والبناء مع مواطنيه .من هنا نصل إلى استنتاج طبيعي محدد وواضح المعالم , وهو أن جميع المحددات والعوامل السابقة تحيلنا إلى الديمقراطية كنظام للحياة وشكل لإدارة الدولة و مؤسساتها , يستطيع أن يبني المواطن الفرد , ويحول الرعية إلى مواطنين . مفهوم المواطنة هو المبدأ الأساس الذي يقوم عليه النظام الديمقراطي , فلا ديمقراطية دون مواطنة, ولا مواطنة خارج النظام الديمقراطي. غير أنه في موازاة الحقوق التي ينالها المواطن, تترتب عليه واجبات تكون نتيجة منطقية وأمراً طبيعياً في ظل نظام ديمقراطي يعترف بحقوق المواطنة و يوفرها للجميع . يأتي في مقدمها : دفع الضرائب للدولة والمساهمة في اقتصادها وتنفيذ القوانين والعمل على احترامها وتطبيقها , و الدفاع عن الوطن (الدولة والشعب) في إطار ما يسمى خدمة العلم أو الجندية الإلزامية .

ختاماً : فإن إنجاز الانتماء الوطني للأفراد هو المحتوى الأساس للمواطنة وهو في الوقت نفسه الهدف الذي تريد أن تصل إليه . وهذا يتشكل بفعل التربية ومناخات الحرية المتاحة وفرص المشاركة الفعالة في الفضاء السياسي المفتوح أمام الجميع , ثم الشعور بالإنصاف والمساواة .

المثقف والسلطة

قبل الحركات الثورية في العالم العربي

• بدر الدين عرودكي

لنقل دفعة واحدة إنه خلال الأربعين سنة الأخيرة، يمكن لعلاقة المثقف بالسلطة في العالم العربي أن تصاغ بالاستفهام التالي: هل من الممكن تواجد المثقف في أنظمة ذات طابع شمولي أو استبدادي؟

والحقيقة أن أية مقارنة سريعة بين هذه الفترة التي نعنيها وما سبقها تبين لنا بما لا يدع أي مجال للشك إلى أيّ حد تراجع دور المثقف النقدي منذ بداية السبعينيات. وأن ذلك يؤلف ظاهرة عامة في مجمل بلدان العالم العربي لا تتفاوت إلا في التفاصيل التي تمليها الشروط الاجتماعية والخلفية التاريخية الخاصة بكل بلد عربي. والنتيجة التي تقود إليها هذه المقارنه بدهية بالطبع: التناقض بين الاستبداد والمثقف.

في الفترات التي شهدت الحماية الغربية أو ولادة الدول العربية اعتباراً من عشرينات القرن الماضي وحتى خمسينياته، كان وجود المثقفين ملموساً على الأصعدة جميعها: صعيد التربية، والحرية، والتثقيف، والنقد الذي وصل بأحد كبارهم، عباس محمود العقاد، إلى قضاء تسعة أشهر في السجن إثر مقال كتبه يدافع فيه بعنف عن الدستور ضد الملك. ومن الملاحظ أن تلك

الفترة لم تشهد نقاشاً أو سجالاً حول دور المثقف أو وظيفته بقدر ما كانت تشهد ممارسة فاعلة ومؤثرة. ولئن ابتعدت الفترة الناصرية في مصر أو البورقيبية في تونس نسبياً عن هذا التقليد الذي كان راسخاً في البلدين، وحافظتا مع ذلك على حدّ أدنى منه، إلا أنهما لم تحققا الانعطاف الحاد الذي ستشهده فترة السبعينيات والذي ستستمر مفاعيله إلى عشية الثورات العربية ابتداءاً من تونس وانتهاء بسورية.

ذلك أن السلطة اعتباراً من بداية السبعينيات وخلال السنوات العشر التي تلتها قد تحولت بالتدريج السريع إلى سلطة مطلقة أو شبه مطلقة لا اعتماداً على شرعية منحتها الجماهير كتلك التي منحتها لعبد الناصر من قبل، بل كأمرٍ واقع وقائم. فقد سعت إلى إعادة تنظيم وهيكلة أجهزة السلطة على نحو عمودي معتمدة في ذلك على جهاز حزب واحد مهيمن وشمولي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأجهزة الأمنية. سنرى أن الطرق التي اتبعها زين العابدين بن علي في تونس مع التجمع الدستوري الديمقراطي، وحسني مبارك في مصر مع الحزب الوطني، ومعمر القذافي في ليبيا مع اللجان الشعبية، وحافظ الأسد في سورية مع حزب البعث، لا تكاد تتشابه فيما بينها فحسب بل تكاد أن تتطابق. بدأ كل منهم بانفتاح شكلي على ممثلي المجتمع المدني من أحزاب أو شخصيات أو مثقفين لينتهي إلى هيمنة كاملة أو شبه كاملة على مختلف البنى الاجتماعية الفاعلة. وإذا كان ثمة تباين بين هذه الدول المذكورة فمردّه التكوين التاريخي لكل منها؛ إذ ثمة فرق بين دولة ذات تقاليد متجذرة تاريخياً في مجال الدولة والسياسة وبين دول حديثة العهد بمثل هذه التقاليد. ولا بد لنا كي ندرك أبعاد هذه الهيمنة الطارئة من أن نتخذ من الوضع السوري مثلاً يمكن أن نرد إليه نقاط التقارب والتباعد بينه وبين الأنظمة العربية المشار إليها.

في بداية استقرار حافظ الأسد رئيساً بعد قيامه بحركته التصحيحية في نهاية 1970، كانت هناك العديد من الرايات معلقة في الساحات العامة وعلى امتداد شوارع العاصمة الكبرى، كتب عليها بعض أقوال «السيد الرئيس الجامعة». يلفت النظر بوجه خاص واحدة منها كتب عليها: «لا رقابة على حرية الفكر إلا رقابة الضمير».

تجسّد هذا «الضمير» من بعدُ في أكثر من ستة عشر جهاز أمني لتغطية قطاعات حياة السوريين كلها. لكن أهم قطاعين وضعا ومنذ البداية في المقدمة كان قطاع القائمين على المساجد والصوامع والجمعيات الدينية من ناحية، وقطاع المثقفين «العلمانيين» من خلال الصحافة ودور النشر واتحاد الكتاب العرب واتحاد الصحفيين السوريين ونقابة الفنانين، من جهة أخرى، فقد قضيَ بأن يُعالجا على عجل وبلا انتظار.

نتج عن ذلك أن «النظام» استطاع بدهاء ومكر أن يكمم الطرفين بالتدريج لكي لا نقول استدراجهما للوقوف إلى جانبه. استعان، في الجانب الديني، بعدد من أكثر المفكرين الدينيين شعبية ليجعل منهم الناطق الرسمي والدعائي والمدافع عن النظام مجسداً في شخصية الرئيس. ولقد تمَّ تحييد هذا القطاع على نحو لم يستطع أشد أقطابه الآخرين شجاعة على الإعلان عن اعتراضهم على ما كان هذا الشيخ أو ذاك منهم يقوله. كانت قمة التحدي إثر مجزرة حماه عام 1982 بوجه خاص، حيث لم يجرؤ أحد على أن يرفع صوته بالتنديد أو بالاحتجاج أو حتى بالسؤال عما جرى! أما في الجانب الصحافي والفكري العلماني، فقد أعاد النظام النظر في طريقة إدارة مؤسستين من مؤسسات النظام «الديمقراطية» كان نظام البعث قد أنشأهما، بأن وضع على رأس كل منهما رئيساً يتجدد انتخابه في كل دورة، على غرار رئيس النظام نفسه. وظيفته السهر على «حرية الفكر» ضمن إطار «حرية الضمير»! وحدها قنوات التلفزيون والإذاعة خرجت عن هذه القاعدة نظراً لحساسيتها الشديدة ولكثرة إمكانات «الوقوع في الأخطاء الخطيرة» فوضعت تحت الرقابة المباشرة؛ إذ كان يمكن تسريح رئيسها بلا إخطار بناء على أمر مباشر من القصر. أما بالنسبة إلى الفنانين، فقد جرى التكميم على الصعيد الاقتصادي؛ إذ أن ممارسة المهنة كانت تتوقف حصراً على القطاع العام أو، من بعد ذلك، على شركات إنتاجية يملكها رجال النظام نفسه!

هذا التكميم جعل من الحياة الثقافية والفكرية على مثال بُنى النظام ذاته: فكما أن كل شيء يوحي «من الخارج» بدولة ديمقراطية من خلال وجود المؤسسات السياسية (الدستور،

لوحات ملف فكر للفنان: تمام عزام

فصل السلطات، رئيس جمهورية، مجلس وزراء) والمؤسسات التمثيلية: النقابات المهنية (ومنها نقابات الكتاب والصحافيين والفنانين..)، والصحافة المتعددة، والأحزاب السياسية، وكذلك وجود عدد من الصحف المنوعة، وكثرة الكتاب في الصحافة وفي القطاع السمعي البصري ونشر الكتب..إلخ. كل شيء مسموح به مادام «الضمير» يقوم بعمله في الرقابة. لكن الخطوط الحمراء غير المعلنة كانت موجودة. والواقع أنه لم يكن مقبولاً نقد القائد، أي رئيس الدولة، ولا نقد الحزب القائد، ولا نقد النظام بوصفه بنىً ونهجاً وتطبيقاً، ولا نقد سياسة الحكومة الخارجية ومواقفها. كل شيء، في ما وراء ذلك، مباح ومتاح!

لا يختلف هذا الوضع عن مثيله في تونس أو في ليبيا إلا في بعض التفاصيل، لكنه في مصر يختلف نسبياً اختلافاً أشد أهمية. فالأزهر بوصفه المرجعية الدينية الأولى، خاضع تاريخياً لسلطة الدولة المدنية. أما الحياة الثقافية والفكرية، فإن التقاليد الراسخة لم تكن تسمح بهيمنة شمولية، ومن ثم فقد كانت الأساليب المتبعة في تدجين هذه الحياة أكثر سلاسة وأدنى إلى الترغيب منها إلى الترهيب.

ذلك لن يحول دون أن ترتكب سلطات أخرى في العالم العربي ما لم تجرؤ السلطة السياسية على ارتكابه بصورة مباشرة: فقد حاولت قتل نجيب محفوظ وقتلت فرج فودة في مصر، واغتالت حسين مروة ومهدي عامل ثم سمير قصير في لبنان، وناجي العلي، الفلسطيني، في لندن..

سيؤدي هذا الوضع على كل حال واعتباراً من بداية هذه الفترة، إلى ظهور ثلاث فئات أساسية

من المثقفين: المهجنون؛ المهجرون؛ المؤيدون. وستتواجد هذه الفئات في معظم بلدان الثورات العربية مع فروق تكبر أو تتضاءل حسب طبيعة السلطة وممارستها في هذا البلد أو ذاك. ستتسم الحياة الثقافية والفكرية أيضاً بطابع النظام القائم. صحيح أن الهامش على ضيقه في مصر قد سمح بظهور أصوات أصيلة وكتابات لم يكن بالوسع السماح بمثلها في تونس بن علي أو في ليبيا القذافي حتى أو في سورية الأسد. لم يهاجر الكتاب في مصر (باستثناء فترة قصيرة أيام حكم السادات) لكي يكتب بحرية كما هاجر الكتاب التونسيون أو الليبيون أو السوريون. وكان بوسع كاتب في مصر أن يرفض جائزة تمنحها له الدولة . أو أن يكتب آخر رواية تعري النظام الأمني والمافيوي في مصر دون أن يوضع هذا أو ذاك في السجن في اليوم التالي. لكن الكاتب المهجن موجود على الدوام، وهو يحتلُّ مقدمة المشهد الثقافي.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، في سورية، لم يكن نزار قباني يكتب شعره في دمشق، واضطر زكريا تامر إلى الهجرة إلى لندن. وفي ليبيا، لم يكن إبراهيم الكوني وأحمد ابراهيم الفقيه يكتبا رواياتهما في بلدهما. ومن تونس، هاجر المنصف المرزوقي المعارض أو الطاهر بكري الشاعر إلى باريس. أما من بقي فقد كان مضطراً إلى مداراة أمره يوماً بعد يوم كلما مارس مهمته مثقفاً أو كاتباً أو فناناً. وعندما يحاول البعض الاستفادة من الهامش الذي يكتشفونه في تصدعات النظام، وينجحون، سرعان ما تكمم أفواههم بحرمانهم من الجمهور الذي يريدون الوصول إليه. فأفلام عمر أميرالاي التسجيلية التي أنتجها في سورية لم تعرض في سورية إلا في بداية الحركة الثورية الحالية (أي بعد 15 آذار 2011) وفي المركز الثقافي الفرنسي! في حين أن فيلمه الشهير الذي شاركه فيه الكاتب والمسرحي سعد الله ونوس، الحياة اليومية في قرية سورية، لم ير النور في سورية رغم أن المؤسسة العامة للسينما، وهي مؤسسة سورية من القطاع العام ، هي من أنتجه!

وعلى أن تكميم الأفواه كان هو النظام السائد في سورية مثلما كان كذلك في تونس أو في ليبيا، فإن المثقفين السوريين استطاعوا بجرأة ملحوظة أن يعبروا عن رأيهم ومعارضتهم بوضوح لا لبس فيه: ففي عام 2000 وقع 99 من المثقفين والفنانين بياناً حمل رقم عددهم يطالبون فيه بالحرية وبالإصلاح وبالديمقراطية، ثم في عام 2005 حين قام عدد من الأحزاب الممنوعة وبعض الشخصيات العامة بتوقيع إعلان دمشق للتغيير الديمقراطي. وما جرى للذين وقعوا على هذا البيان أو ذاك باتت معروفة من قبل الجميع.

خلال أربعين عاماً ونيف، نحن كما نرى، أمام وضع أقصى، وضع لم تكن الحياة الثقافية فيه سوى حياة سطحية، أرغم فيه المثقف على أن لا يهتم إلا بشؤون حياته اليومية!

الربيع العربي وتحطيم الصورة النمطية للقائد الضرورة

● ثائر الزعزوع

بداية، قد لا تنجح ثورات الربيع العربي، وقد لا تحقق النقلة النوعية المرجوة، وربما لا تتناسب نتائجها مع التضحيات التي قدمت خلالها وبعدها، فهي قد لا تجلب الديمقراطية المنشودة، ولن تنقل الدول الثائرة بطبيعة الحال من مصاف العالم الثالث إلى مصاف العالم الأول أو الثاني على أحسن تقدير، لكن المؤكد أن هذه الثورات استطاعت بعد عقود طويلة الانتقال إلى مرحلة جديدة من نظام الحكم، مرحلة لا يكون فيها الحاكم أقرب إلى «الكمال» إن لم يكن هو الكمال بحد ذاته.

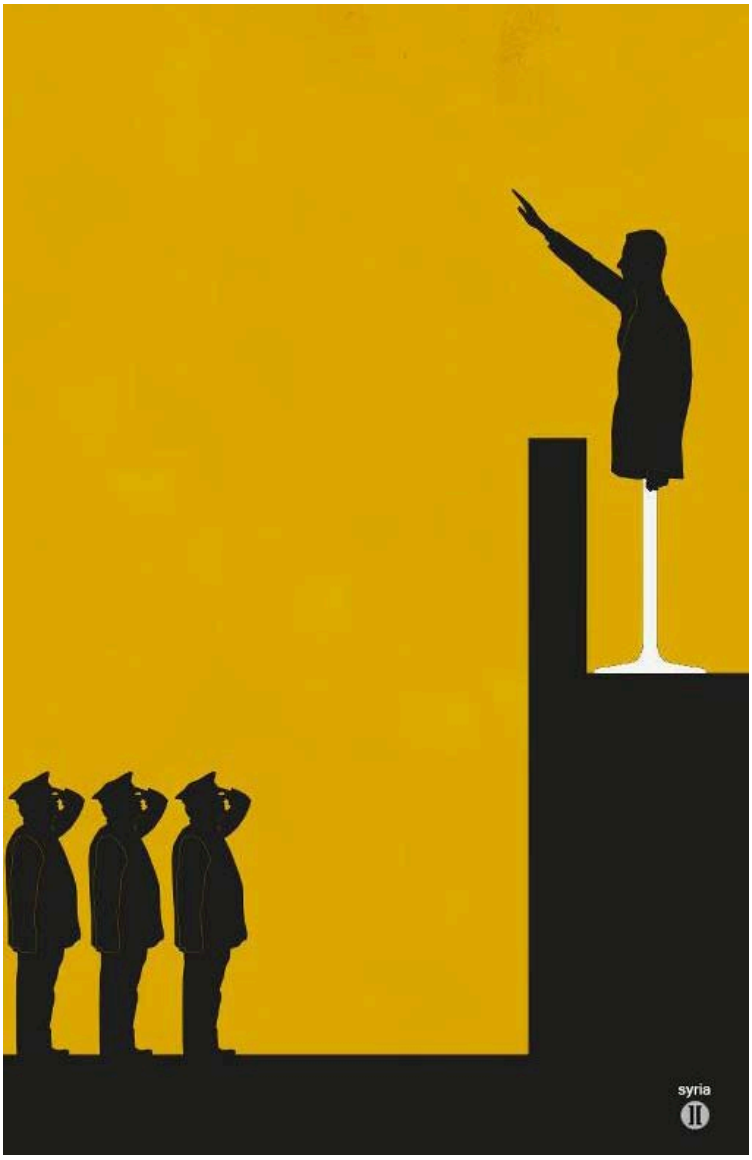

في المشهد الأول، والذي لا بد من تذكره دائماً، بدا الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي مرتبكاً بطريقة غريبة وهو يقوم بزيارة محمد البوعزيزي الشاب الذي أقدم على إحراق نفسه، بسبب الكم الكبير من الألم الذي كان يعانيه، الألم كان، وفقاً للوقائع، سببه الرئيس نفسه، الذي فشل في وضع إطار للتنمية يتناسب مع قدرات الشباب التونسي، ما جعل تونس بلداً يعج بالعاطلين عن العمل، طبعاً أوروباً والولايات المتحدة فيها نسبة كبيرة من العاطلين عن العمل، لكن الحاكم في تلك البلدان لا يتحمل بمفرده المسؤولية عن كل ما يحدث في ظل وجود مؤسسات تعمل وتراقب وإعلام قادر على إحراج الحاكم، وكشف أخطائه أولاً بأول، بل ومحاسبته، وجعله يقف أمام البرلمان، ويعترف بأنه قصر، أو أخطأ، كذا...

لكن الحالة التونسية التي فجرت فيما بعد ثورة عارمة أطاحت بزين العابدين، يتحمل هو شخصياً المسؤولية عنها، فالدول العربية، وتحديداً تلك التي تولى زمام أمورها قادة يعتقدون أن تلك البلاد تؤول إليهم ولعائلاتهم بالتبعية، و أنهم هم فقط من يمتلكون القدرة على إنعاش تلك البلاد أو إفقارها، والثانية هي القاعدة أما الأولى أي الإنعاش فهي

استثناء. فالحاكم بصورته «الصدامية» نسبة إلى صدام حسين، تحول من أعلى موظف في الدولة، إلى دولة بأكملها، واقترنت الدولة باسمه، ولعل التسميات التي يطلقها متزلفو الأنظمة ومنافقوها رسخت تلك الفكرة، وحولتها إلى حقيقة دامغة، فعراق صدام، وجيش صدام، وكذا سوريا الأسد، وجيش الأسد، وستكون سوريا بصيغتها «الأسدية» نموذجاً متفرداً حقاً، وستفوق عراق صدام في نواحٍ كثيرة، المهم هنا متى بدأ الأمر، وكيف ينتهي؟.

الزعيم

لا يختلف اثنان على الشعبية الواسعة التي لا زال يتمتع بها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، فقد اكتسب وبلا منازع لقب الزعيم القومي، الذي نقل مصر من الحالة «الملكية» إلى الحالة الجمهورية، واستطاع أن يكسبها بعداً عربياً لم تكن تمتلكه قبل ذلك، وقد نسجت حول عبد الناصر تحديداً حكايات وحكايات عن مدى «إخلاصه» و «تفانيه» في خدمة قضايا «الأمة العربية» لكنه وعلى الصعيد المصري ظل إنجازه الوحيد متمثلاً في بناء السد العالي، وهزيمة حزيران عام 1967 التي شكلت انتكاسة في الوعي الثقافي والسياسي العربي، وغيرت الصورة المحببة لعبد الناصر، وسوف يُلقى باللائمة في تلك الهزيمة على كل شيء وسوف يستثنى عبد الناصر «العسكري» الذي خرج على الناس مستثمراً بلاغته وقدرته الخطابية ليعلن تنحيه عن الحكم فتعيده الجماهير المأخوذة تماماً بالظاهرة في مشهد لن يتكرر بعد ذلك إطلاقاً في منطقتنا العربية، وتستمر حكاية صعوده، وإن بتقهقر، ومحاولاته توسيع رقعة انتشاره من خلال مباركته لبعض الشخصيات العربية التي ستسير على نهجه، وسترتكب الأخطاء نفسها التي ارتكبها وإن بطرق مختلفة.

متوالية عبد الناصر

أفرزت الصورة المحببة للضابط المصري جمال عبد الناصر أنموذجاً لزعيم طال انتظاره، وسيم قادر على الخطابة، لديه تلك «الكاريزما» التي كانت الشعوب العربية تفتقدها، في ظل زعامات «رخوة» سبقته، افتقدت على الأقل إلى ذلك الحضور الجماهيري والقرب من «روح الشعب» وهي أي تلك الزعامات، ومن بينها عبد الناصر تنحدر في الأصل من بيئات اجتماعية متوسطة أو فقيرة، ولذلك فقد رأت فيها «الجماهير» حلماً طال انتظاره.

أفرزت المرحلة التي أعقبت رحيل عبد الناصر، وبعد ذلك بقليل عدداً من الضباط الذين رأوا فيه أباً روحياً، وحاولوا تقليده سواء في أدائه الخطابي، أو في توسيع أحلامه، وطوباويته، وكان معمر القذافي أول مقلدي ناصر وصولاً إلى السلطة فقفز على السلطة من خلال انقلاب عسكري، وقد بارك عبد الناصر خطوة القذافي المتسلح بالمشروع القومي، واعتبره، في خطاب شهير له، أملاً للأمة.

انطلق معمر القذافي في رحلته لتكريس نفسه زعيماً، فقوض بطريقة عجيبة أسس الدولة الليبية، وحولها من ملكية إلى «جماهيرية» وهي تسمية أتبعها بمشروع فكري، أطلق عليه تسمية الكتاب الأخضر، وكان يهدف من خلال توسعه أفقياً وعمودياً ومشاريعه الوهمية في الغالب إلى الاستحواذ على الأجواء، فتصدر المنصات خطيباً، يتحدث في كل شيء، ويحاول إثارة حماسة الجماهير من خلال سيل الشتائم والاتهامات المجانية التي كان يوزعها ذات اليمين وذات الشمال، سيراً على مبدأ «الجمهور عايز كده» لكن القذافي ورغم كل ما فعله، والحالة الاستعراضية التي كانت تميزه، لم يستطع أن يصبح زعيماً جماهيرياً على مستوى الوطن العربي، كما كان ناصر، بل على العكس تحول «الأخ القائد» كما كان يطلق عليه إلى أراكوز يثير الضحك في الاجتماعات التي كان يحضرها، فبحث عن سبل جديدة، واتجه إلى إفريقيا ليكرس نفسه زعيماً هناك ولينال لقب ملك ملوك إفريقيا، مبذراً وحسب أرقام وإحصائيات مليارات الدولارات على شراء الزعامة الوهمية التي تطايرت منذ الأيام الأولى لانتفاضة الشعب الليبي ضده، حيث بدا مهزوزاً غير متوازن، وسقط سقوطاً مدوياً، وسوف ينسحب من الذاكرة شيئاً فشيئاً، ولعل بعض كتب التاريخ ستؤرخ لحقبته على أنها كانت حقبة ضائعة في تاريخ ليبيا المعاصر.

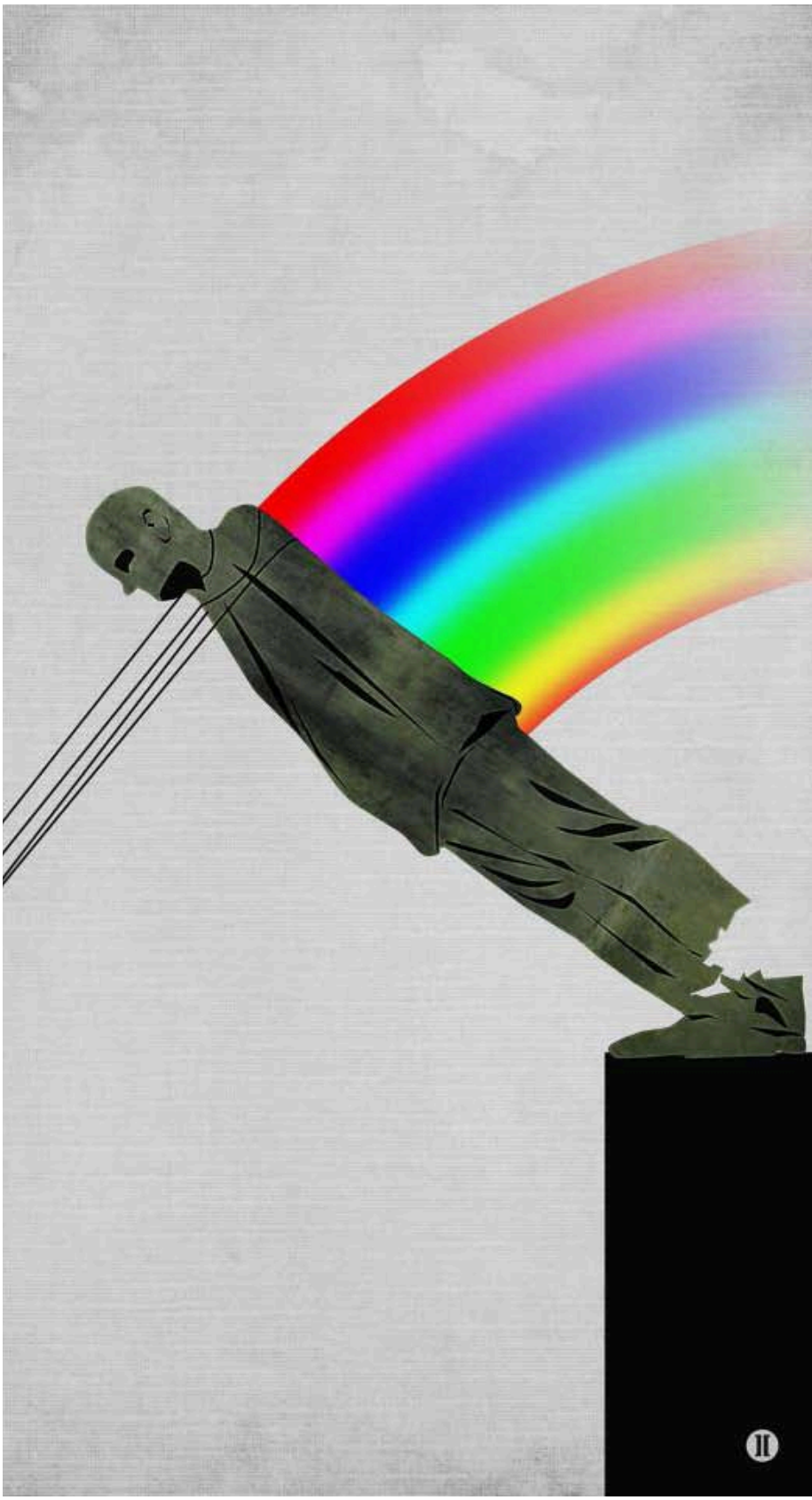

الضابط الآخر الذي سار على هدى عبد الناصر كان حافظ الأسد، وهو يختلف بشكل كلي عن القذافي حليفه لسنوات طويلة، فهو كان أكثر توازناً، وأقل إثارة للهرج والمرج، لكنه بالمقابل رسم لنفسه خطاً يتجاوز حدود سوريا التي وصل إلى سدة الرئاسة فيها بانقلاب عسكري أطاح بالحكم المدني الذي كان قائماً قبله، ووضع قادة الدولة جميعاً في السجن، بزعم أنهم انحرفوا عن المسار الثوري الذي كان يجب أن يسيروا عليه. وقد شكلت حرب تشرين- اكتوبر عام 1973 التي شنها مع السادات لاستعادة «الأراضي المغتصبة» فرصة لحافظ الأسد للظهور بمظهر الزعيم العربي، غير أن مفاوضات السلام التي أوصلت السادات لتوقيع اتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل أفقدت تلك الحرب بريقها، وشكلت صدمة لحافظ الأسد الذي بحث عن بدائل سريعة. فكانت لبنان خلال فترة حربها الأهلية فسحة له للخروج من إطار سوريا الضيق الذي لا يتسع لطموحه، في أن يصبح «زعيماً قومياً» مثل عبد الناصر، وقد استطاع الأسد أن يتحول إلى رقم صعب في المنطقة العربية، بسبب تدخلاته في مختلف القضايا، ولعل قضية فلسطين كانت ورقة رابحة في يده، فاستطاع اللعب بها مطولاً، إلا أن كل ذلك لم ينقله إلى مصاف الزعيم، وظل عبد الناصر وبعد سنوات على رحيله أكثر قدرة على التأثير في نفوس الجماهير، حتى تلك التي لم تعاصره، وظل البحث عن ناصر جديد غاية يسعى إليها جميع الباحثين عن السلطة في عالمنا العربي، إلى أن ظهر صدام حسين الذي لم يكن وعلى خلاف سابقيه عسكرياً، لكنه شارك في تدبير انقلاب على السلطة، وما إن صعد إلى سدة الرئاسة حتى بحث لنفسه عن صفة عسكرية، فمنح رتبة عسكرية وهمية هي رتبة المهيب الركن، وارتدى لباساً عسكرياً.

استطاعت الحرب العراقية الإيرانية أن تنقل صدام حسين من الإطار العراقي إلى إطار إقليمي وعالمي، وبدأ اسمه يشغل المواطن العادي، بسبب خطاباته النارية التي كان يحذر ويهدد فيها، وطيلة ثماني سنوات هي عمر تلك الحرب ظل صدام حسين يتصدر المشهد العربي كشخصية بارزة لكن دون أن يتحول إلى زعيم بالمفهوم الناصري إياه، ولهذا وما إن وضعت الحرب أوزارها وشعر «القائد الضرورة» أنه سيفقد بريقه، حتى بحث عن امتداد جديد فكانت حربه على الكويت واحتلالها وما رافقها من حالة خطابية وأكاذيب سوق لها بعض حالمي القومية العربية، الذين بدأوا يتلمسون في صدام زعيماً قومياً يسعى «لتحرير فلسطين» وهذه الفكرة بالذات كانت نقطة التقاء لكل أولئك الذين يريدون التحول إلى زعماء بدءاً بعبد الناصر الذي هدد بإلقاء إسرائيل في البحر، وصولاً إلى صدام حسين الذي اعتبر أن احتلاله الكويت الجارة العربية هو بداية زحفه باتجاه تحرير القدس، لكن تلك المغامرة الحمقاء التي لم يحسب «القائد الضرورة» حساباتها انقلبت عليه، وأفقدته كل ما كان قد اكتسبه في حربه الطويلة مع إيران، وعاد لينزوي في العراق المدمر بعد الحرب، دون أن يتمكن، فيما بعد، من إصلاح شيء مما أفسده بعد أن فرض على العراق حصار اقتصادي وعسكري، أعاده سنوات طويلة إلى الوراء.

آخر الجنرالات الانقلابيين الحالمين بلقب الزعيم كان بشار الأسد، وصحيح أن الأسد الابن لم يقم بانقلاب عسكري ويستولي على السلطة، لكنه قام وبمساعدة حرس والده القديم بانقلاب على الدستور، فاستولى على السلطة، بعد أن تمت ترقيته بطريقة كوميدية، وتحول ابن الرابعة والثلاثين إلى قائد للجيش السوري يؤدي التحية العسكرية له ضباط أمضوا سنوات تعادل سنوات عمره في الخدمة العسكرية.

سار الأسد الابن على خطى والده تماماً من خلال متاجرته بالقضايا الكبرى، وتحديداً قضية فلسطين، فاتخذ منها ذريعة للبقاء في لبنان كقوة احتلال، بعد أن زالت جميع أسباب بقاء القوات السورية هناك، وسعى بمساعدة منظري القومية أنفسهم لترسيخ نفسه زعيماً، وخاصة بعد زوال صدام حسين كلياً من المشهد إثر احتلال العراق، ثم إعدامه بعد ذلك، وبرز الأسد، قليل الخبرة السياسية، مرتبكاً وهو يرى أن لا مجد يمكن أن يصنعه، وأنه لن يتحول إلى زعيم ما لم يبحث عن حرب، تنقله إلى الواجهة، فهو فشل في الحالة الخطابية، وفشل في بناء علاقات عربية أو دولية صحيحة، على الرغم من الاحتضان الذي لقيه من قبل مختلف دول العالم، لكن خضوعه لمنظومة والده حال بينه وبين التطور من فكرة الزعيم إلى فكرة رئيس الجمهورية الذي يعمل على تنمية الدولة التي يحكمها، بل إن أمور الأسد الابن ازدادت سوءاً إبان اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري، وقتها كاد سيناريو انزواء صدام يتكرر مع الأسد، لكن علاقته الوثيقة بإيران، التي تسير حزب الله في لبنان مكنته من تصدر المشهد وإن بصورة غير مباشرة، ففي العام 2006 خاض حزب الله مغامرة جلبت حرباً إسرائيلية على لبنان، وقد وقفت غالبية الدول العربية ضد تلك المغامرة، فيما تصدر الأسد المشهد مؤيداً لحزب الله، على مبدأ خالف تعرف، بل إنه استعدى الدول العربية التي كانت حتى وقت قريب مستعدة للمساهمة في إطلاق التنمية في سوريا التي كانت في ذلك الوقت تعاني أزمات اقتصادية خانقة، ولم يستطع الأسد وبعد مرور سنوات على توليه الرئاسة أن يغير شيئاً من الإرث الذي انتقل إليه من أبيه، وتحول إلى زعيم عند مؤيديه ومناصريه من حالمي القومية الذين كانوا مستعدين كل مرة لمقارنته بعبد الناصر مقابل منح استثنائية كانت تعطى لهم.

في المشهد الأخير، نهاية آذار مارس عام 2011 وبعد أيام من انطلاق الانتفاضة الشعبية ضد حكم بشار الأسد، وقف الأسد في مجلس الشعب يتحدث عن الوضع، كانت فلسطين، والمقاومة هي المفردات التي تنجح في جعل أعضاء مجلس الشعب يصفقون، ويهتفون لزعيمهم، حتى أن أحدهم وقف ليقول له: «إن سوريا قليلة عليه، وإنه يجب أن يحكم العالم» ابتسم بشار وقتها، فتلك الفكرة هي التي يبحث عنها، لكن في الخارج، خارج أسوار مجلس الشعب، كان آلاف السوريين قد بدأوا يحطمون صورة والده، منهين بذلك سنوات طويلة من مغامرات آل الأسد.

جيش السفياني

دمشق.. وقدر المحشر والمنشر

● د.محمد حبش

ما الذي يدفع هذه الوجوه الغاضبة القادمة بالرايات السود أن تتدافع إلى دمشق وتبدأ جهادها الدموي وفق أسس من قراءة الغيب تتناقض بالمطلق مع أهداف الثورة السورية من الحرية والكرامة؟

في البداية كان أمرا ممتعاً أن تجد أدبيات مختلفة في التراث عن بلدك، بعضها من كلام الجن وبعضها من كلام الإنس، وأن يتحدث عن بلدك أنبياء ومرسلون وأولياء وقديسون، وغزاة وفاتحون، وشعراء وفلاسفة، وهذا قدر من الفخر تنافست فيه معظم مدائن العالم القديم، ولكل مدينة في الارض أولياؤها وقديسوها وقبابها الخضر والزرق، ولها تراثها في قديم الشعر وفرائد الحكمة، وهذا الولع بالمأثور دفع كثيراً من المؤلفين ليقوموا باختصاص بلاد بحالها برواية فضائلها ومآثرها، ولم يقتصر الأمر على بلاد القبلة في مكة والمدينة والقدس بل امتد ليشمل من هذه البلاد ما شاءه هوى الفاتحين، فهناك تاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ بغداد للبغدادي وفضائل الشام للسمعاني وفضائل الشام ودمشق للربعي، وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم وفضائل مصر المحروسة لأبي عمر الكندي وإتحاف الأعيان بذكر ما جاء في فضائل عمان.

وفي قزوين مثلاً صنف الشيخ الرافعي القزويني كتاب التدوين في أخبار قزوين، وبدأه بحديث منسوب إلى الرسول الكريم: اغزوا قزوين فإنها أعلى أبواب الجنة، وحديث آخر أشد إثارة للعاب الغزاة: يفتح عليكم الآفاق، ويفتح عليكم مدينة، يقال لها قزوين، من رابط فيها أربعين صباحاً كان له في الجنة عمود من ذهب، على رأسه قبة من ياقوتة حمراء على رأسها سبعون ألف مصراع على كل باب منها زوجة من الحور العين.... وما قلناه في قزوين هو نفسه ما ورد في فضائل خراسان وسجستان وطالقان وكرمان وأنطاكية وقبرص وأرمينية، وهي نصوص يتم استدعاؤها كلما أرادتها السياسة، ونادى جيش السلطان: يا خيل الله اركبي.....

كل أحد جدير أن يباهي ببلده، وكل فتاة بأبيها معجبة، وهذا قدر يشترك فيه كل سكان هذا الكوكب، فالأرض كروية، وكل نقطة فيها تستحق أن تكون مركز العالم، ولكل منها مطلع وغروب، تطل فيه الشمس نفسها والقمر إياه وتضيء ليله نفس النجوم، وربما كان هذا شكل المساواة الوحيد في هذا العالم.

ولكن الكارثة تكمن عندما يتحول هذا الولع بأخبار الغيب البلدانية إلى وعود هرمجدونية دموية، فتصبح هذه المدائن محلاً لتأويلات قواضب السيوف الغاضبة، والبراميل المتفجرة، وقذائف الهاون، وتنفتح منها شهية الساعين إلى الشهادة على ركام من الموروث، وربما كان هذا أقسى قدر تعانيه اليوم مدينة دمشق.

ومباشرة إلى المشهد الميتافيزيقي الذي يوقد جذوة الموت في اثنين من أشرس الفرقاء المتحاربين في سوريا، وهما باختصار الجماعات الاصولية السنية والشيعية على السواء الوافدة إلى الشام، ومن أقسى أقدار دمشق أن الطائفتين من المتحاربين يمتلكان قدراً متساوياً من نصوص الغيب التي تأمرهم بالتوجه إلى الشام والقتال فيها.

وهنا في غمرة القتال في سبيل الغيب الموعود تغيب كل ملامح القتال من أجل الحرية والكرامة والأمن والاستقرار وحقوق الإنسان، وتبدو هذه الشعارات سمجة وباردة ولا معنى لها عند هؤلاء الذين يقتحمون الهول من آفاق الأرض إلى دمشق الشام حيث الملحمة الكبرى واللقاء الفصل بين الدجال والمهدي، وما يتبع ذلك من كوارث لا تنتهي.

الحديث في القراءة الشيعية كارثة مدمرة لأنه يفترض أن دمشق هي أرض هرمجدون التي ستشهد ملاحم نهاية التاريخ وسيتم فيها تقديم قرابين الشهداء قوافل قوافل حتى يتم اقناع المهدي المنتظر بالخروج ومن ثم القتال والثار من كل من ظلم آل محمد أو سكت عن مظالمهم وهذا قدر يشترك فيه القاعدون عن نصرة أهل البيت ومن تسلسل من ذراريهم، وبهذا المعنى فلا يوجد أحد في هذا الشام الشريف مبرءاً من وصمة هذه الخطيئة.

الحسينيات والمزارات اليوم التي يرتادها مائتا مليون من الشيعة في إيران والعراق والهند وباكستان ولبنان وطاجكستان تروي الأحداث بصيغة واضحة مهورة بخاتم آيات الله وحجج الإسلام وأهل البيت والراسخين في الولاء لأهل البيت كلها تؤكد أن جيش السفياني الذي تحدث عنه الرسول الكريم قد ظهر اليوم بكافة تفاصيله وألوانه وملامحه في دمشق، وهو الجيش الحر وجبهة النصرة وداعش التي يجمعها شيء واحد هو إقرار خلافة الثلاثة قبل علي وهذا وحده سبب كاف لاعتبارهم نواصب أعداء يجب قتالهم، وأن خروج المهدي سيكون بدافع هذا القتال المرير.

وحديث السفياني ورد في ثمانية مصادر في كتب الحديث عند أهل السنة وعشرة أضعاف ذلك عند الشيعة، أشهرها في بحار الأنوار وغيبة النعماني وإلزام الناصب، حيث يظهر السفياني على الشام، فيملك حمص ودمشق والأردن وقنسرين وبيت المقدس، ثم تكون هزة فيقتل من الناس مائة ألف، ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسا حتى تشبع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم، (وقرقيسا بلدة تاريخية قرب دير الزور، تسمى اليوم بالبصيرة) ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان .. وينزل الترك الحيرة وتنزل الروم فلسطين، ويسبق عبد الله المهدي حتى يلتقي جنودهما بقرقيسيا على النهر، ويكون قتال عظيم، ويسير صاحب المغرب، فيقتل الرجال ويسبي النساء.

ثم تأتي رواية (شريفة) لترسم ملامح الصراع اليوم بين الرايات الثلاث، الأبقع والأصهب والسفياني، وليس عسيراً أن يفهم المحارب أن هذه الرايات الثلاث هي الجيش الحر وداعش وجبهة النصرة.

والرواية عن الإمام الباقر: يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون فيقتله السفياني ومن تبعه، ويقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الاقتتال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيسيا فيقتتلون بها، فيقتل بها من الجبارين مائه ألف، ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة.

ومع أن صيغة الروايات بمجملها تكفي العاقل ليدرك أنها مما وضعه دجالو الرواية إبان سقوط الدولة الأموية لإغراء محاربي الفرس للقدوم إلى الشام واستكمال نكبة بني أمية والتنكيل بقبورهم وآثارهم، وقد كان هذا هو خطاب المرتزقة والمنحبكجية وفق ما قاله سديف بن ميمون:

فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا تغادر فوق ظهرها أموياً

ولكن هذا التأويل التاريخاني لهذا اللون من الروايات لا يقنع أحداً من هذه الجماهير الهائجة التي يمكن أن يثيرها قوال في لطمية أكثر مما يثيرها شيخ الأزهر، حيث تعصف هذه الروايات بدم الهائج وعصبه وروحه وتدفعه من فوره حطباً لهرمجدون اللاهبة في دمشق الشام حيث سيتم قتل السفياني ونزول المسيح وخروج صاحب الزمان من سردابه حيث يستل سيفه ويطارد أعداء أهل البيت من نازعهم الخلافة ومن شايعهم ووالاهم إلى يوم القيامة.

والحديث في قراءة السلفية الجهادية كارثة من لون آخر. فأحاديث الملاحم لا تتوقف في روايتها. وقد جمعها البرزنجي في كتابه الإشاعة في أشراط الساعة وكذلك كتاب الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة لصديق حسن خان القنوجي. والكتابان يوردان أكثر من ألف رواية فيما يكون آخر الزمان. وقد قام أبو القعقاع الشيشاني وأبو مصعب التونسي وأبو رفاعة اليمني وأبو المعتصم الليبي بإسقاط قراءاتهم وتأويلاتهم عليه وفق هدي السلف واختيار المحققين من علماء الرواية. فيكون الأصهب والأبقع والسفياني أسماء لتشكيلات حزب الله ولواء ابي الفضل العباس والرايات السود وغير ذلك من الرؤى. التي لا بد أن تظهر في دمشق التي هي أرض المحشر والمنشر!

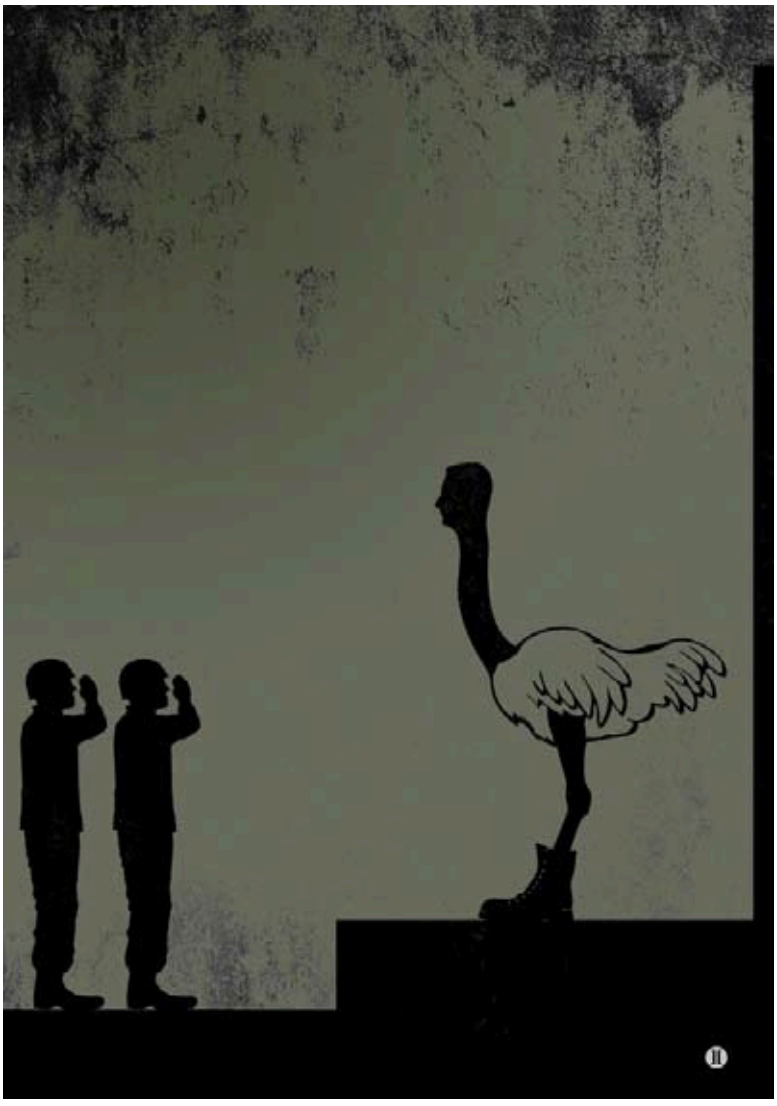

وفي النهاية الصورة واحدة. هناك دجال وهناك مهدي. ولكن أدوار القاتلين متناوبة فالقتل هذه المرة حمٌّ حتم. كتبه الله على أهل الحق. حين تكثر الملاحم والفتن. فالأولون يقتلون في الشام النواصب والآخرون يقتلون فيها الروافض. ويقاتل الأولون لهلاك أعداء أهل البيت ويقاتل الآخرون لهلاك المبتدعة والزنادقة والصوفية والمتشيعة. وفي غمار معركة كهذه فإنه لا بأس بزهوق الأرواح والانفس.

والكارثة أن الشعب المسكين الذي تقتله القذائف لم يسمع أصلاً بهذه الروايات. ولم يخرج يوماً من أجل أي منها. لقد كانت صيحات بريئة هتف فيها للحرية والكرامة والديمقراطية وحقوق الإنسان. ولم يخطر في بال ثائر في هذه الثورة المباركة أنه خارج من أجل أي من هذه الأهداف الموهومة.

ولعل أخطر ما تم تبريره في هذا الجانب فكرة: يبعثون على نياتهم. وهي عبارة وردت في رواية البخاري عن عائشة: يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم. قالت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم (السوقة. العوام) ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم!! والحديث متفق عليه. وهذا لفظ البخاري.

وهذه الفكرة الواردة في البخاري يعتنقها بشكل يقيني دعاة السلفية الجهادية. الذين يقولون أننا نقاتل بسيف الله كل ضال ومشرك. وكل من لم يعرف عدد ركعات الصلاة!! وأن المطلوب هو الإثخان في القتل والنكاية بالعدو. وأما مسألة الأبرياء فهي محلولة بعبارة: يبعثون على نياتهم. وفي هذه الحالة فإن ما يصيبهم من شظايا القنابل فيهلكون به هو طهرة لهم وبراءة. ويبعثون يوم القيامة على نياتهم. وليس لدى القاتل هنا أدنى شك في أنه قدم إليهم خدمة العمر. ولن تصيبه أدنى وخزة ضمير. بل هو ينتظر شكرهم وشكر ذويهم لأنه نقلهم

من دار الفناء إلى دار البقاء ومن دار الجوع والفقر إلى جنات الخلد والحور العين. وهم سيبعثون على نياتهم. وهذه الدنيا فانية وما عند الله خير وأبقى وهو يتولى الصالحين.

من المؤلم ان فكرة الخلاص بالمنتظر مسيحاً أو مسياً أو مخلصاً أو مهدياً نشأت في الأصل لإحياء الأمل لدى شعوب ترتع في المظالم وبالمناسبة فهي فكرة ذائعة الصيت لدى كل الأمم. وللمسيحيين واليهود والبوذيين والهندوك والأرواحيين أساطير مشابهة تتحدث عن المخلص في آخر الزمان. وعادة ما يكون خروجه أو الأمل بخروجه هو الأمل بالسلام والحب والعدل والرخاء. ولكن هذا المخلص في نسخة الصراع السوري اتخذ طابعاً يهودياً. يشبه ما كان اليهود ينتظرونه قبل مبعث الرسول حين كانوا يستفتحون على الذين آمنوا ويقولون يوشك أن يظهر نبي آخر الزمان فينا. فنقتلكم به قتل عاد وإرم!! لعنة الله على بشارة بنبي موعود رسالته أن يقتل الناس. أو كما تعبر بعض بياناتهم عقب انتصاراتهم الدامية اليوم: جئتكم بالذبح وأنا الذباح الرحيم.

الكارثة أن الأسطورة هنا تتحول إلى خطة طريق. وترسم لكل فريق أصدقاءه وأعداءه وفق إرادة رجل الدين المطل على الميتافيزيق. والذي يكون بالضرورة علم أم لم يعلم جزءاً من لعبة سياسية شريرة. آخر ما تفكر به هو حقن الدماء ونشر السلام.

ويمكنني أن أقول بدون تردد إن أهم باعث لتقاطر قوافل المحاربين من سلفية جهادية ومن شيعية مقاتلة إلى دمشق هو هذه القراءات الدموية في الغيب. ومن المؤكد أن هذا التأويل لا يرضي القيادات المستنيرة في الفريقين. ولكن يجب الاعتراف أن صوت الاعتدال لا يسمع في طبول الحروب وأزيز الرصاص. وللناس في يوم الحرب مرجعيات أخرى من نوع أبو صقار وعبد الحسين. وهؤلاء هم من يقوم اليوم برسم خطة الطريق الدامية لقوافل الموت.

في تساؤل بريء كتب الصديق وليد فليون على صفحته: الأحاديث متواترة في أن الملائكة باسطة أجنحتها على الشام. أنا لا أنازع في هذا. ولكن الملائكة هنا هي عزرائيل بكل تأكيد!

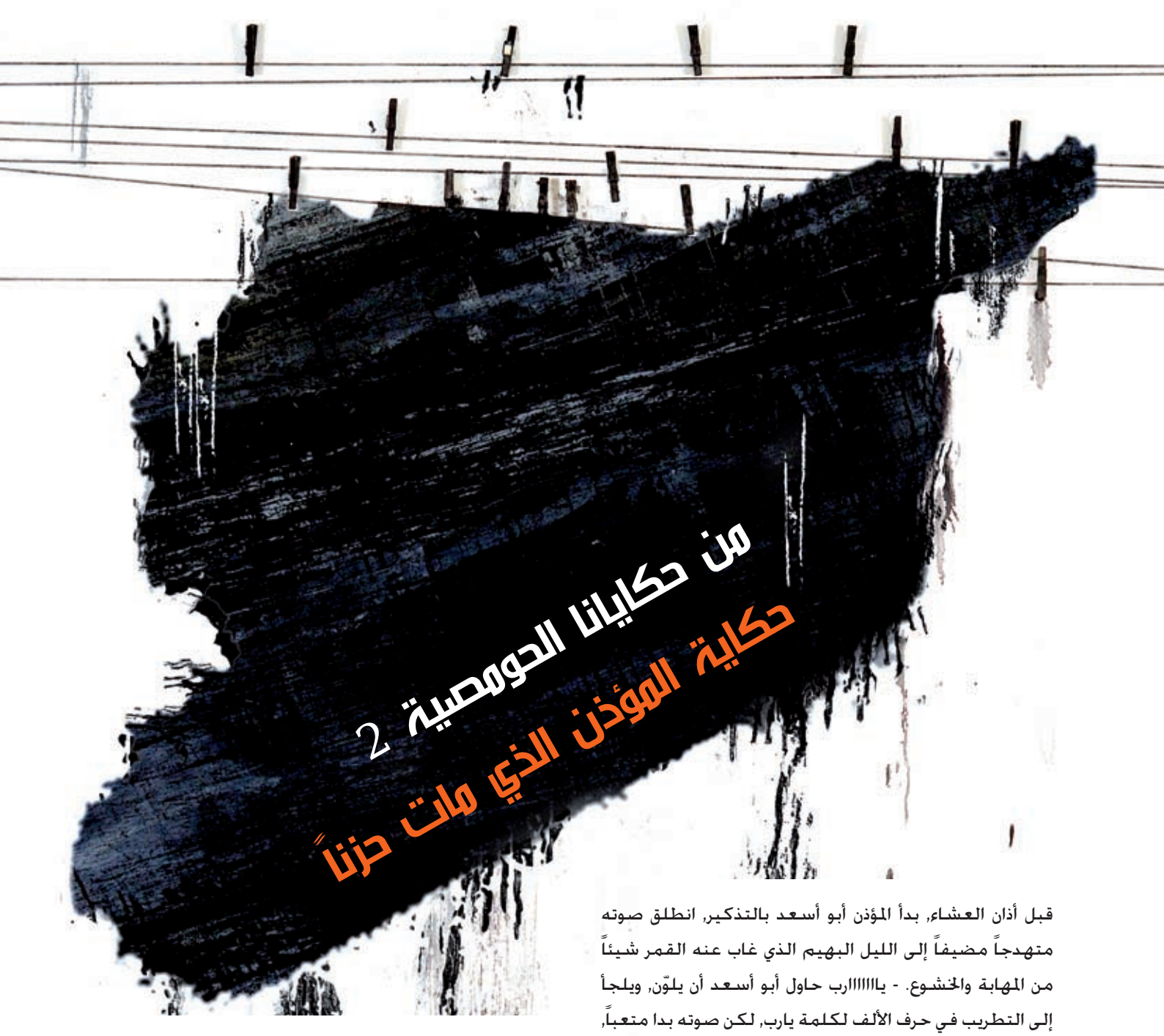

من حكايانا الحومصية 2
حكاية المؤذن الذي مات حزناً

قبل أذان العشاء, بدأ المؤذن أبو أسعد بالتذكير, انطلق صوته متهدجاً مضيفاً إلى الليل البهيم الذي غاب عنه القمر شيئاً من المهابة والخشوع. - يااااارب حاول أبو أسعد أن يلوّن, ويلجأ إلى التطريب في حرف الألف لكلمة يارب, لكن صوته بدا متعباً, وزفير رئتيه بدأ يتقطّع. - يارب هيء لنا من أمرنا رَشَدَاً.. بدأ أبو أسعد يخرج عن نغمة الصبا, وحبس دمعة ذهبت بصوته إلى مقام غنائي آخر. وداخل غرفة الأذان الصغيرة كان الرجل يستند بيده اليسرى إلى الحائط, ويضم بكفِّهِ اليمنى أذنه بوضعية مناسبة تسمح له أن يسمع صوته مفخماً لارتداد صدى صوته في أذنه وهذا يساعده على تجويد أداءه, لكن محاولته باءت بالفشل هذه المرة. ورغم أن أذان جامع سيدي خالد بحمص مميز جداً, ففيه دفء ونداوة وشيء يشبه السحر, شيء يشدُّك إلى الفطرة الأولى, ويأخذ بك إلى رومانسية دينية, سمِّها إن شئت تصوّفاً في عتباته الأولى , أو تذوّقاً روحياً تمهيدياً, يشبه إلى حد بعيد أصوات الآلات الموسيقية التي يضبطها الموسيقيون, قبل البدء بعزف سيمفونية جليلة أنت تذهب إليها قبل أن تأتي إلى روحك, أو تسمعها كأنك أنت المؤلف وقائد الأوركسترا والعازف والجمهور المحتشد, رغم ذلك بدا أداء أبو أسعد نشازاً درامياً.

بكت النساء في بيوتهنَّ حين سمعنَ أبا أسعد, وحوقل الرجال واحتسبوا لله, واقتعد الأولاد يقرأون المعوذات وآية الكرسي بأوامر من أمهاتهم. - واجعل معونتك العظمى لنا سنداً. توقف أبو أسعد عند هذا المقطع مرات عديدة, وكرَّر « معونتك العظمى» عدة مرات, وسُمع نشيجه المكتوم عبر مكبرات الصوت المثبتة على مئذنتي المسجد. - واجعل معونتك العظمى اااا, لناااااااا سنا دااااا... لم يستطع المؤذن أن يكمل التذكير المعتاد, وهرب سريعاً إلى التكبير مبتدئاً بأذان العشاء قبل دخول الوقت بخمس دقائق. جاء المصلون إلى المسجد, توافدوا من كل أحياء حمص, ودائماً يأتي الكثير من الحمامصة ليصلوا في مسجد خالد بن الوليد, فالصلاة فيه فيها بركة وروحانية كما يقولون, وكثيراً مايتقصَّد الحمصي أن يذكر في حديثه أنه صلى في جامع سيدي خالد, هم لايقولون مسجد خالد بن الوليد, حتى الحمامصة في الأحياء المسيحية يقولون عنه جامع سيدي خالد.

حنين

وفي الحديقة الواسعة المحيطة بالجامع وقف شبّان وفتيان وفتيات ونساء, ومنهم من اقتعد داخل الحديقة, لم يدخلوا للصلاة, بل كانوا على موعد للقيام بمظاهرة إثر مجزرة الساعة الجديدة التي نفذتها القوات الحكومية بحق المعتصمين ليلة 18 نيسان 2011, واستشهد فيها حوالي 300 معتصم. كرنفال حقيقي وجميل خارج المسجد, خلية نحل تعمل بجد وحب وفرح, كانوا يجهّزون الأعلام واللافتات والألواح الكرتونية, وينتشرون فرادى وجماعات, يضبطون جوالاتهم للتصوير, وهناك عند النصب التذكاري كان ثمة شباب وصبايا يجهّزون للبث الفضائي عبر السكايب لقناة الجزيرة. والبعض تحلّق حول عبد الباسط ساروت وفدوى سليمان. وعلى يسار الباب الرئيسي للمسجد تحلّق الكثير من الشباب والصبايا حول شاب كان يوزع إليهم السُلَك أو الشماخ لكي يخفي المتظاهر أو المتظاهرة وجهه خشية الانكشاف على رجال الأمن, وأكثر من كان يخفي وجهه هم أولئك الشباب والصبايا الذين قدموا من الحارات المسيحية والموالية. في الداخل أقيمت صلاة العشاء, وتقدم الإمام إلى المحراب, وقف فيه وتمتم بدعاء ما ثم التفت إلى اليمين نحو المصلين الذين كانوا يتراصفون ويرصُّون الصفوف ويغلقون الفُرَج.. - استووا إلى الصلاة... وتبسّم الإمام على غير عادته حيث لاحظ البعض ذهاب وقاره كلية. ثم التفت إلى يساره نحو المصلين وأردف - يرحمني ويرحمكم الله ... لم يتمالك الإمام فصار يضحك, ثم التفت يمنة ويسرة بحب وكررفي كل التفاتة - المسجد بوجودكم صار أحلى... ضجَّ المسجد بالضحك والقهقهة, بسبب أن الكثير من الشباب المسيحي دخل يصلي العشاء, ونسي أن يخفي الصليب المعلّق في الرقاب, أبو أسعد المؤذن لم يضحك, بل أطرق وابتسم ومنع دمعه من الانحدار على خديه. كبَّر الإمام التكبيرة الأولى وقرأ الفاتحة وأتبعها بآيات طويلة من سورة مريم كرمى للضيوف. انتهت صلاة العشاء, وفور انتهاءها هدر المسجد كله - لاإله إلا الله. لاإله إلا الله. حرية. حرية. حرية... وردّ من كان ينتظر خارج المسجد بعد أن سمعوا أهل الداخل يهتفون.. - حرية للأبد غصب عنك ياأسد.. وبلحظة واحدة ارتفعت الأعلام واللافتات واللوحات الكرتونية وارتفعت قبضات الأيادي وانقذفت إلى أمام ووراء بالتزامن مع إيقاع الهتاف الذي شق عنان السماء. خرج المصلون إلى المظاهرة وبقي في المسجد الإمام ورهط من كبار أهل حيّ الخالدية وبعض مرافقي الإمام, مع أبي أسعد المؤذن.. - ياأبا أسعد نعرف مابك, وقلوبنا معك. هذا أمر الله وتقديره, وأنت إنسان مؤمن. لاتعترض على حكم الله بحزنك. خاطب الإمام أبا أسعد. - الله يرحمو, راح شهيد, هلق بكون قاعد بالجنة مع الحوريّات. لك شو بدّك أحسن من هيك أبو أسعد؟! قال له أبو صبري المتزوج من أربع نساء مُتلمِّظاً. - نُقدِّرُ أنك أب, وأسعد والله زينة الشباب. خاطبه الأستاذ عبد الجليل مدرّس التاريخ المتقاعد. - المكتوب مامنُّو مهروب شيخي, إي أنا امبارح امبارح, بذات اليوم اللي استشهد فيه أسعد الله يرحمو, راح لي جوز حمام بربريسيات بياخدو العقل. والله انشلع قلبي عليهن. إي؟! وشو بعمل يعني؟! بحط الحزن بالجُرن؟! قال له أبو سالم الحميماتي. أمسك الإمام بيد أبي أسعد بحب وقال: - لذلك رأينا أنا وإخواني أن ترتاح من مهمة الأذان ياأبا أسعد, ريثما يذهب حزنك وتنجلي غمتك. - ولجنة الحي والأجاويد شايلين إلك هالمبلغ. قال له أبو سمير عضو لجنة الحي والمسجد. تجمَّد الدم في عروق أبي أسعد, ونظر في الزاوية حيث ضريح الصحابي الجليل, أصابه الخرس والدهشة والعجب وزاده كلامهم حزناً فوق حزن, وبصعوبة قال لهم: - كثَّر الله خيركم. حتى الأذان تريدون أن تأخذوه مني؟!. وتقدمون لي صدقة؟!. تريدون أن يغضب مني أسعد؟! الله يسامحكم, الله يسامحكم. وانطلق سريعاً وغاضباً إلى بيته.. - أبو أسعد, ياأبو اسعد. نادى مدرس التاريخ. - لك ياشيخي وين روحت؟ قال له أبو سالم الحميماتي. - لك والله من أجل أن ترتاح, مو أكثر. رفع صوته أبو سمير. - الله يفرّج همك. قال الإمام. - ابنو أسعد الله يرحمو وحيد على سبع بنات, وأبو أسعد كان شايف الدنيا من طيز إبنو يازلمة, مع عدم المواخذي شيخي. شرح لهم أبوصبري أبو أربع نسوان. شقَّ أبو أسعد طريقه وسط المظاهرة الملتهبة, أخذه الشباب, رفعوه على الأكتاف, وصرخ شاب قبالته كان مرفوعاً على الأكتاف من قبل: - كلنا أسعد, كلنا أسعد. وهدرت المظاهرة وراءه.. - كلنا أسعد, كلنا أسعد. - ع الجنة رايحين, شهداء بالملايين. هتف الشاب وهتفت الحناجر وراءه. - حرية, حرية, حرية .. هتف الجميع. تمتم أبو أسعد بكلمة حرية, صوته الضعيف الواهن شارك الجمع بالنداء, المطلب, الحلم. وصار يبكي, لم يُعرف سبب بكاءه, أهو الحزن على فقده لولده؟ أم هو الفرح للإرادة الجديدة عند الناس؟, ولم يعرف أي من المتظاهرين سبب بكاء المؤذن. البعض سمى بكاءه بكاء الجوكندا, كتشبيه لابتسامة الجوكندا المحيِّرة. عند صلاة الصبح في اليوم التالي, تساءل أهل الحي عن سبب غياب أبي أسعد عن الحضور إلى المسجد, وقرروا أن يذهبوا لزيارته بعد الصلاة.. لكن المؤذن.. كان.. قد مات.

كريم الحمصي

لعنة النسر

من مذكرات عصفور نازح

أفتح منقاري لألقي تحية الصباح على الشجر مرغماً، فلا أحد يشعر برغبةٍ في الإستيقاظ أو الطنين،طوال الليل كانت الأشجار تقنع الهواء أن ينام فأوراقها ذابلةٌ، يائسة من عناق أرضٍ أو زواج خريف فردتُ جناحيَّ فتكسرتْ أضلاعي، رسمتُ بشظايا ظلي بقية الطريق سمعتُ طبولاً تنكسرعلى سطح النهر، وطفولتي تنساب من بين أصابع الزمن الرديء، لم أؤمن بغير الماء نبياً فشربت الوقت بصبرِ المسافر التائه في صحراء الانتظار بحثاً عن غصنٍ أعلقُ عليه نفسي و لا أضيع مرة أخرى؛ آمنت بالماء فهو سبيلي الوحيد لأعرف الأخبار بعد جفاف الهواء، ماذا تذكرُ أيها العصفور ؟

حين تأكل النار ملاذك الوحيد و تمحي آثار مخالبك الصغيرة، فتهاجرُ مرغماً بغير موسم الهجرة، و قد لا تجد شجرة تفهم تغريدكَ هناك حيث لا تعرفُ أين تجبرك الرياح على الهبوط و بأي غيمة تخبئ خيبتكَ كل ما تذكرهُ و أنت تودع المدينة، و يكبر ظلك و يصغر المكان و يختفي هو أن رائحة النسر نتنة جداً في فتحات منقارك، و للصراع بقية و خيبة لا شيء سيغير تكوينه، و لن يأتي صباح لتستيقظ و تصبح لاحماً فجأة ولا تليق بالعصافير مثل تلك الأوصاف الدموية التي تغير هوية الريش لم يستطع أحداً إلا أن يمجّد النسر حتى حين يموتُ، يُحَنّط و يخلّدُ ذكرهُ لا يموت النسر أبداً بداخلكَ، ولو التجأت لنافذة مفتوحة هارباً من

حنين

معركة مع المطر الغزير و رأيت نسراً محنطاً على الحائط. جُنَّ. تأنَ و ترتعد من مصيرك المحتوم و حظك المشؤوم. لأنك وقعت في فخ الخوف الدائم ذلك هو النسرحين يجلس و تظهر عين الوحش فيه ويظن الآخرون أنه شموخ. و يقتل بشراسة و يظن الآخرون أنها كرامة و نعرف نحن فقط.

أولاد الشجر. عصافير الشقاء. أنها وحشية أين المسير الآن ؟
وجدتَ نفسك داخل العصفور أو وجدتهُ بداخلك.تصارعان الشبه الطفولة هي المحطة الوحيدة التي تستطيع البوح بها الآن و تعترف بكل أعمالك الشقية عن حُسنِ نيةٍ و تقول :
كنا لا ندرك من عواقب الأمور غير ما يسلي الشيطان الصغير فينا وقتها؛

الحي الذي ولدت فيه و ناسه البسطاء هم فرائس سهلةٍ لصياد ذكي يبتكر الشر مثلي. لستُ وحدي. معي عصابة من الأطفال لم يشعروا ما معنى الطفولة أبداً. كنا طرشاناً في الزفة. لم ندرك أنه سيأتي يوم ونضيع معنى اليد الواحدة التي هزمنا بها كل ما يخيف الأطفال و ننكر الكلام الذي فهمناه دون أن نقوله. فلا وقت للكلام في الطفولة المستعجلة. فعقلنا محصور بقطف الزعرور من الشجر بطمعٍ غير معقول دون غاية. و لحد الآن لم أفهم ما معنى أن نستلقي تحت الشمس ساعات نفرك وجوهنا بأوراق الزعتر البري و الشمس تأكل من جلدنا متجاهلين الحَرَ و التعب و حقل أبو أحمد الذي نُغيرُ عليه كل يوم بدون كلل و نغتنم منه ما نشتهي. و لم أكن مرة آخر الأطفال الهاربين أن خيزرانة أبو أحمد لا تبرح أحدنا منا حتى يغمى عليه ويقع على الأرض.

لم يكن مهماً لأحد منا إذا كان التفاح ناضجاً أم لا. في الليل تطير صواريخ الورق المزدحمة بالشتائم على باحة دار أبو أحمد و هو أيضاً لا يملُّ من قراءة الشتائم. يعرف أننا نراقبُ عجزه من مكان ما؛ و لا يكاد يزبدُ و يهتزُ كالديك المسلوخ في مكانه. حتى تأتيه قذيفة من نبلةِ «فرات» تصرع صبره. كانت تلك الطقوس بمعنى أو بآخر تعني اليد الواحدة حتى لو كانت مزوجة بطحين الطفولة و ماء الشر. ولكن نكهتها كانت تفوح وتعطي شعوراً بأننا اتفقنا على الشر وصرعنا فحولة ذلك الزمن و الرجولة المزيفة التي لا تقوى إلا على أطفال مثلنا. وحين كبرنا نسينا ذلك وكبر العصفور فينا وحيداً.ظلت هالة النسر تكبر بداخلنا حتى شردتنا إلى أشجارٍ في المنفى لم نقوى على بناء عشٍ لنا فيها؛

كانت الطيور تعبس في وجهنا أينما طرنا و أينما رشقنا الهواء الجاف هل تخيلت أيها العصفور يوماً أن تستأجر عشاً تسكن فيه ؟
هل تخيلت أن تدفع ثمن الحنطة لا لشيء. فقط لكي لا تذوب معدتك الصغيرة في المنفى كل شيء مباح. حتى العصافير التي تقضي عمرها بالطيران.

يسجنها المنفى و يقتل الحرية فيها. و يلغي هوية الريش

عبدالله غباش

حَلَبُ.. التي تُعرَفُ مِن قَوافِلِهَا وأنوالِهَا 2 من 3

• نجم الدين سمّان

يكمن سرُّ مُدُنِ التاريخ، في عبقريّةِ اختيارِ.. مكانِهَا، حتى يتهيَّأ لها.. زمانُهَا.

هكذا وجدت الشهباءُ نفسها، واسِطةَ العِقدِ بين جناحين: بابلَ.. التي في غُرَّةِ العِراق، وآشور ونينوى، وملكة ماري على الفرات، أوغاريت.. التي على البحر الأعلى.. مُتوسطيّاً، ينبعثُ من أبجديتها الأولى.. طائرُ الفينيق..

وضعت حلبُ / قِنّسرين.. علامَتَها التجاريّة على درب الحرير: منذ أوّلِ الخَزَفِ في الصين، ثمّ كانت طريقُ الهندِ تَمُرُّ بالبصرة صعوداً في نهر الفرات إلى حلبَ فالاسكندرونة، ومنها.. بأشرعةِ البحرِ إلى بلاد اليونان والطليان والغال وسائِر الفِرَنْجَة، حتى قيل: أعرج حلب.. وصل للهند.!.

وكانت تخرجُ منها إلى بغدادَ وفارسَ والهندِ والأناضولِ قوافلٌ.. أقلُّها في خمسةِ آلافِ جَمَل، ومتوسطها في 12 ألف جَمَل، حتى بلغَ عددُ جِمَالِ قوافِلِها إلى الأناضول والعراق أكثرَ من 50 ألف جمل عام 1800 ميلادي..

كتب ياقوت الحموي في معجم بلدانه:«إذا حَضَر إلى حلبَ مئةُ جَمَلِ حريرٍ، فإنه يُبَاعُ في يومٍ واحدٍ ويُقبَضُ ثمَنُه.

وذكر ابن بطلان من القرن 14 ميلادي: «ومن عجائبِ حلبَ أنّ في قِيسَارِيّة البَزِّ وحدَهَا عشرونَ دُكاناً للوكلاء، يبيعونَ فيها كل يوم متاعاً قدره عشرون ألف دينار ذهباً.

ويدخلُ حلبَ السجّادُ والتنباك من فارس، واللؤلؤ من البحرين، والأحجارُ الكريمة مِمَّا وراء النهر، والطِيبُ والعَنبَرَ والتوَابِلُ من الهند.. حيث يُعَادُ تصديرُهَا مع منسوجاتِ حلبَ القطنيّة والحريريّة والصُوفِيّة، ومعها.. الجلودُ المدبوغة والفِضِيَّاتُ والنُحَاسِيّاتُ والحِلَى الذهبية، والزجاجُ المُعَشَّقُ، وغيرُ ذلكَ من الحُبُوبِ والبَقولِ والفستق الحلبيّ، ثمَّةَ.. عِرقُ السوس، حتى أن شركةً أُنشِئَت في حلبَ عام 1895 م خصيصاً لتصديرِه مَطحوناً وبجذوره، مِمَّا تحتاجُهُ

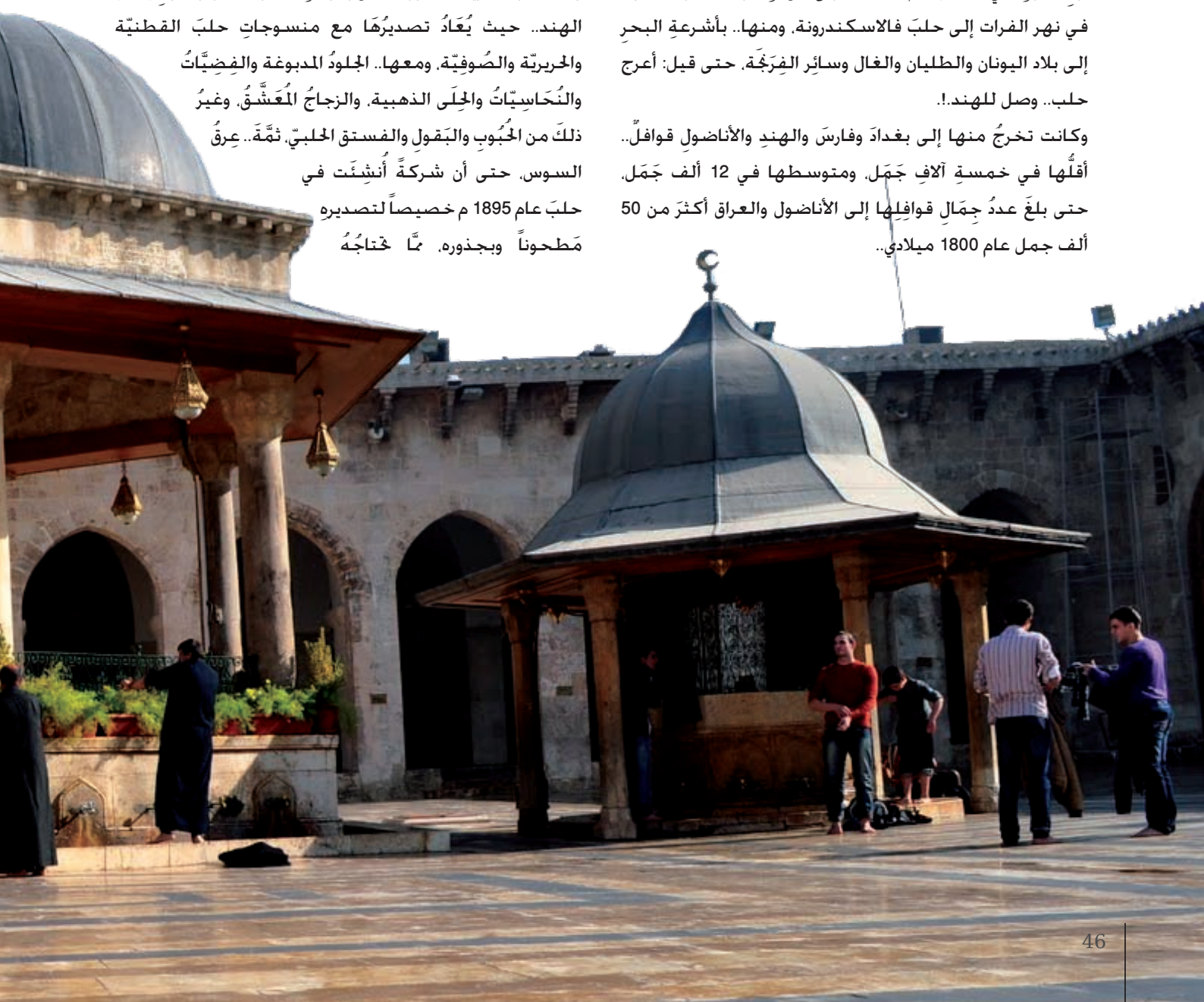

صناعة: ربِّ السوس والأدوية، وكانت الشركةَ الأميركيّةَ الوحيدةَ في حلب، ثمَّ توقفت أعمالُهَا مع مَطلَعِ القرن العشرين.

أمّا الحِنطَةُ في خاناتِ حلبَ فأنواعٌ.. منها: السَوَادِيّةُ.. مِن سهول بحيرةِ العُمق، والحنطةُ الحورانيّة، و نَابُ الجَمَل، الحنطةُ الشِيحَانِيّة، الشرقيّة، القَندَهَاريّةُ.. وأصلُهَا من أفغانستان، الفرعونيّة.. بِنَوعَيهَا: حمراء وبيضاء، ثمّ دخلت الإيطاليّةُ.. مُستطيلةً وحمراء، والفرنسيّة.. مُدَوَّرةَ و مُثلثةَ؛ لكنهما لَم تَلقيَا رواجاً؛ وذاكَ.. عَطفاً على مَثَلٍ مُتَدَاوَلٍ في الشهباء بصيغة الماضي المُستمر: زيوَان حلب.. ولا حِنطَة جَلَب!!.

ذكرتُ.. الفُستُقَ الحَلَبِيَّ، لكنّي لم أستطع تجاوُزَ علاقته مع القمر!؛ وحتى يَعرِفَ القارئُ.. لماذا تتفتّحُ الفُستقة الحلبيّة داخلَ غلافها الورديّ، عليه أن يشتري الفستقَ الحلبيَّ طازجاً في صباحاتِ ليالٍ مُقمِرَةٍ، لأنّ ذاكَ علامةُ نضوجِهِ على أُمِّه.. ففي بساتين الفُستقِ الحَلبيّ؛ وتحت ضوء القمر.. يُمكِنُ للمرءِ أن يسمعَ معزوفةً سيمفونيةً من أصواتِ تَكتَاتِ وطَقطَقاتِ حَبَّاتِهِ في هدوء الليل؛ ربما.. لهذا السبب، يقولونَ في حلب، في بابِ علاماتِ الجَمَالِ عند المرأة: ـ تِمهَا متِل.. الفستقة.. خَيُّوا!!.

بلغت خاناتُ حلبَ في القرن 17 ميلادي ما ينوفُ على السبعين خاناً، ومنذ عهدِ المماليك كان لِتُجّار البُندُقِيّةِ وجودٌ مَلحوظٌ حتى بلغت تجارةُ حلبَ مع البندقية: ثلاثةَ ملايينِ دوك سنوياً ـ الدوك: عملة ذهبية كانت تُصدرها مملكة البندقية، وكان تُجّارُ جَنَوَه وفلورنسا، ومارسيليا وبرشلونة.. يبيعونَ ويبتاعونَ في خانِ بَرقُوق، وأفضلُ خاناتِ حلبَ: الخانُ الكبير ـ خانُ الجُمرُك حالياً ـ بُنِيَ عام 1574 ميلادية، وسُرعانَ ما اتخذته الشركاتُ التجاريّة: الفرنسية والهولندية والإنكليزية والأسوجية والبرتغالية.. مقرّاً لها، وقد بلغت الشركات التجارية الأوروبية في حلب عام 1775 م؛ أكثرَ من ثمانينَ وكالةٍ تجاريّة، أثبتَ فيها الحلبيونَ جدارَتَهُم، حتى أنّ أخبارَ السُفُن التجارية التي ترسو لِتَوّها في ميناء اسكندرونة.. كانت تَصِلُهُم بالحَمَام الزاجل في ثلاثِ ساعاتٍ فقط، فيعرِفُ تُجّارُ الشهباءِ بمُحتوَياتِ بضائِعِهَا في الوقت الذي يقوم به الحمّالون بتفريغ البضاعة، وأضاف «دارفيو» في كتابه «وثائق تاريخية عن حلب في القرن الثامن عشر» بأنّ تُجّار حلبَ كان يستخدمون الحَمَام الزاجلَ بين بغداد وحلب أيضاً لأغراضٍ تجارية، وليعرفوا موعدَ خروجِ القوافلِ ببضاعتهم.. فيتهيّؤون لقدومها؛ بل ويبعون قسماً منها وهي بَعدُ على درب الحرير العتيق.

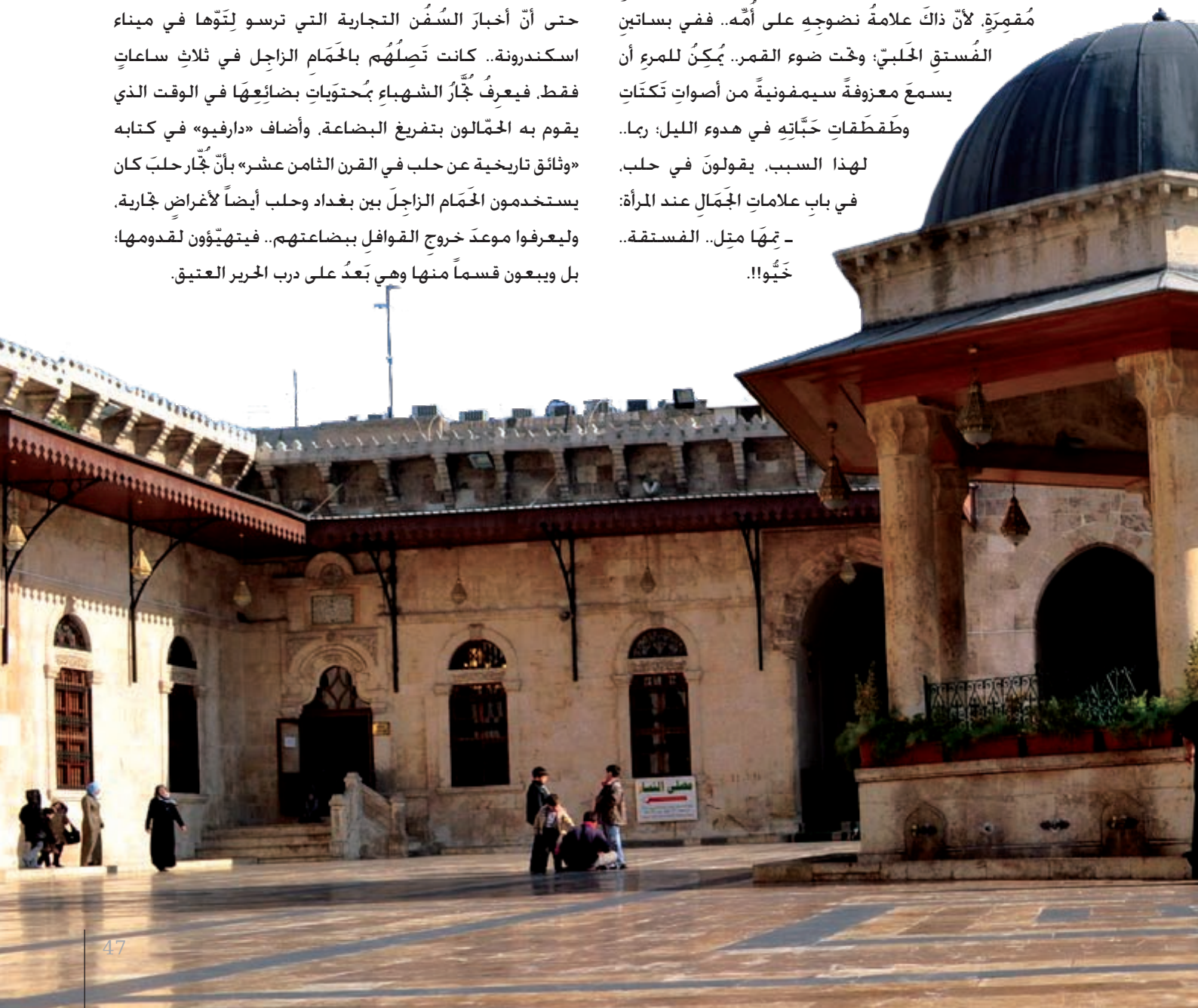

بلغت أسواقُ حلبَ أكثرَ من خمسين سوقاً، تُشكّلُ ثُلثَ مساحةِ المدينة.. داخلَ أسوارِهَا، عدا عن أسواقِهَا.. خارجَ السور، والأسواق المُقَامَةِ في الهواء الطلق.. كما كانت تنعقدُ في ساحة المِلح وساحة بِزّة، ثمّ الأسواقُ الأسبوعيةُ المُحدَثَةُ كسوقِ الخميس وسوق الجمعة وسوق الأحد.. تُعانِي تهجيرَهَا المُستمرّ من أماكنها، بدل تخصيصها بأماكن ثابتة، حيث تنظر بلديّةُ حلبَ إليها نظرةً مُتعالِيَةً على الرغم من أهميتها لشرائحَ واسعةٍ من الناس، نظراً لتنوُّعِ مُحتوياتها التي قد لا تخطر على بال، ولِرُخصِ أسعارِهَا، وقد وجدتُ فيها شخصياً مُتعةً ومخطوطاتٍ قديمةٍ وأسطواناتٍ لأسمهانَ وغرامافوناً من عَهدِ تيمورلنك!، وإنبيقَ أركيلةٍ من الزُجَاجِ المُعشّق، وغيرها، كما سيجد الموظفون في الأرض والعمال والطلاب: سريراً هزّازاً لِمَولودٍ جديد، وناموسيّةً للبَقِّ الحلبيَ من نوع: بَعُوض الكوبرا، وأدواتِ مطبخٍ في مُنتصَفِ أعمارِهَا، وغسّالةً يدويّةً، وخُردَةً ولَبَشاً وبَالَةَ ثيابٍ مستعملةً وأحذية وأنتيكا.. وكلّ مالا يخطر على بال..

تختصُّ كُلُّ سوقٍ في حلبَ ـ عدا الأسواقِ التي ذكرناها ـ بِنَوعٍ واحدٍ من البضائع: سوق الجُوخ ـ سوق الصابون ـ سوق العطّارين ـ سوق القطن ـ سوق الصَايَات والشالات العجمية والطرابيش ـ سوق الصُيَّاغ.. لِلحِليّ الفضيّة والذهبيّة ـ سوق الطِيبة: للبَخُورِ والطِيب والعُودِ والعَنبَر والعطور ـ سوق العُلَبِيَة: عُلَباً خشبيّةً لِلألبان والسَمنِ ودِبسِ الرُمّان؛ ومِثلُهَا لاحتياجاتِ العطّارين ـ سوق الصَرّافين قِبَالةَ الخانِ الكبير وذاك منذُ قرونٍ مديدة، سوق الخابِيَة: لِلخَوَابِي ومَشربيّاتِ الماء من فخّارِ إدلب وأرمناز، سوقُ الجِيح: للدجاج.. بلدياً وهندياً وحبشياً، كما

لِكُلِّ ذي جناحين ـ سوق الخضريّة: وهو أكبر أسواقِ حلبَ، حتى أنهم أسمُوهُ: المدينة، لاتساعِهِ وحُسنِ تخطيطه على هيئةِ رُقعَةَ الشطرنج.. أنساقاً، يدخلونها مِن حيثُ بابُ أنطاكيّة ليخرجوا من سوقِ الزَرب فَتَلقَاهُمُ القلعة ـ سوقُ الدَهشَة، وهو أعرضُ أسواقِ حلبَ، وسُمِّيَ كذلك لِمَا يَحويهِ مِمَّا يُدهِشُ النِسَاءَ، حيثُ تقولُ حَلَبِيَّةٌ لِتُغِيظَ سِوَاها، مِمّا يَقَعُ في كلامِ الحَمَوَات لِلكَنَّات: حتى لو لِبستِي سوق الدَهشِه.. مَالِك بَهجِه.

ثمّةَ.. سوقُ الدرّاع، يُبَاعُ فيهِ النسيجُ اليدويَ والآليُّ.. بالذِرَاع، حتى بعدَ اعتمادِ المِترِ قياساً!؛ وسوقُ النسوان: تَجِدُ فيه نساءُ حلبَ كلّ ما يَلزَمُهُنَّ.. مِن لِبَاسِهِنّ الخارجيِّ والداخليِّ حتى خيوطِ الكانفاه، وذاكَ حتى لا يتعرَّضنَ لِمُضايَقاتِ الرجال في ازدحامِ الأسواقِ الأخرى، لكنّ الرجالَ يجعلونَ دخولَهُم إلى أسواقِ «المدينة» وخروجَهُم من سُوقِ النسوان.. إيَّاه، عَن غيرِ قَصدٍ، ومِن دون سابقِ إصرارٍ وتَرصُّدٍ و بصبصه.

وفي سوق الزهر: تُبَاعُ العطورُ وماءُ الوَردِ وماءُ الزَهرِ، وقبلَ سُوقِ الدَوَابِ، يتربَّصُ الأطفالُ بِكُلِّ ذَاهِبٍ إليه.. هازجِينَ:

- يا رايح لسوق الدَوَاب، عَلِّق بِدَقنَك.. جَرَس!.

وكانت حلبُ أولَ مدينةٍ سوريّةٍ يَتِمُّ وَصلُهَا بالتِلِغرَاف مع الأستانة \ استنبول؛ وفي عام 1881 اخترعَ «الياس آجيا» الحلبيُّ ثُرَيّا فلكيّة تُشَخِصُ دورةَ الأرضِ حول الشمسِ وحركةَ النُجومِ والمَوَاقِيت، وأُقِيمَ دولابُ هواءٍ لاستخراجِ المَاءِ في مُنتَزَهِ السبيل عام 1896، وبعدها بعامين 1898 تمَّ وَضعُ حَجَرِ أساسِ ساعةِ بابِ الفَرَج، وتمَّ تدشِينُهَا مع مَطلِعِ قرن جديد، غير أنها ـ أي: الساعة ـ أطاحَت الوالي رائف باشا بسببِ عَرِيضَةٍ إلى البابِ العالي مِنَ المُتَزَمِّتِين لأنها بُدعَةٌ مِن بُدَعِ الإفرَنج؛

وفي عام 1906 وصَلَت سِكَّةُ الحديد إلى حلب؛ وبَعدَهَا بِعامٍ وَصَلَتهَا مَصَابِيحُ «اللوكس» وفي 1909 وصلَت أتومبيلاتُ الخَوَاجة الحلبيّ يوسف أندريا بأربعِ عجلاتٍ!، وكانت مطحنةٌ بُخاريّةٌ لِطَحنِ الحبوبِ قد أُقيمَت بِقوّةِ 58 حصاناً، وفي عام 1914 ظهرت أولُ طائرةٍ في أجواءِ حلبَ مع وصول التلغراف اللاسلكيّ حيث أُقِيمَ جِهَازُهُ في بَرِّيَةِ حارة الحميدية، فصارت المنطقةُ ولا تزالُ تُعرَفُ بـ التلفون الهوائي؛ وتعرَّضَت حلبُ لأوّلِ قَصفٍ جَوّي في تاريخها عام 1918 حيثُ قَصَفَت طائراتُ الإنكليز مَحطّة القطاراتِ المعروفةِ باسم: محطة بغداد ومستودعاتها، ثمّ قصفتها الطائراتُ الإنكليزيةُ ثانيةً عام 1941 مُستَهدِفةً مَطَارَهَا الذي أُنشِئَ عام 1928؛ في ذاتِ العامِ الذي استُعمِلَ فيه «الزفت» لإكساء شوارعها، وكان عام 1929 قد شَهِدَ تدشينَ التروماي الكهربائي؛ مع وصولِ فرقة يوسف وهبي وجورج أبيض المسرحيتين؛ وبعدها جَلَبَ الراديو إلى حلبَ الخواجة سليم جنبرت، وشاهدَت حلبُ أولَ مِنطادٍ في سمائها عام 1944، وكان مع غيرِهِ: بُدعَةً مِن بُدَعِ الإفرَنج!!.

بالعودة إلى تجارةِ حلبَ.. سَنَجِدُ بأنها تأثرت بحملات نابليون على مصر وفلسطين؛ وقد عانت الشهباء من تَسَلُّطِ الإنكشاريّة والدالاتية فتصدى لهم زشراف حلب عام 1814 على الرغم من طاعون كان قد اجتاحها، ثم تصدوا لهم ثانية عام 1826 ومِن جَشَعِ الوُلَاةِ الذين هُم في حلبَ دونَ سائر الولايات العثمانيّة: باشواتٌ مِن رُتبَةِ: الثلاث شرَّابَات؛ وهي أوسمةٌ يمنحها السلطان لرجالاته، بِمَا يُعادِلُ مرتبةَ: وزيرٍ.. آنذاك، نظراً لِمَكانةِ حلبَ بينَ مُدُنِ السلطنة العثمانية، وكانت قد ضربتها الزلازلُ تِبَاعاً أعوام: 22 ـ 27 ـ 1832م، ثم جاءَ زِلزَالُهَا التجاريُّ الكبير مع افتتاحِ قناةِ السويس عام 1868 الذي حَوَّلَ عن حلبَ طريقَ التجارةِ الدوليّ

بين شرقٍ وغربٍ وبين شمالٍ وجنوب؛ وحّملت حلبُ أكثرَ من غيرها تَبعَاتِ ديونِ السلطنة التي وصلت عام 1875 أكثر من 300 مليون فرنك دفعتها حلبُ وحدها؛ من أصل ميزانيتها البالغة 380 مليوناً!. وهو ما جعل بعضَ كِبَارِ تُجَّارِ حلبَ ينتقلون إلى بيروت والاسكندرية وميلانو ومارسيليا ومانشستر. وأسَّسَ بعضُهُم شركاتِ مِلاحَةٍ بَحريّةٍ لتسهيل نقل بضائعهم بين ضِفَّتَيّ المتوسّط. لاسيما بين مرسيليا والاسكندرونة..

عَوَّضَت حلبُ عن انحسارِ تِجَارَتِهَا بِتنَامِي صناعاتِهَا التي بلغت مع مطالع القرن العشرين أكثر من 72 صناعةً. ولِكُلِّ صَنعَةٍ منها رئيسٌ.. يتوافَقُ الصُنَّاعُ عليهِ شيخاً لِلكَار. أو.. يُعيّنُهُ الوُلاةُ لِقَاءَ نسبةٍ من الضرائب يجنيها لصالحهم قبل صالح الخزينة العامّة.

وأبرزُ صناعاتها: النسيجُ القُطنِيُّ والحريريُّ والصُوفِيُّ. حتى بَلَغَت أنوالُهَا اليدويَّةُ أكثرَ من 15 ألفِ نَولٍ. يقتضي كُلُّ نَولٍ ما بينَ أربعةٍ إلى سبعةِ عامِلِينَ هم: حائك ـ مِسَدَ ـ فتّال ـ دقّاق ـ شفّاط ـ قصّار ـ صقّال؛ وغيرهم: كالصبّاغين. مِمَّا تستوجِبُهُ مهنةٌ وَصَلَ المنتفعون منها أكثر من 60 ألف نسمة. من بين سكان حلب الذي تجاوزوا عام 1904 أكثر من 129 ألف نسمة بقليل؛ فلمَّا نافستها الأقمشةُ الأوروبية تفشَّت البَطَالَةُ. ثم فاقمت حروبُ السَلطَنة العثمانيّة مع روسيا ثمّ مع اليونان من أوضاعها. وفي عام 1902. لمّا تُوفِيَ عبد الرحمن الكواكبي مسموماً في القاهرة.. تفشَّى الهواءُ الأصفر: الكوليرا. في حلب لِيَحصِدَ: 13 ألف نسمة من سكانها. وكان شبابها يُسَاقُونَ إلى «جَنَق قلعة» حتى صارت للحلبيين فرقتان عسكريتان منهم في الجيش العثماني هما الفرقتان: 24. 26. خلال الحرب العالمية الأولى. وإضافة إلى وَيلاتِ الحربِ.. تفشَّى التيفوس: الحُمَّى الدماغية في حلبَ حاصداً: 300 شخص يومياً طوال شهرين من عام 1915.

لم تنتظر الشهباءُ كثيراً حتى استعادَت عافيتها مع الحكومة العربية الأولى. فصدرت فيها ثماني جرائد عام 1919 وتأسَّسَ 14 نادياً وجمعية ثقافية وفنية كان أبرزُهَا: نادي العرب. وجريدة العرب في اليوم الثاني لدخول الجيش العربيّ مدينةَ حلب. ثم أنها استوردت أولَ مصانع النسيج الآليّة في بَرّ بلاد الشام. وللدلالة على رِيَادَتِهَا؛ يُفِيدُنا عامُ 1932 بأوّلِ إضرابٍ عُمَّالِيَّ في سورية. كانت مَسرَحَهَ مصانع لاالنسيج في حلب. وشارك فيه 16 ألف عامل نسيج فقط من أصل 34 ألفاً!.

ومِن نافِلِ القَولِ: الإشارةُ إلى صناعة الصابون فيها. حيث بلغت مَصَابِنُهَا الكبرى مطلعَ القرن الماضي: 15مصبنةً؛ تُنتِجُ في الموسم الواحد: 400 طبخة. كُلُّ طبخةٍ بألفِ رطلٍ؛ ما يُعادل: مليونا و 200 الف كغ؛ من ألواح الصابون بزيت الغار من جبال الأمانوس وغابات كسب. إضافةً إلى صناعاتها التقليدية: كالصِبَاغَةِ والدِبَاغَةِ والزُجاجِ المُعشّق والحِبَالِ وغيرها. اشتهرت حلبُ أيضاً.. بصناعة النُحَاسِ مِن مَنَاجِمِه الأولى قبل 1500 عامٍ في جبل النُحَاس «الجَوشَن» غربيَّ نَهرِهَا. وبصناعة الفِضَّة. والتطريز بخيوط الذهب والفضة والحرير. وبالحِلَى الذهبية... حيث لا تزال تتفرَّد بذهبها من عيار الـ 21 قيراطاً. وقد بلغت محلات تركيب الماس والياقوت فيها أكثر من 50 دكاناًعام 1851.

وفيها ما يقارب المئة دكان وورشة لصناعة الأحذية عام 1901.

ومن أنواعها بالتراتُب الزمني:

المركوب الأحمر ـ البسطار ـ الجَرموق ـ القَلجين ـ اللَبجين ـ البَابوج والمست للمرأة. الجَزمَة. وآخرها: القُندُرَة. التي جاءت موديلاتها من عند الطليان!. وكانت في بداياتها مُدبّبةَ الرأس كمنقار النسر. فكَسَرَها الحلبيّونَ من وَاقِيَتِها الخلفيّة. وسمُّوها: الكَسريّة. اختصّ باحتذائها: الزكرتاوية والقبضايات وكلّ مَن له يدٌ خاطفةٌ في تشطيب وجوهِ العِدَا بالشِبرِيّة. أو.. بجَرِّهِم على قفاهم بالغمزوي. فإذا استفحلت وثارَ النَقعُ.. قَرَصَ أمهرُهُم: الجنتيَانَة. التي يتحزَّمُ بها. فإذا بها.. قبل أن يُسمَعَ أزيزُهَا تَفلِقُ الخَصمَ من صُرَّتِهِ إلى حَالِبَيهِ.

وحتى لا ندخل في تعلُّقِ الحلبيين بمطبخهم التاريخيَ الذي قد امتزجت به ذائِقَةُ أزمانٍ وشعوب. نكتفي بتعداد بعض حُلويَّاته. ومنها أنواع الحلاوة: الطحينية ـ السمسميّة ـ وبالجوز والفستق واللوز. حلاوة جوز الهند ـ حلاوة سكر وعنبر. الحلاوة الجَرجَقليّة ـ حلاوة شُوشيّة. حلاوة العِلكَة والمستِكَة ـ حلاوة القَرع ـ حلاوة مَرزَريّة ـ حلاوة المَنفُوش من الذرة الصفراء. وأكثرها تواضعاً: حلاوة الغُولَة.. من دِبس العنب مع البرغل ممزوجةً دونما طبخ.

ويقال أن «الكرابيج» اختراع حلبيّ. مُفرَدُهَا: كربوجة. بالفستق الحلبيّ أو بالجَوز. يَغمِسُونَهَا في نَاطِفٍ أبيض. وما يُقَوّي هذا الاعتقاد أنّ مِثَالَ الجمال في نساء حلب: المَربُوعَةُ القامةِ ـ العَبلَة ـ المُمتَلِئَةُ من غيرِ زوائِدَ. كالكربوجةِ تماماً. بل إن الحلبي حين يُنادي امرأتَهُ في غيرِ شؤونِ النهار.. فلا يقول سوى: تَعِي.. كربوجة. خَيتُو. تسلَمِيلِي.

ثمَّةَ.. البقلاوة: الحريرة: المأمونيّة التي جاءت مع القوافل من مطبخ الخليفة المأمون: الزلّابيّة: اللاّزوخُ: القَطَايف: الهريسَة: الكِنَافَةُ بالفستق الحلبيّ كَزُنُودِ السِتّ: أصابعُ زينب: إسوارَةُ الستّ: المَعمُول.. بِدَسَمِ الجُبنَة بعد تَسنِيرِهَا ـ البلّوريّة: المَبرومَةُ: كُول واشكُور: لُقَم القاضي: بُقجَة العروس: وغيرها.. أكثرُ من أن يُحصَى أو يُعَدُّ.

تلقّت حلبُ ضربةً مُوجِعَةً. بخسارتها لمينائها الأزليّ: الاسكندرونة. بعد سَلخ اللواء عام 1939. وكادت تجّارةُ حلبَ تتزعزعُ لولا ربطها بطريقٍ برّيٍ مع ميناء اللاذقية. ولولا بَرَاعَةُ تُجّارها. وقد أدركَ النابِهُونَ منهم أهميةَ التصنيع فانخرطوا فيه. باحثين على توالي الأزمنة عن أسواقٍ جديدة. أحدثها: أسواق بلاد السوفييت السابقة وأوروبا الشرقية. باعتمادهم القوافل البريّة عبر الشاحنات. مع تأخير إنجاز مطار حلب الدولي 30 عاماً؛ عقاباً من حافظ الاسد لأنّ بعضهم قد دعم الاخوان المسلمين عام 1980م.

وسنعرف حجم تجّارة حلب مع هذه الدول. بعيداً عن الإحصائيات. وذلك من العدد المتزايد الذي يرطن بالروسية. يلفظونها بحركات المدّ المُفخّمَة التي تُميّزُ لهجةَ الشهباءِ عن سِوَاها. وذاكَ حينَ يقول الحلبيّ:سباسيبا خيتو!. ما مَعنَاهُ عندهم: تفضلّي يا أختاه؛ و بجاليسطا.. يقصدون بها: ما رح نختلف على السعر.

وقد خَربَت تلك التجارة. باندساس الطُفيليّين خصوصاً في مجال صناعة الألبسة. حتى أن بعضهم أرسل قمصاناً من غَيرِ أزرار؛ شَفطاً لثمنها. وانفلقَت أحذيةُ الكرتون في ثلوج روسيا. وأوقَعَ بعضُهُم بعضاً في حبائل المافيا القفقاسية فأفلسوا. وتراجعت حركة التصدير حتى كادت تكتفي بتجارة الشنطة الافراديّة.!.

الضربة المالية الثالثة التي شهدتها حلب في زماننا. إفلاسُ شركاتِ توظيفِ الأموال فيها بتغطية من مافيا البعث والمخابرات الأسديّة. حيث بلغَت أقلُّ التقديرات لخسائر الحلبيين ما يُعَادِل 36 مليار ليرة سورية. في وقتٍ لم تتجاوز فيه الميزانيةُ العامة للدولة 121 ملياراً فقط.

ولمّا تزل تتقاطعُ في الشهباءِ نِصفُ تجّارة وصناعة سورية حالياً. عدا محاصيلها الزراعيّة المُتنوّعة. وكونها نقطة جذبٍ لكلّ مدن وقرى الشمال السوري من حدود العراق وحتى انطاكيّة غرباً؛ ومن كونها نقطة اتصال بين البلدان العربية الآسيوية وأوروبا مروراً بتركيا؛ ومِن هنا تتبدّى أهمية مساهمتها في اقتصادنا السوريّ في مختلف العصور.

وإذا كان الرحالة «رامبليز» من القرن 18 قد أسماها: لندن الصغرى. وعدَّها الرحَّالة «بوكوك» من أجملِ مُدُنِ الشرق. وقال عنها الرحالة «فولني» من القرن 19: حلب أنظفُ مدينةٍ في السلطنة العثمانية. وأجملها بناءً. وألطَفُها عِشرَةً. وأصلحُهَا مناخاً. والحلبيّون أكثرُ أهلِ السَلطَنَة تَمَدُّناً وعِشقاً للتجارة وحِرفَةً في البِنَاءِ والصناعات.

فما أحرى يومَنَا بالأمس. على طريقة كامل الغَزّي. أحدِ مُؤرّخي حلبَ. في صياغة العبارة؛ وبخاصة بعد القصف الهمجيّ الأسديّ لها وتدمير أجزاء واسعةٍ من أحيائها؛ وبخاصةٍ مدينتها القديمة وأسواقها التاريخية داخل أسوارها التسع؛ وجامعها الأمويّ الكبير؛ حتى ان القصف قد طال أقدمَ قِلاعِ العالم وأكثرها اكتمالاً؛ من حيثُ كَونِهَا مدينةً مُصَغّرةً لِحلبَ.. مدينَتِهَا الأمّ..

بيان المجلس الوطني السوري: نرفض حضور مؤتمر جنيف2

اباحة سورية لقوات طائفية عراقية ولبنانية وإيرانية خيانة وتفريط بالسيادة الوطنية

عقدت الأمانة العامة للمجلس الوطني السوري يومي ١١ و ١٢ / ١٠ / ٢٠١٣ اجتماعها الدوري في مدينة اسطنبول خصص لبحث الأوضاع التي تشهدها سورية على كافة الصعد الميدانية والإغاثية والسياسية

أجرت الأمانة خلال اليومين الماضيين عديداً من الاتصالات مع عدد من المسؤولين الإقليميين والدوليين حول المجازر التي ارتكبتها قوات طائفية عراقية ولبنانية وإيرانية في عدة مناطق سورية وخاصة في الذيابية والحسينية في ريف دمشق. وأكدت أن فتح الأراضي السورية أمام قوى متطرفة إجرامية يستقدمها النظام من الخارج، يضيف جريمة جديدة إلى سجله الإجرامي الحافل، جريمة ترقى إلى مرتبة الخيانة والتفريط بالسيادة الوطنية

تشكل المذابح البشعة التي يرتكبها حزب الله اللبناني وما يسمى بقوات جيش المهدي وأبو الفضل العباس العراقية وخبراء القتل والتعذيب الإيرانيون، بحق المدنيين السوريين، جرائم حرب موصوفة وجرائم ضد الإنسانية، تتحمل الحكومتان العراقية واللبنانية مسؤولية وقفها، ومحاسبة المشاركين فيها، ومن يدعمها أمنياً وسياسياً

وعبرت الأمانة عن اعتزاز المجلس الوطني السوري بالانتصارات التي تحققها كتائب الثوار والجيش السوري الحر في جميع أنحاء سورية، والصمود الأسطوري لشعبنا في مناطق الحصار الأقسى وخاصة في حمص وغوطة دمشق والمعضمية، وتناشد الألوية والكتائب المقاتلة على الأرض توحيد صفوفها وتنظيم جهودها العسكرية والإغاثية والتعبوية لإسقاط النظام

على الصعيد السياسي، أعلن المجلس الوطني السوري رفضه المشاركة في مؤتمر جنيف في ظل المواقف السياسية الإقليمية والدولية التي صمتت عن معاناة الشعب السوري والمجازر الوحشية التي يرتكبها النظام وحلفاؤه الطائفيون، وتعارض ذلك مع أهداف الثورة السورية وثوابتها التي نصت عليها وثائق المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، والمحددات السياسية الصادرة عن مؤسساتهما

وأسف المجلس لعدم تمكين الشعب السوري من الدفاع عن نفسه وعدم الوفاء بوعود تسليحه ودعمه كما يستحق، واختزال القضية الوطنية السورية، قضية الحرية والكرامة، بمسألة نزع السلاح الكيماوي

وحضر الأستاذ أحمد طعمة الخضر رئيس الحكومة السورية المؤقتة المكلف جانباً من اجتماع الأمانة، وقدم شرحاً وافياً عن ما أنجز من عمل لتشكيل الحكومة المتوقع إعلانها قريباً، وأجاب عن جميع تساؤلات واستفسارات الأعضاء المتعلقة بما ينتظر من عمل الحكومة والتحديات الكبيرة التي تواجهها

واستعرضت الأمانة العامة عمل مكاتب المجلس الوطني وشددت على أولوية الالتفات إلى الداخل لتمتين التواصل مع الشعب والحراك الثوري المتعدد الأشكال وتعزيز العمل الإغاثي الذي يشكل أكثر من ٨٥ ٪ من جهد وإنفاق مؤسسات المجلس، كما استعرضت عمل لجنة تقييم الأداء لمؤسسات المجلس وهيئاته ومكاتبه، واطلعت على تقرير المكتب المالي عن نشاطاته خلال المرحلة الماضية

الرحمة للشهداء الأبرار

الشفاء للجرحى

المجد للمقاتلين من أجل إسقاط الاستبداد

النصر للثورة

2013 / 10/ 12

المجلس الوطني السوري - الأمانة العامة

جينيف 2.. لحظة تاريخية أم نهاية التنازل؟!!

أجرى التحقيق: عدنان عبد الرزاق

لم تحسم المعارضة السورية ممثلة بائتلاف قوى الثورة والمعارضة موقفها من مؤتمر جينيف بعد، فحتى حضوره بشروط مسبقة؛ او.. عدم حضوره؛ مازال موضع نقاش وتردد، فما قاله رئيس الائتلاف أحمد عاصي الجربا حول الموافقة على الحضور ولكن.. بشروط، عاد ودحضه جورج صبرة رئيس المجلس الوطني بقوله: لا قرار.. إلا ما تُقِرُّهُ الهيئة العامة.

فهل تملك المعارضة السياسية ممثلةً بالائتلاف حق التفاوض عن السوريين؟!؛ وعلى ماذا ستفاوض المعارضة بعد كل الذي قاله بشار الأسد عن استمراره محاربة» الإرهابيين « وعدم مفاوضتهم؛ أو ما أضافه رئيس دبلوماسيته وليد المعلم بأنهم لن يفاوضوا إلا الأحزاب المرخصة. أم أنّ كل تلك الأقوال ماهي إلا للاستهلاك الإعلامي ورفع سقف المطالب على الطاولة.

هل ستحضر المعارضة هذا المؤتمر رغم التبدلات في المواقف الدولية واختزال الثورة بتسليم وتفكيك الكيماوي، أم سترفض ما يراه البعض لحظة تاريخية لا بد من اغتنامها ؟!.

يرى المفكر والمعارض السوري صادق جلال العظم بأن الحضور من عدمه إجابة لسؤال صعب، وقال ل"تواصل":

- أنا كغيري منقسم على نفسي لجهة جينيف وحضوره وما يمكن أن يتأتى عنه. لكنه في النهاية ليس من صناعتنا. وسيفرض علينا. لذا السؤال: كيف لنا التعامل معه. وقد يكون التجريب أفضل من الرفض والإبتعاد وإعطاء ذريعة إضافية للنظام. فدخول المؤتمر بإصرار على وقف إطلاق النار والإفراج عن المعتقلين. سيدفع النظام للرفض. فوقتها يكون هو من أفشل المؤتمر ويمكننا الخروج منه بمنطق وعذر شرعي..لذا السؤال عن حرفية وحنكة ورؤية المفاوضين. وليس في الحضور .

الدكتور محمد الدندل عضو الائتلاف الوطني السوري المعارض الذي اشترط رحيل النظام كمقدمة لحضور المؤتمر والتفاوض قال ل»تواصل»: سقف التفاوض هو ما وضعه الشعب السوري. ولا يمكن التنازل عنه. لأننا ندعي تمثيل الشعب والثورة. صحيح أننا لم ننتخب منه نظراً للظروف الاستثنائية. لكننا نعمل لأجله ولأجل تحقيق أهداف الثورة وليس إلى اجهاضها وضياع الحقوق.

- العظم: منقسم على نفسي كغيري، جينيف ليس من صناعتنا وعلينا اغتنامه سياسياً.

أما عضو الهيئة السياسية في الائتلاف كمال اللبواني فاعتبر في حديثه ل»تواصل» بأن مجرد فكرة جينيف فيها توصيف خاطئ. لأن الحال على الأرض هو صراع بين شعب يسعى للحرية والكرامة وبين نظام قاتل ومستبد. وليست كما وصفها صنّاع جينيف على أنها صراع بين طرفين وساووا بين الضحية والجاني. كما أن مدخل جينيف «الحل السياسي» هو خاطئ

وتابع اللبواني: لأن الصحيح هو محاكمة القتلة والمجرمين. وما دام التوصيف والمدخل خاطئان. فالحضور برمَّته خسارة للمعارضة وللثورة ولحقوق السوريين .

الدكتور عماد الدين المصبّح

اعتبر أن الائتلاف، على اعتباره تشكيلا سياسياً جاء في مرحلة استثنائية، هو الممثل الوحيد للشعب السوري؛ وإن على نحو استثنائي ويحق له تمثيل السوريين بالتفاوض، وذلك بصرف النظر عن كيفية إدارته لملفات الثورة وحجم النقد الذي يواجهه، وتابع المصبح ل «تواصل »:

- لا أعتقد أن المناخ السياسي العام أو مجريات الأرض أو اللحظة التاريخية، تحتمل تفويض وانتخابات وفق الأطر المؤسسية كي يمثل الائتلاف الثورة في جينيف، فالحالة الثورية تفرض تمثيلاً وفق الشرعية الثورية .

الباحث رستم محمود وافق المصبح وإن على طريقته، فالقصة من نظره لا تقاس من يحق له التفاوض أو التمثيل، بقدر ماهي معركة لن تنتهي بمؤتمر، وقال المصبح ل«تواصل»:

- المصبح: الائتلاف مفوض استثنائياً وفق الشرعية الثورية الاستثنائية.

- ما جينيف سوى مرحلة خاضعة لتوازنات القوى وقدرة السوريين على إيصال صوتهم وطريقتهم في التعبير عن حقوق المعارضة وحسن إدارة التفاوض واغتنام اللحظة، ولكن استدرك محمود وأردف: شريطة عدم تجاوز الخطوط الحمر، لأن جينيف ليس نهاية المشوار، بل خطوة مهمة على طريق طويلة ستمتد- ربما- لسنوات طويلة .

الخطوط الحمر

رئيس المجلس الوطني المعارض جورج صبره قال أخيراً أن لا قرار بعد لجهة حضور جينيف، والأمر متعلق بما ستقرره الهيئة العامة للإئتلاف، وأضاف: هناك شروط للتفاوض، كوقف إطلاق النار والقتل ووحدة سوريا والانتقال من الحكم الفئوي الطائفي إلى الديمقراطي التعددي.

- محمود: المعركة مفتوحة وما المؤتمر سوى مرحلة لا بد من اغتنامها.

رستم محمود قال:

- سيحاول طرفا التفاوض التذرع بأن الآخر لا يقبل، وسيعرض تفسيره للخطوط الحمر وخاصة تلك التي وضعها المجتمع الدولي، كنقل السلطة وحكومة كاملة الصلاحيات، لذا ليس لأحد من المعارضة التنازل عن الخط العام الذي دفعنا كمعارضين للقبول بالتفاوض، وهو الانتقال السلمي ورحيل النظام، ورأى الباحث محمود أن الفترة المتبقية لمؤتمر جينيف كافية كي للتنسيق وتوحيد الرؤى والتوصيف والخطاب بين أعضاء وفد المعارضة المفاوض، لأن هناك فوضى وردود أفعال ولا يوجد أفعال سياسية تضع النظام في موقف حرج، والآن مازال في الوقت بقية لوضع استراتيجية تتلقف الممكن وليس المطلوب لتطرحه المعارضة وتلتزم به .

- الدندل: وجود النظام خط أحمر وليس لنا الحق للتفاوض على حقوق السوريين.

عضو الائتلاف محمد الدندل قال:

- الخطوط الحمر هي ما وضعها الشعب ونحن ملزمون بالتمسك بها، وهي رحيل النظام وإعادة بناء الدولة على نحو ديمقراطي، وليس للإئتلاف أو غيره تحديد شكل الدولة المقبلة، فالانتخابات وتأسيس جمعية عامة ومن ثم دستور وبرلمان، أي قرار الشعب، هو من سيحدد شكل الدولة كما حدد الخطوط الحمر في التفاوض .

مطارق الضغط

عضو الهيئة السياسية للائتلاف كمال اللبواني هدد أخيراً باستقالة 50 عضواً من الائتلاف في حال الذهاب للتفاوض في جينيف، ناهيك عما أعلنته بعض ألوية وكتائب الجيش الحر على الأرض، فهل سيكون ذلك لجماً للائتلاف كي لا يذهب للتفاوض في واقع التراجع الدولي عن تصريحاته السابقة وإجهاض الآمال برحيل النظام بعد شماعة طول فترة تفكيك الكيماوي إلى حين انتهاء فترة رئاسة الأسد الوراثية الثانية؟!.

الدكتور المصبح قال:

- عدم الاعتراف وشرعية التفاوض فرصة أمام الائتلاف إن أحسن استخدامها، إذ من شأنها إعطاءه نقطة قوة إضافية وتذكير القوى الكبرى بوعودها وأنه أمام ضغوط ولا يمكنه تقديم اي تنازلات، وأضاف الدكتور المصبح أن عدم اعتراف بعض الجماعات المتطرفة بالائتلاف إنما هي قوة له وليست نقيصة.

تقزيم الثورة وصفقة الكيماوي

المراقب للتصريحات الأمريكية يلحظ جليا تبدل المواقف وخاصة بعد موافقة النظام على التوقيع على اتفاقية حظر الأسلحة الكيماوية والقبول بالمفتشين وتفكيك ترسانته، وكأنَّ همَّ واشنطن الأوحد هو إراحة إسرائيل ليس إلا، ولا من شاغل لها في سوريا وما جرى ويجري من قتل وتهديم واعتقال وتهجير، وكأن ثمة صفقة أبرمت بين موسكو وواشنطن وإن لن تعلن بنودها كاملة بعد.

الدكتور صادق جلال العظم قال:

- فعلاً لقد تم اختزال الثورة بالكيماوي، ولكن الحديث عن صفقة لإطالة عمر النظام، فأنا لا أعتقد ذلك، بل أعتقد أنهم سيضحون بجزء من النظام كي يحافظوا على البقية، أي إعادة إنتاج وإن على الطريقة اليمينة، يخرج بشار الأسد ومن أجرّم ويبقى بعض المقبولين، ولكن هناك قناعة دولية- معلنة أو غير معلنة، بأن بقاء بشار الكيماوي أمر مستحيل .

كمال اللبواني قال:

- جينيف ستفرض حلا سياسياً، وهذا الحل يتناسب مع مصالح موسكو وواشنطن، لأننا لم نكن خلال صياغتهوبالتالي لن يخدم ثورتنا وشعبنا.

وأردف:

- أعتقد أن جينيف ستعيد إنتاج النظام، لأن الذهاب للمؤتمر لا بد أن يمثل أهداف الثورة سلمياً، ولكن الأرض والضمانات الدولية والعربية لأن النظام سيتعنت بعد صفقة الكيماوي، ما يعني الفشل وفقدان الثقة والشعبية.

ما الحل.. إذاً ؟!

ثمة احتمالات، وإن غير كثيرة في حال عدم إيجاد حل سياسي للحالة السورية، منها التقسيم ومنها تحول سوريا لدولة فاشلة واستمرار القتال مادام النظام يلقى كل هذا الدعم المالي والتسليحي وحتى السياسي من إيران وروسيا والصين، ما يفرض سؤال ما على المثقفين والمؤثرين فعله .

الدكتور العظم قال:

- علينا كمعارضة ألا تغيّب هذا الاحتمال عن أذهاننا أن احتمال تحول سوريا إلى دولة فاشلة مازال قائماً، وعلينا العمل للحيلولة دون حدوث ذلك؛ فحتى لو نجح مؤتمر جينيف2 وخرج عنه تفاهم بتسليم المعارضة حكومة كاملة الصلاحية، فاحتمالات أن تبقى جيوب معارضة ومتقاتلة قائم، ولو لأجل محدد، ما يعني أن سوريا ستشهد فترة انتقامات وتصفية حسابات، لذا علينا في المعارضة أن نحد قدر الإمكان من ضرر وشرور هذا التوجه.

أما اللبواني فقال:

- إن لم ينجح جينيف بعد توريط المعارضة بالحضور فستوضع سوريا على البند السابع وتدار من قبل المجتمع الدولي وتقسم سوريا إلى مكونات لتدخل في حرب أهلية طويلة، لكن اللبواني استدرك وقال: المخرج الوحيد في التعويل على الثوار كي يقلبوا الطاولة ويغيروا من المعادلة، ولا يوجد حرية مجانية الاستسلام والتخاذل سيعطينا مزيداً من الضعف والخسائر.

وهو ما أجمع عليه المصبح ومحمود والدندل.. كلٌّ على طريقته.. وإن لم يرفضوا التفاوض كمبدأ في جينيف كما فعل اللبواني.

خلاصة القول.. الأرض هي الفيصل وما ستتمخض عنه الأيام الفاصلة حتى موعد جينيف، إن لجهة القرارات الدولية أو لما يتعلق برأي ومواقف المعارضة السياسية، قد يضيفان معطيات جديدة، وهو الرأي شبه الوحيد المتفق عليه، بعد أمنية إنهاء الأزمة ورحيل النظام وإعادة عودة المهجرين وبدء الإعمار..على حد قول ضيوف مجلة «تواصل» لهذا التحقيق .

إن كان لابد من جنيف 2

د. يحيى العريضي

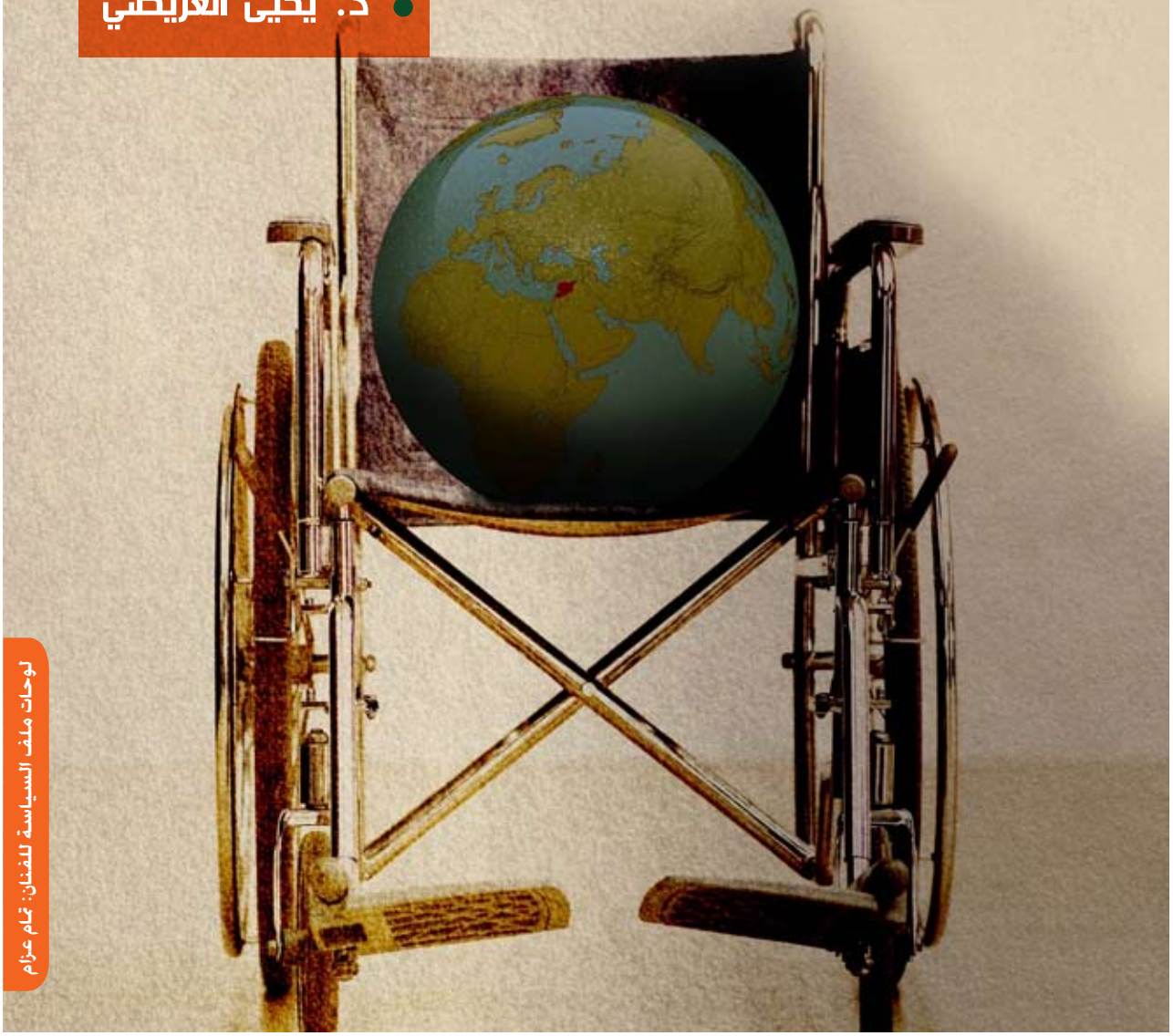

لوحات ملف السياسة للفنان: تمام عزام

بداية يجب ألا يغيب عن الأذهان أنه لو قصد الأمريكيون والروس أن يضعوا حلاً للمسألة السورية وبسرعة، كان بإمكانهم أن يفعلوا ذلك منذ زمن ؛ ليس بالضرورة بالشكل الذي ينشده شعب سوريا المطالب بحريته، وبحق؛ بل بناء على ما تنص عليه الشرعية الدولية وبناء على ما تتبجح به أمريكا ذاتهاعلى الدوام بخصوص الحرية وحقوق الانسان . ماكان الأمر يحتاج إلى أكثر من تلويح بقرار دولي [مجرد تلويح] حتى تُحسم الأزمة . كان بامكان أمريكا وعالم الناتو من خلفها ان يطلقوا مجرد تصريح جاد لارتعدت مفاصل النظام ولتمّ التوصل إلى حل أيضا منذ زمن. كاد التهديد غثر استخدام السلاح الكيماوي ان ينهي المسألة. باختصار الكل - باستثناء الشعب السوري الثائر- أراد إطالة المأساة كي يبقى النظام أو تتحوّل سوريا الى حالة كسيحة . من هنا لا بد من أن نستنتج أن الروس والأمريكيين قد توصلوا الى قناعة مفادها ان سوريا لا بد وصلت الى حالة الكساح التي نشدوها ولكن هناك خشية حقيقية من امتداد النار الى محيطها . ومن هنا خرجوا بهذا الاقتراح الخطير وهم يدركون ان ذلك في مصلحة النظام لانه المأزوم لكن الأكثر تنظيما من يعارضه ؛ ولأن المعارضة في طريقها إلى إنجاز

هدفها ولكنها مبعثرة . ترى المعارضة ومعها الثائرون في سوريا ان المشكلة في المؤتمر تكمن بمن سيجلس على الجانب الآخر من طاولة المفاوضات أو الحوار . للعلم - وهذا لا يمكن ان يكون خفياً على أحد -لن يجلس على ذلك الجانب الآخر إلا من يمثل ويأتمر بأوامر بشار الأسد ونظامه . السؤال الآن . هل يجلس وفد المعارضة مع ممثلي النظام القاتل أم يرفض . إن جلست المعارضة فهي بنظر الكثيرين تغضب الشعب السوري الذي ثار على ظلم النظام وتخون دماء وأرواح من قضوا ثمناً للحرية ؛ وإن لم تجلس فهي تغضب قطبي العالم القويين اللذين اتفقا على هذا المشروع . فما المخرج ؟ على المعارضة أن تحدد بداية فيما إذا كان لشعب سوريا مصلحة في مؤتمر كهذا . إذا كان هاجس الشعب السوري الآن أن يتوقف زهق الأرواح ونزف الدماء ؛ فهذا انجاز ؛ ولكن هل ثار شعب سوريا لينزف كل هذا ثم يعود الى أطلال بيته ؟ وهل مضمون أن يرفع النظام يده عن الزناد ؟ هل فعلها خلال ثلاثين شهرا ؟ هل يستطيع اساساً؟ أتتصور أن النظام لا يدرك أنه بمجرد رفعه يده عن الزناد ، ينتهي ؟ بناء على هذه الأفكار البسيطة ؛ لا بد من النظر بالامور التالية . علها تكون نقاط هداية لما سيكون عليه القرار بخصوص مؤتمر جنيف 2 • الخشية من غضب أمريكا أو روسيا ومن لف لفيفهما يجب ألا يكون ذا شأن . هما غاضبان على أية حال . لم يتركا وصفاً رديئا أوعبارات محبطة إلا وألصقوها بالمعارضة السياسية التي يفترض أنها تمثل الحراك الثوري في سوريا . تعجبهم المعارضة عندما تكون طوع بنانهم الخبيث ؛ وما أظنها تشتري رضاهم وتبيع قداسة شهداء سوريا وتضحياتها مهما كانت على درجة من الوضاعة. إن كان هذا هو التخوف فلننساه . إرادة الثورة أقوى منهم بكثير ، ولذلك يلهثون وراء إنقاذ نظام لم يعد بإمكانهم لملمته ؛ ويحاولون إخافتها وتشويهها بقدر ما يستطيعون . • في مسألة من يحضر المؤتمر إضافة للدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ؛ ليحضر من يحضر :ايران ، السعودية ، تركيا ، ألمانيا ، قطر ، جزر القمر ؛ هذا ليس مهما ؛ علينا ألا نسمح بأي تعقيد أو ذريعة يبحث عنها من يريد « استمرار خراب بلدنا أو بقاء النظام «. • في مسألة تمثيل الثورة ، أرى أن خير من يمثلها هو فريق من الشهداء ؛ ولكن ذلك مستحيل . ومن هنا على من يمثلها أن يضع في حسبانه أنه ينطق باسم الشهداء وبروح تضحيات وألم ودمار وتشرد اهل سوريا والظلم الذي واجهوه على يد النظام الطاغي والعالم الصامت على إجرامه . فليكن من كان ذلك الفريق ؛ فقضيته لا تحتاج إلى براعة نادرة ولا إلى تمثيل واسع ولا إلى ترتيبات تحت الطاولة ولا إلى « كولكة « وحذلقة وكذب . إنها القضية الأوضح التي لا تحتاج أمثال الجعفري . • إن كان لا بد من ذلك فليتم اختيار عدد من الأشخاص دون أن يصرَّ أو يتمسك أحد برأيه ودون أن يظن أحد أن وراء أي إسم غاية او مصلحة ؛ ويجب ألا يغضب أو يزعج ذلك أحدا غير الأناني الذي لاعلاقة له بثورة سوريا . طالما أن هاجس أي مجموعة تتشكل انتصار الثورة وسلامة سورية وإزاحة الطغيان ؛ فلا ضرورة لضيق الافق وبناء الامبراطوريات الخاصة. • أيضاً إن كان لا بد من ذلك ، وبعد تسليم الأسماء لرعاة المؤتمر تعبيراً عن الإيجابية وعن حسن النية لا بد من الطلب من الراعيين ، وخاصة روسيا ، أن تبلغ النظام بالالتزام سلفا بالنقاط التالية : + وقف العمليات القتالية من قصف جوي وصاروخي وأي شكل آخر قبل المؤتمر باسبوع وخلاله + إخراج وحضر أي مظاهر مسلحة غير سورية من الأراضي السورية + اطلاق سراح المعتقلين ؛ + فتح باب عودة السوريين إلى وطنهم وضمان حياتهم وعيشهم الكريم + قبول تشكيل هيئة عمليات قيادية كاملة الصلاحيات إدارياً وتنفيذياً تشرف على كل القطاعات مستعينة بمجالس محلية. قوام هذه الهيئة دولي وإقليمي وعربي ؛ وتحتوي على تمثيل للسلطة والمعارضة سياسيا وعسكريا وامنيا وإن لم يشهد العالم التجاوب مع هذا التوجه. فالمعارضة معذورة عن عدم التجاوب مع دعوتهم الكريمة ، وتعلن على رؤوس الأشهاد انها بحل مما يقترحون وتكون معذورة بذلك ؛ وتكون تلك اهم خطوة في توحدها . لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن تحقيق « انتصارات» على الأرض لن يفيد النظام . مهما ارتفع منسوب الدعاية ومهما استشرست محاولات تغيير ما حدث وتبعاته ومعانيه إلا ان الشمس غيرقابلة للتغطية بغربال. في سوريا جرائم حرب وخراب ودمار وتشريد؛ وما من قوة مهما تجبرت أو نافقت أو دارت تستطيع أن تزيح المسؤولية عن النظام في كل ماحدث من مأسي لسوريا واهلها. جل العالم يعرف هذه الحقيقة ؛ والنظام ذاته يعرف أنه مهما كابر فلا مهرب أمامه . مقابل الالتزام الموثّق على النظام أن يواجه الحقيقة ولو مرة واحدة ويدرك بأن أفضل ما يمكن أن يحصل عليه لا يزيد عما عرضه معاذ الخطيب . إن خرج من المؤتمر بهكذا إنجاز يكون « انتصر « بالمناسبة ؛ أقول وبكل صدق وصراحة إن النظام لن يتمكن من تنفيذ هذا الطلب المنطقي الذي تطرحه المعارضه .إنه يعتقد - وهو فعلاً محق بذلك - بان ذلك سيكون نهايته؛ فلتكن هكذا. افضل بكثير من أي نهاية أخرى .

الموقف التركي من الثورة السورية

خلف سِتَارَتِيّ.. الإنسانية والعقيدة

• عبد القادر عبد اللي

تحرص الحكومة التركية من خلال التصريحات المعلنة على إبراز أن موقفها من الثورة السورية موقف إنساني. ويدعي المعارضون للحكومة التركية بأن موقفها الإنساني ستارة، وهو يخفي خلفه موقفاً عقائدياً ينبع من أيديولوجية دينية مستترة. ويذهب السياسيون المؤيدون للنظام السوري أبعد من هذا ليعتبروا أن موقف حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا هو موقف أخواني إلى درجة اعتبار أن هذا الحزب جزء من تنظيم الأخوان المسلمين العالمي. فأي من الرأيين هو الطاغي؟ وهل هناك بعد آخر لهذا الموقف؟

الموقف الإنساني:

ما من شك أن للجانب الإنساني دوراً مهماً في موقف الحكومة التركية من القضية السورية. ومن أجل الوقوف على حقيقة هذا الجانب يكفي أن نستعرض موقف الحكومات التركية السابقة من قضايا مشابهة. فهذه ليست المرّة الأولى التي تتخذ فيها الحكومة التركية موقفاً إنسانياً من أحداث في دول الجوار. منذ عام 1990 وحرب الخليج الأولى تعرضت الأراضي التركية لموجات هجرة واسعة على فترات مختلفة جاءت من العراق. وكان الأكراد أكثر من قصد الأراضي التركية في تلك الفترة. حسب موقع أوقاف المساعدات الإنسانية التركية «İHH» فقد تدفق على الحدود العراقية التركية خلال شهري آذار ونيسان من عام 1991 حوالي مليون ونصف المليون لاجئ عراقي إثر ما سمي في ذلك الوقت الانتفاضة الكردية. وتقول المصادر التركية بأن إمكانياتها اللوجستية لم تكن مناسبة في تلك الأيام. لذلك أغلقت الحدود في وجههم. ولكن على الرغم من هذا فقد دخل حوالي نصف مليون لاجئ إلى الأراضي التركية بشكل غير شرعي. وتم تأمينهم علماً أنه لم يكن لدى الجهات المختصة التركية سوى عشرين ألف خيمة.

مع تدفق اللاجئين السوريين إلى الحدود التركية إثر عنف السلطة في قرى الساحل السوري. لم يكن لدى الحكومة التركية أو منظمات الإغاثة أي تحضير مسبق لهذا الأمر. مما دفع الحكومة لفتح مستودعات مؤسسة المواد التي تحتكرها الدولة «TEKEL» والتي تمت تصفيتها منذ زمن طويل. واستضافت اللاجئين فيها ريثما تجري استعداداتها. ونجد اللعب اللفظي لوزير الخارجية السورية يومئذ بعبارته الشهيرة: «أنشأت الحكومة التركية مخيمات للاجئين قبل أحداث جسر الشغور بأسبوع.» نعم. إنها قبل أحداث جسر الشغور بأسبوع. ولكنها بعد أحداث الساحل بأكثر من خمسة عشر يوماً. وقد كان هناك لاجئون سوريون فعلاً أثناء التواصل الوثيق بين الحكومة التركية والنظام السوري.

الموقف العقائدي:

هناك من يعزو موقف الحكومة التركية من الثورة السورية إلى تبني العدالة والتنمية أيديولوجية إسلامية. يقدم أصحاب هذا الموقف دليلهم بأن الثورة السورية هي ثورة إسلاميين لذلك تفتح لهم الحكومة التركية ذراعيها. وتقدم لهم الدعم بأنواعه

كافة. وحتى إن هناك من يربط حزب العدالة والتنمية التركي بتنظيم الاخوان المسلمين العالمي، ويطلق هذه التهمة كل الموالين للأسد داخلياً وخارجياً.

الغريب بالأمر أن تهمة الانتماء إلى الاخوان المسلمين لم تُطلق من قبل على العدالة والتنمية، وقد أطلقت سابقاً على حزب الرفاه المحظور، وحوكم الحزب في هذه القضية، ونال البراءة من محاكم معادية للأخوان المسلمين والإسلام السياسي عموماً. كما لا يمكن حسب الدستور التركي المعمول به حالياً، ولا مشروع الدستور الذي يُعد في البرلمان تأسيس حزب على أساس ديني. ويعرّف حزب العدالة والتنمية نفسه بأنه حزب محافظ. وهناك فرق شاسع بين تنظيم محافظ بدستور علماني وحزب ديني دعوي يقول صراحة إنه يريد أن يحكم بموجب القوانين الإسلامية، وحتى يعتبر العلمانية خروجاً عن الدين، وكفراً.

ولكن مما لاشك فيه أن حزب العدالة والتنمية التركية حزب يقصد من صفة «حزب محافظ» الحفاظ على الخصوصية التركية وهذه تتفرع إلى عنوانين ثلاثة ديني واجتماعي وقومي. فالدين جزء من تراث يسعى الحزب للمحافظة عليه، وبالتالي لا يمكن إنكار دور العقيدة الدينية بالتعاطف الذي يدفع لاتخاذ موقف مؤيد للثورة السورية. وهذا بدا جلياً من خلال النشاطات التي ينظمها الحزب، فقد كانت غالبية الشرائح المشاركة في تلك النشاطات هي قواعد الحزب المتدينة.

البُعد المغيّب:

السؤال الأهم، هل هناك سياسة تبنى على تعاطف إنساني وموقف عقائدي فقط؟

في كل يوم يشمخ المحللون والمحرّمون السياسيون أمام الكاميرات، ويرددون الجملة التي ما إن يحفظها كائنٌ، ويجيد إلقائها حتى يغدو محنكاً سياسياً تتلقفه الفضائيات: «السياسة مصالح.» هذا يعني أن الجانبين الإنساني والعقائدي لا يكفيان من أجل اعتماد دولة ما موقفاً سياسياً في قضية معينة. ولكن لا أدري لماذا لم يناقش أحد على الإطلاق المصالح التركية في هذه القضية. ترى لو نوقشت أما كان التعامل مع تركيا كدولة بكل أحزابها وكياناتها السياسية أفضل وأكثر عطاء؟

غير إسرائيل الكيان المنبوذ في المنطقة. هناك قوتان صاعدتان تسعيان للحصول على نفوذ في المنطقة هما إيران وتركيا. ولا يخفى على أحد أن إيران برزت إبان ما سمي الثورة الإسلامية. وبدأ الانفتاح التركي على العرب إبان انقلاب 12 أيلول 1980.

ليس من الممكن اعتماد الثأر التاريخي العثماني الصفوي باعتباره ناظماً وحيداً للعلاقة بين هاتين الدولتين وإن استُخدم في بعض الأحيان لسَوقِ العامة إلى الشوارع من أجل استعراض القوى، وإفراغ شحنات النفوس. وقد لعبت القوتان هذه اللعبة مستخدمتين مخدر المذهبية السريع المفعول الذي ذكّر أناساً ملحدين في تركيا، ويباهون بإلحادهم أنهم ينتمون إلى مذهب قريب من مذهب الولي الفقيه. كما ذكّر بالمقابل بعض المتدينين أن هناك من يستهدفهم بدينهم ومذهبهم. ولكن هذا يفيد في استقطاب جماهيرية معينة. هل يمكن أن يعين سياسة دولة تربطها شبكة علاقات عالمية واسعة بدءاً من حلف شمال الأطلسي وليس انتهاء بالاتحاد الأوربي؟ بما أن علماء السياسة يقولون السياسة تبنى على المصالح. فجواب هذا السؤال: لا.

نعم. هناك تنافس سياسي بين إيران وتركيا. حظيت إيران بمكاسب كبرى في أفغانستان بتحالفها مع الولايات المتحدة. وضمت إلى دائرة نفوذها منطقة تزيد عن نصف ذلك البلد ببيع عقيدة مقابل ثاني أغلى ثروة في العالم وهي المخدرات. صحيح أن تركيا أيضاً كانت جزءاً من الناتو في تلك الحرب. ولكنها خرجت دون مكاسب من تلك المعركة (على المدى المنظور على الأقل).

بعد أفغانستان. دخلت إيران وتركيا بتحالف (غير معلن هذه المرة) مع الولايات المتحدة في الحرب على نظام صدام حسين. ولكن إيران نجحت أيضاً باستخدام رابط مجاني اسمه العقيدة لتضع يدها على ساحة نفوذ وبوّابة وثروات هائلة في هذا البلد. بينما بقيت تركيا خارج المعادلة حتى الآن على الأقل.

جاءت القضية السورية. ووضعت إيران يدها منذ اليوم الأول على الملف الداخلي السوري. واستنفرت حلفاءها جميعاً من أفغانستان إلى لبنان. وامتداداً إلى اليمن للوقوف إلى جانب النظام بعد أن أدخلته ضمن نفوذها دون مقابل أيضاً. ووضعت أسس إمبراطوريتها القروسطية من الصين إلى المتوسط. وعينها على التمدد نحو شبه جزيرة العرب.

لنسأل هذا السؤال الافتراضي البسيط: «لو نجحت إيران بقمع الثورة. وعاد رجلها في سوريا أقوى مما كان عليه قبل آذار 2011 كيف سيكون وضع تركيا؟» (طبعاً هذا السؤال ينسحب على السعودية ودول الخليج أيضاً لمن أراد أن يجري قياسات) وهنا نقول كيف سيكون وضع تركيا وليس وضع حزب العدالة والتنمية أو أي حزب إسلامي أو علماني أو ملحد آخر؟

طبعاً لا يحتاج هذا السؤال إلى كاهن أو متنبئ من أجل الإجابة عليه.

إذاً هناك بُعد حاضر مغيب دائماً في الأمر وهو الموقف التركي. ولكن عبقريات السياسة السورية المعارضة حفظت عن ظهر قلب عبارة «السياسة تبنى على مصالح» ولكنها على ما يبدو إنتاج نظام الأسد التعليمي الذي يعتمد على القاعدة التربوية المذمومة «الحفظ والإلقاء». لم يصلوا إلى درجة الفهم التي تعتبر المستوى الأعلى من التعلم. ومن لم يصل بعد كل هذه الفترة إلى سوية استطاعة الفهم لا أعتقد أنه سيصل فيما بعد. لأن القاعدة التربوية أيضاً تقول: «التعلم قابلية واكتساب في آن واحد. وغياب القابلية يجعل الاكتساب مستحيلاً».

مع خالص أمنياتي بأن أكون مخطئاً...

المثقفون السوريون والثورة السورية

• حواس محمود

من ضمن التهم الاستبدادية الموجهة للثورات العربية ومنها الثورة السورية أنها تفتقر للمثقفين، وهي لعمري كلمة حق يراد بها باطل، فهل إلى هذه الدرجة الاستبداد والطغيان العربي حريص على سمعة ونجاح الثورات ضدها؟، مع أن المثقف كان ألد أعدائها منذ الاستقلال مرورا بالنكبة والنكسة وحروب العراق الثلاثة وانتهاء بالربيع العربي .

لنتحدث عن الثورة السورية ، ألم يكن المثقف السوري بجميع شرائحه وانتماءاته القومية والدينية والمذهبية ضحية من ضحايا القمع من قبل النظام السوري طيلة عقود متطاولة من الزمن المزمن والوئيد وثقيل الوطأة إلى حد الإشمئزاز ، ما قبل ربيع دمشق 2000 وما بعده كان المثقف السوري نزيل سجون وأقبية معتمة يتعرض للتعذيب والإذلال والمهانة والإحتقار ، وصولا إلى الربيع العربي والثورة السورية ، نذكر عددا من المثقفين ممن أعتدي عليهم ولوحقوا أو قتل بعضهم

مشعل التمو : ، مثقف كردي سوري تعرض للاعتقال ومن ثم تم تصفيته في وضح النهار ، هذا المثقف كان من أكثر المثقفين الكرد دعوة للتآخي العربي الكردي وأكثرهم ميلا للوطني السوري العام المرتبط بالدفاع عن خصوصية كردية في مجتمعات الحسكة وعفرين حيث الغالبية الكردية

علي فرزات : الفنان التشكيلي السوري العالمي الذي تعرض لاعتداء آثم على اعماله التشكيلية الناقدة للنظام والمؤيدة للثورة فضاق صدر النظام وتم الاعتداء عليه مما أضطر لمغادرة البلد للمعالجة

نجاتي طيارة :

وهو صوت ثقافي سوري مرموق أبى إلا أن يقف مع جموع الشعب الثائرة ضد الاستبداد ، إلا أنه اعتقل فيما بعد على يد الأمن السوري. تنقل بعد خروجه من سوريا بين الأردن وتركيا ومصر، وأخيراً تلقى دعوة للإقامة في باريس من بلديتها تحت عنوان «كاتب المدينة الحرة»

إن قائمة المثقفين السوريين قائمة طويلة ، نذكر الفنانة فدوى سليمان وعبد الباسط ساروت ومي إسكاف والقاشوش ، وطل الملوحي ،وريما فليحان ، وفي حقل الثقافة والفكر نذكر عبد الرزاق عيد - جاد الكريم الجباعي- صادق جلال العظم - نوري الجراح - فدوى كيلاني - محي الدين لاذ قاني - بشار العيسى - - إبراهيم اليوسف - سليم بركات ياسين الحاج صالح وجورج كتن وميشيل كيلو وجورج صبرا وجان دوست وغيرهم ...

إن ربيع دمشق 2000 كان مبشرا بربيع سوري عام وشامل وتجربة المنتديات الثقافية والفكرية غذت شرايين الثقافة السورية وأوردتها بنسغ ديموقراطي مضاد للاستبداد وكان حامل لواء التغيير المثقفون السوريون الذين لم تستطع آلة الاستبداد والفساد المزمنة من تطويعهم أو إغرائهم أو ثنيهم عن رفد المشهد السوري بطابع ثقافي الطعم ديموقراطي النكهة تحولي المسار

وهكذا كانت الثقافة السورية على يد نخبة رائدة تخط طريقها بثقة عالية إلى مسارات التحول التاريخي الذي هو حتمية التاريخ وقانون الطبيعة البشرية متجاوزين كل إغراءات السلطة ورشاويها البائسة

لا ننسى هنا الفنان السوري المبدع سميح شقير وأغنيته الشهيرة في بداية الثورة « يا حيف » التي ألهمت المتظاهرين السلميين وحفزتهم للمضي في مشوار الحرية الصعب والشاق والمضني في آن.

وبحسب العديد من المتابعين فان المثقف السوري ينتمي إلى جيلين جيل السبعينيات والثمانينيات وهو جيل السياسة الذي مارس الكتابة السياسية والتنظير الفكري والايديولوجي وهو الجيل الذي قضى أكثر من عقد أو عقدين في السجون والمنافي أما الجيل الآخر هو الجيل الشاب ، جيل المدونات وبرامج التواصل الاجتماعي ، الذي نشط في الثورة بالتصوير والمراسلة والمتابعة النشطة وهذان الجيلان التقيا معا لخدمة الثورة السورية .

المدرسة القديمة في الخارجية الهندية

سلام الكواكبي

يدعوك مركز ابحاث هندي في السياسات الخارجية والعلاقات الدولية، وهو الذي يعتبر مخبراً للتفكير المستقل ولكن القريب جداً من صنّاع القرار الدبلوماسي، إلى ندوة حول التحولات القائمة في بعض الدول العربية مع تركيز على الحالة السورية، فتلبي الدعوة متحمّساً ومتحسّباً.

فالحماس يعود إلى تاريخ هذا البلد / القارة وحضاراته وغناه الإنساني، وإلى دروس المعلم الأكبر المهاتما غاندي في فلسفة المقاومة السلمية ضد المحتل البريطاني والاعتماد على الذات الوطنية. إنه حماس يقودك إليه أيضاً ما حملته سياسات جواهر آل نهرو العالم ثالثية من دعوات تطوير اجتماعي واقتصادي في جو من عدم الانحياز المنشود / المتخيّل في بدء قيام الدولة الوطنية في آسيا في حقبة ما بعد الاستعمار. إضافة إلأى ذلك، يوجد بعض من الحنين الحقيقي أو المصطنع لفترة التحالف بين الزعيمين نهرو وعبد الناصر في سنوات قيادتهما لتيارٍ وطني واعد، على الأقل نظرياً، ومع التشديد على التمايز بين التجربتين، في المشهد السياسي الأفرو ـ آسيوي. واحدة أوصلت البلاد إلى الديمقراطية النسبية وأخرى قضت على حلم البلاد بالديمقراطية في حدودها الدنيا لعقود عدة، ولم تزل.

أما التحسّب، فيعود إلى مواقف الهند، كما كافة أعضاء مجموعة دول البريكس (البرازيل والصين وروسيا وجنوب إفريقيا) السلبي والمشكك بالثورات العربية ومتبني الموقف البافلوفي في بدائيته الأشد وقاحة : ما دام عدوي المُتخيّل أو المُدّعى صديقٌ متخيّل أو مدّعى للقوى السياسية التي تتحرك في الاحتجاجات العربية، فهذه الثورات غير شرعية وهي نتاج مؤامرات يبدأ حياكة أثوابها في الخليج العربي اللاديمقراطي لكي لا تنتهي في شواطئ لوس انجلوس، مروراً عبر تل أبيب، ومعرّجة في طريقها على المحافل الغامضة، حاملةً بعضاً من نفحات الماسونية العالمية، ومتعطّرة بعبق الغطرسة الامبريالية، ومتبنيّةً لإيديولوجيات ظلامية تضاجع مراكز المال العالمية في سبيل تمرير أنابيب نفط وغاز ومجاري مجهولة المصدر.

على الرغم من أن الصفة الجامعة هي معاداة الآخر المتمكّن، أو الذي كان في وقت قريب متمكناً، وتسجيل موقف «استقلالي» و «عالمثالثي»، فيبدو من الضروري، التمييز بين مستويات التطورات السياسية والتحوّلات الديمقراطية بين منتسبي مجموعة البريكس. فهي تجمع دولاً غير ديمقراطية البتة كروسيا القائمة على اعادة تأهيل عناصر الكي جي بي على شكل مافيا رأسمالية متهوّرة، تُعيد للامبراطورية الروسية موقعها تحت الشمس، أو حتى تحت الأضواء المصطنعة ليس أكثر، والصين، التي استطاعت بذكاء «متطور» أن تنتقل إلى أعتى أشكال الرأسمالية واستغلال اليد العاملة، مع الاحتفاظ بحزب «شيوعي» قائد وقبضة أمنية رائدة على كل مستلزمات الحياة السياسية الطبيعية في مجتمع متطور.

وبيد الدول الأخرى من المجموعة ذاتها الديمقراطية كالهند والبرازيل وجنوب إفريقيا. حيث تخلّصت البرازيل من ديكتاتورية عسكرية مستبدة، كانت إحدى المناضلات المسلحات لها رئيستها الحالية. وانعتقت جنوب افريقيا من نظام فصلٍ عنصريٍ مديد تلى الاستعمار. أما الهند، مقصدنا في هذه العجالة، فهي التي تغنّى بها كثيرٌ من كتب عن الديمقراطيات العريقة ليضعها في مقدمة المشهد وليشدد على أنها من أعمقها ممارسة.

هذا البلد العظيم يعاني من أزمة اقتصادية تُصيب طبقته الوسطى بالتحديد. ويرتفع ثمن الروبي الهندي مقابل العملات الأجنبية مما يُفقد الاقتصاد قدرته التنافسية التي لطالما تغنّى بها. فالنمر الهندي الذي عرف سنوات نمو اقتصادي

وصلت معدلاته إلى ثمانية بالمائة، يعاني من تراجع نسبي، حيث يبدو بأن المعدل لن يتجاوز في أفضل حالاته الخمسة بالمائة هذا العام. والتضخم في تصاعد وكذا معدلات الفائدة التي تمتص الاستثمارات. وبسبب التأخر في إعادة الهيكلة الاقتصادية والإصلاح البنيوي الموعود، فقدت الحكومة الهندية ثقة المستثمرين الأجانب. ولم تقم أيضاً بإعادة رسملة القطاع المصرفي الحكومي في غالبيته. بالمقابل، تم الانفاق بشكل كبير جداً على استثمارات في البنى التحتية بالاعتماد على القروض. ولكن لا أحد يعرف كيف سيتم تسديدها. والنتيجة، فقد فقد الروبي منذ بداية العام خمس قيمته، مما أدّى إلى ارتفاع كبير في أسعار المواد الأولية والوقود وكل السلع المستوردة. وكما هو الحال دائماً، فالفقير يستمر في فقره، والغني يستمر في تصاعد غناه، أما الطبقة الوسطى، فهي تُرسل إلى مراتب الفقر. ويبلغ عدد الجزء الشاب من هذه الطبقة 300 مليون نسمة تقريباً. وهي عماد التطور التكنولوجي المتميّز في الهند، إضافة إلى الحقول العلمية العديدة من طب وهندسة، حتى اعترف رئيس الوزراء مانموهان سينغ، وحكومته تستعد للانتخابات في أيار المقبل، بأن «الاقتصاد يمر بفترة شديدة الصعوبة»، وهو الذي كان ينفي هذه الحقيقة لمدة أشهر عدة. ولم يجد في سبيل الحد من الأزمة حتى الآن إلا إعادة مراقبة أسواق الصرف، مما سيؤدي إلى تفاقم حذر المستثمرين واستمرار الدائرة المفرغة التي يمرّ بها هذا الاقتصاد المغرق في بيروقراطيته كما بقية جوانب الحياة العامة.

على هامش الهم الداخلي إذاً، والذي يقفز جلياً إلى نظر كل مراقب محايد عبر مظاهر الفقر المستشري الذي لا قعر له حتى خيالاً، تحاول الدبلوماسية الهندية أن تسجّل موقفاً إقليمياً ودولياً. فالهند «يُعادي» حليف الغرب عموماً وأميركا خصوصاً، دولة الباكستان، منذ عقود. وقد خاض البلدان حروباً عدة، وتبدو الاستثمارات العسكرية للهند مسخّرة لمواجهة «الخطر» الباكستاني. وقد طوّر البلدان قدرات عسكرية ونووية هائلة لا تتناسب أبداً مع مقدراتهما الاقتصادية، مما ساهم أيضاً في زيادة الفقر والعوز لدى قطاعات واسعة من المجتمعين الهندي والباكستاني.

تتميّز الهند ربما عن الباكستان بديمقراطية مستدامة أكثر. وكذلك، استطاعت الهند من خلال نظام إقليمي محلي معقّد، أن تحتفظ للأقاليم باستقلالية نسبية سمحت لعشرات اللغات والاثنيات من التعايش النسبي وقلّلت من احتمالات التصادم القائم على الفوارق الاثنية أو الدينية إلا في بعض الحالات. وعلى الرغم من صعود القومية الهندوسية، إلا أنها ما زالت تمارس التلاؤم مع الظروف الوطنية التي تفرض عليها القبول ببعض التنازلات على المستوى الإثني.

والهند بلدٌ غير مرتاحٍ بالمطلق مع جيرانه حيث تكثر المشاكل أو الأزمات أو الحروب الأهلية أو التمردات. ومع ذلك، فالدولة الهندية تحاول أن تتبنّى سياسة عدم التدخل في خطابها الرسمي. ويبدو أن عدم التدخل هذا يتعلق بالبعيد وليس بالجار. فلا يخفى على أحد تدخلها في سيرلانكا وفي بنغلاديش على الأقل لصالح أمنها القومي. وعندما يأتي الحديث عن الدول العربية وحالات الشعوب العربية، يصمت الكلام الدبلوماسي ويعود للتذكير بمبدأ عدم التدخل في شؤون الآخرين. وهذا، وعلى الرغم من كونه من شؤون السيادة الوطنية، محمودٌ في مطلقه ولكن ليس في نسبيته واستنسابيته.

وتحتفظ الهند بعلاقات متطورة مع دول الخليج حيث مصادر الطاقة الرئيسية وحيث سوق العمالة التي تستوعب الحجم الأكبر من مهاجري الهند من كافة الأعراق ومن كافة الأديان. وكذلك، فإن الهند وقفت موقف الحياد المطلق فيما يتعلق بالتغيرات الجارية في عدد من الول العربية واعتبرت بأن ذلك شأن داخلي لهذه البلاد. ولم تطلق أي تصريح يعبر عن تضامنها المفترض أن يرتبط مع مبادئ تأسيسها «الإنسانوينة/الديمقراطية» مع شعوب المنطقة الساعية إلى حريتها وكرامتها.

وفي الحالة السورية، قام وفدٌ مشترك من الهند والبرازيل وجنوب

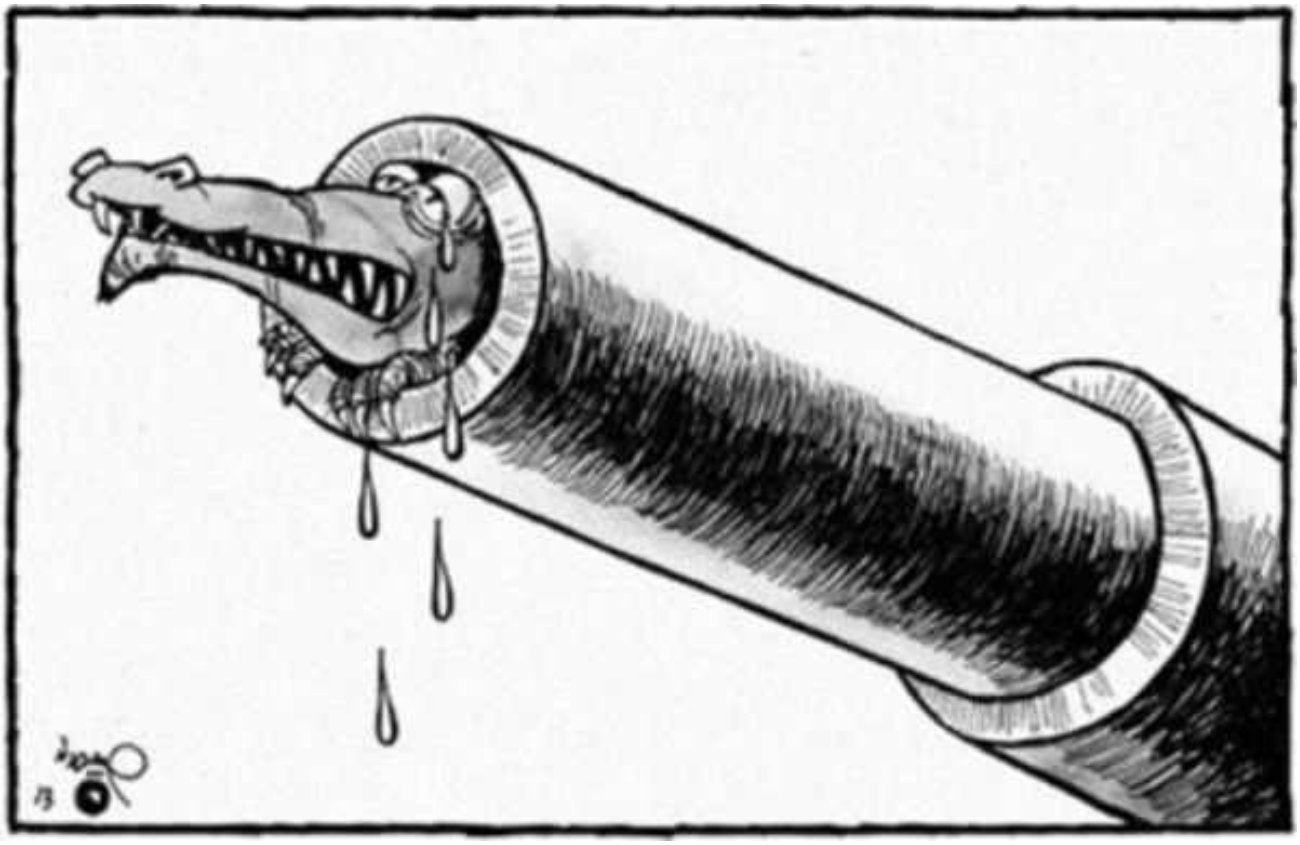

إفريقيا، بزيارة إلى دمشق في شهر آب من عام 2011، وذلك في بداية الاحتجاجات الشعبية وقبل تحوّل الحراك السلمي إلى المسلح. وقد ذكر الدبلوماسيون الهنود بأنهم حملوا اقتراحات عدة لحثّ الدولة السورية على القيام بالإصلاحات السياسية وعلى وقف العنف تجاه المتظاهرين العزّل. وكما يذكر بعضهم دون وجل، فقد حصلوا على وعود مطمئنة، لم يُحترم أي منها. فاعتكفت الدبلوماسية الهندية عن الخوض بالشأن السوري إلا من خلال مواقف سلبية تتعلق في رفض التصويت أو التصويت ضد كل ما يتعلق بإدانة الحكومة السورية وممارساتها في المحافل الدولية وخصوصاً في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ومن خلال النقاش، يبدو جلياً بأن الأصدقاء الهنود متمسكون بعقلية سياسية ترجع بنا إلى الستينات من القرن المنصرم فيما يتعلق بالنظر إلى القوى العظمى. وعلى الرغم من العلاقات المتطورة اقتصادياً واستخباراتياً وعسكرياً مع أميركا، والمناورات المشتركة المتكررة بين جيشيهما، إلا أنه من المفارقة الصارخة أن تسمع خطاباً معادي لأميركا «الامبريالية» وهو يتكرر على لسان صانعي الدبلوماسية الهندية. ويبدو أن الانفصام لا علاقة له بالنفس البشرية فحسب، بل هو مرتبط أيضاً بالسياسات وخصوصاً منها الخارجية. فالهند، ومنذ 2005، يطوّر علاقاته السياسية والاقتصادية، وربما العسكرية، مع إسرائيل. ولكنه، وعندما يتوجه إلى العرب، فهو يتبنى خطاباً خشبياً يذّكرنا بصوت العرب أو بأوراق أصابها الاصفرار قبل أن يقرأها أحدنا والحاملة للبلاغة النضالية دون الفعل النضالي. ففي كل تطرّقٍ للشأن السوري، يعود الحديث عن المؤامرة وعن الامبريالية وعن العدو الصهيوني. وكأننا في درس توجيه عقائدي نسى العدو الاسرائيلي الحقيقي ليغسل أدمغتنا باللغو عنه.

وفي ظاهرة أكثر ثقافوية، يُحذِّر مخاطبك من صعود التطرف الديني الإسلامي تحديداً منه المرافق للثورات العربية. مورداً أمثلة مصر وتونس وليبيا، وما يجري في سوريا من «سلبطة» قوى ظلامية على الحراك الديمقراطي بحجج عدة لسنا في صدد تحليلها الآن. والموقف المرتبط بالبعد الديني له علاقة بالوضع الداخلي الهندي والعلاقة المتأزّمة مع باكستان والخوف المشروع من تدهور الأوضاع في افغانستان. وكذلك، يبدو بأن الموقف المشكك بمشروعية الحراك الثوري في سوريا مرتبط بشدة بموقف معادٍ لكل ما يدّعي الغرب دعمه بلاغةً وليس فعلاً بالتأكيد. وهذا الجانب مرتبط أيضا بالعلاقة الإشكالية مع الباكستان المدعومة غربياً حسب تقديرات الدبلوماسية الهندية.

وعلى الرغم من الخطاب الرسمي المتأزّم من المسألة السورية، إلا أن مخاطبوك يعترفون بعدم احترامهم أو تقديرهم لمن يمارس القمع أو الاستبداد بحق شعبه. ويقدرون شرعية المقاومة السلمية وحتى المسلحة في جانب ضيقٍ منها. إلا أنهم ينأون بدولتهم عن لعب أي دور، عدا الحياد السلبي. وهم بذلك يتميّزون تراجعاً عن البرازيل التي أضحت تعبّر بشكل أوضح عن تنديدها بما يحصل من انتهاكات صارخة بحق الشعب السوري، على الرغم من موقفها المعادي للتدخل الأجنبي والمشكك بالثورات العربية المدعومة بنظرها من قبل الغرب. وهم يبتسمون عندما تذكّرهم بغانديهم الذي قال : «إن خُيّرتُ بين الجُبْنِ والعنف، لاخترت العنف».

سوريا والبوسنة... والعالم

• إبراهيم الجبين

انتشرت في الذكرى العشرين لحرب البوسنة، قطعة خبرية تتحدث عن مذيعة قناة سي ان ان الأميركية الشهيرة كريستيان أمانابور وهي تتحدث مع مراسل القناة عن حرب البوسنة وذكراها ويتبادلان تشبيه ما يحدث في سوريا اليوم من مجازر وانتهاكات وتدمير بما حدث في البوسنة، فكان المشهد كالتالي :

(في الذكرى العشرين لحرب الإبادة التي شنها الصرب على مسلمي البوسنة وراح ضحيتها(300) ألف بوسني مسلم واغتصبت فيها (60) ألف امرأة وطفلة وهجّر مليون ونصف، يتحدث مذيع سي إن إن عن ذكرى المجازر البوسنية ويسأل أمانبور:هل يمكن مقارنة البوسنة بسوريا ؟هل التاريخ يعيد نفسه ؟ كريستيانا أمانبور تعلق على ذكرى البوسنة: كانت حرباً قروسطية ، قتل وحصار وتجويع وكانت أوروبا وقتها قد رفضت التدخل. فاستمر الهولوكوست نحو 4 سنوات هدم الصرب فيها أكثر من (800) مسجد بعضها يعود بناؤه إلى القرن السادس عشر الميلادي، وأحرقوا مكتبة سراييفو التاريخية، ونشرت الغارديان البريطانية أيام المجازر البوسنية خريطة على صفحة كاملة تظهر مواقع معسكرات اغتصاب النساء البوسنيات(17) معسكراً ضخماً بعضها داخل صربيا نفسها، وقد اغتصب الصرب الأطفال، طفلة عمرها 4 سنوات والدم يجري من بين ساقيها ، نشرت عنها الغارديان تقريراً بعنوان :الطفلة التي ذنبها أنها مسلمة ..وأثناء حصار سربرنيتشا كان الجنود الدوليون يسهرون مع الصرب ويرقصون وكان بعضهم يساوم البوسنية المسلمة على شرفها مقابل لقمة طعام،و كانت الأم البوسنية تمسك بيد الصربي، ترجوه ألا يذبح طفلها،فيقطع يدها ثم يجز رقبته أمام عينيها) .

ولا يمكن إنكار درجة التشابه ما بين وقائع الأعوام 1992 - 1995، التي اندلعت فيها حرب البوسنة، ووقائع الأعوام 2011ـ2013 التي شنّ فيها نظام بشار الأسد حربه على الشعب السوري، وما تزال رحاها تطحن الأخضر واليابس، وتفتك بالإنسان والمكان السوريين، تلك الأحداث التي بدأت في آذار في كل من البلدين سوريا ...والبوسنة.

ففي آذار مارس 1991 عقدت مباحثات سرية ما بين فرانيو تودجمان وسلوبودان ميلوسيفيتش لتقسيم البوسنة بين الصرب والكروات والمعروفة باسم اتفاق كارادورديفو . وهاجم الصرب جبهات عدّة من المنطقة البوسنية. ولكن المجتمع الدولي وقف إلى جانب البوسنيين في رغبتهم بالاستقلال. وناصر مطلبهم في الحرية. واعترف بدولتهم. كما اعترف بأحقية الشعب السوري في الحرية وتغيير النظام. وازدادت الضغوط الدولية التي تطالب بسحب الجيش الشعبي اليوغسلافي من مناطق البوسنة. وحصل ما سيحصل بعد سنوات في سوريا. فقد سحبت القوات النظامية واستبدلت بقوات أخرى. كقوات الشبيحة. فقام أعضاء الجيش من الصرب البوسنيين بتغيير شاراتهم العسكرية. وشكلوا مايسمى جيش جمهورية صرب البوسنة واستمروا في الحرب. وآزرهم آلافٌ من الـ (متطوعين) المدنيين من صربيا. واستمر الدعم اللوجستي والمالي الخصم الصربي وحلفائه. و هاجمت القوات الصربية التجمعات المدنية لغير الصرب في شرق البوسنة.وبدأت خطّة رهيبة تجلت في نهب وإحراق منازل وممتلكات البوسنيين. وتجميع المدنيين من مسلمي البوسنة بعد القبض عليهم في معسكرات اعتقال كبيرة. وتعذيبهم وإذلالهم حتى الموت. وذكرت المصادر ومنظمات حقوق الإنسان أنه تم احتجاز الكثير من الرجال في مخيمات خاصة. أما النساء فكان يحتفظ بهن في مراكز اعتقال متعددة حيث يعشن في ظروف قاسية وغير صحية. ويتعرضن لأسوأ المعاملات بما فيها الاعتداءات الجنسية المتكررة. وكان الجنود و رجال الشرطة يأتون إلى مراكز الاعتقال تلك. فينتقون من النساء البوسنيات ويقومون باغتصابهن. وقد تم تهجير ما يقارب (2.2) مليون بوسني عن أراضيهم. ما بين لاجيء ونازح داخل البوسنة وخارجها. ثم شارك الكروات في البوسنة والهرسك في الإبادة. وقاموا بفرض سلطتهم وطرد اللاجئين المسلمين.وحسب لوائح الإتهام ضد أحد زعماء الكروات وهو جادرانكو بريليتش. فإن مجلس الدفاع الكرواتي قد قام بعملية تطهير عرقي للمسلمين من قرية بروزور والقرى المحيطة بها. وقتل حوالي(200,000) بوسني مسلم على يد الصرب.وانتشرت نداءات من البوسنيات جاء في بعضها :)إن عجزتم عن مدنا بالسلاح للدفاع عن شرفنا فأمدونا بحبوب منع الحمل حتى لا تتعاظم المصيبة).

وتقول الأمم المتحدة عن حرب البوسنة. أنه ما بين الفترة من 17 نيسان ابريل 1992.وحتى العام 1995 تمت إبادة أكثر من (300000) بوسني مسلم. وفي مذبحة سيربرينتشا وحدها فقد تمت إبادة أكثر من (80000) ألف شخص وتم قتل و اغتصاب الكثير من البوسنيات المسلمات حتى الموت تحت أنظار القوات الهولندية التي كانت مُكلفة بحماية المدنيين بالمدينة و قد اتهم كثير من الناجين من المذبحة القوات الهولندية بتسليم من فر من المدنيين لها إلى الصرب ليتم قتلهم لاحقا.

التدخل الدولي و كيف فكّر الأميركيون؟!

في اجتماع هلسنكي لمؤتمر الأمن والتعاون الأوروبيَّين. دانت القمة الاعتداءات الصربية على البوسنة. ودعت الهيئات الأوروبية إلى عمليات إغاثة إنسانية. وفرض حصار دبلوماسي وتجاري واقتصادي. ضد صربيا. مع الاعتراف بجمهورية البوسنة والهرسك. و وقد تلخص الموقف الأوروبي. مع بداية الأزمة. في رفض أي عمل عسكري ضد صربيا. إلّا لتأمين عمليات الإغاثة الإنسانية فقط.

الموقف الأوروبي

كان الموقفان الفرنسي والألماني يرى ممارسة ضغوط على الصرب. بسبب عملياتهم ضد كروات البوسنة. وقال الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران في حديث إلى جريدة (لوموند) الفرنسية:(إن فرنسا لا تخطط التدخل. بمفردها. في البوسنة والهرسك. وتكتفي بالمشاركة في تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي).وفي 24 تشرين الأول ـ أكتوبر 1996. أعلن الرئيس الفرنسي. جاك شيراك. تشككه في إمكانية إقرار سلام دائم في البوسنة. خلال عام واحد. وأشار إلى صعوبة تجاهل دور روسيا. في عملية إحلال هذا السلام. ودعا إلى إيجاد صيغة. من شأنها منح موسكو جزءاً من مسؤولية صنعه. وحذر واشنطن من إهانة موسكو!!! ومن جهة أخرى أعلن المستشار الألماني. هلموت كول. تأييده. في العام 1993. إلغاء حظر تصدير السلاح إلى البوسنة والهرسك. بشروط معينة. وإعطاء المقاتلين الفرصة للدفاع عن أنفسهم. وطالب وزير الدفاع الألماني (فولكر روها). برفع الحظر المفروض على البوسنة والهرسك. وقال: (أنا مع رفض حظر توريد الأسلحة. لأن توازن القوى. غالباً ما يوقف الحروب). أليس هذا التوازن هو ما يتحدث عنه المجتمع الدولي اليوم فيما بين المعارضة السورية ونظام بشار الأسد؟!

أما بريطانيا فقد كانت الاكثر تشدّداً تجاه الملف البوسني، ورفضت ممارسة أي نوع من الضغوط على الصرب، و ذكرت جريدة (صنداي تايمز) البريطانية، أن جون ميجور، رئيس الوزراء البريطاني، كتب إلى الرئيس الأمريكي، بيل كلينتون، يحذره من أي قرار متسرع، ولا سيما قراراً عسكرياً، يمكن أن تتخذه واشنطن. وأشار ميجور إلى معارضته بعض الخيارات، مثل قصف المدفعية الصربية أو إمكانية حصول البوسنيين المسلمين على أسلحة، كما أكد دوجلاس هيرد، وزير الخارجية البريطاني، عام 1993، أمام اجتماع وزراء خارجية المجموعة الأوروبية، في بروكسل، أن التسوية في البوسنة والهرسك، يجب التوصل إليها من خلال المفاوضات فقط، أمّا مارجريت تاتشر، رئيسة الوزراء البريطانية السابقة، فقد رفضت موقف بريطانيا المتخاذل تجاه مسلمي البوسنة، ودعت إلى تسليح البوسنيين، وإلغاء الحظر العسكري المفروض عليهم.

الموقف الروسي

يُعتقد على الدوام أن هناك ما يشبه التناقض في الموقفين الروسي والأمريكي، في قضية مثل قضية البوسنة، وذلك بسبب ما يلقاه الصرب من (دعم سياسي وعسكري) من جانب روسيا، بينما تريد واشنطن معاقبة الصرب على عدوانهم وعدم مكافأتهم، فإن حقيقة الأمر، تشير إلى عدم وجود أدنى تعارض، في الموقف السياسي بين الدولتين، ولكن كل من الدولتين لم ترغبا في رؤية دولة مسلمة في البوسنة، وتوافق كل منهما على تقسيم البوسنة، حيث تُظهر أمريكا عدم معارضتها لتوجيه ضربات عقابية ضد الصرب، بينما يتشدد الروس، ويهددون باستخدام حق النقض (الفيتو)، وبذلك، كانت تجري عرقلة أي مشروع لقرار جدّي يستهدف إيقاف العدوان الجاري على أرض البوسنة، بينما أعلنت الولايات المتحدة نيتها معاقبة الصرب (الأسد في الحالة السورية!!)، وصرح فيتالي تشوركين، مبعوث روسيا الخاص إلى مباحثات السلام في البوسنة، في جنيف، قائلاً: (إن التهديد الأمريكي، بتوجيه ضربات عسكرية ضد الصرب في البوسنة، قد جاء في وقت سيئ جداً، وإن ذلك سيكون له تأثير ضارّ في سير المفاوضات) (جنيف 2 في الحالة السورية!!) وتابع تشوركين(وإن انفراد أمريكا بأي عملية في البوسنة، قد يقوّض التعاون بين القوى الكبرى، الذي أعقب انتهاء الحرب الباردة).

وقال الرئيس الروسي بوريس يلتسين (إنه لا يوجد سوى حلّين فقط، لحسم أي نزاع، ينشب في العالم، فإما أن يحل النزاع بالحرب، أو بالتفاوض، وعلى أصحاب المشكلة أن يفاضلوا بين أحد هذين الحلين، وقد استفاد من تردد موقف الدول الغربية، فقرر أنه يجب أن يبدأ (تفاوض) ما بين الكروات والمسلمين مع الصربيين (مفاوضات جنيف2 والحل السياسي في المشكلة السورية!!).

ولكن ما الذي فعلته روسيا إضافةً إلى ذلك؟!

استخدمت موسكو حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن، لمنع توجيه ضربات عسكرية ضد مواقع الصرب في البوسنة، ولمنع رفع الحظر المفروض على إرسال السلاح إلى الأطراف المتصارعة هناك. وإذا ما صدر قرار من مجلس الأمن، يقضي برفع الحظر المفروض على إرسال السلاح، وتمكنت الدول الداعمة للبوسنيين من تقديم يد العون العسكري إلى مسلمي البوسنة، فإن موسكو يجب أن تكون مستعدة لتقديم مساعدات مماثلة إلى صرب البوسنة.وقامت روسيا بتشجيع المنظمات والهيئات الدولية الخاصة على إرسال المتطوعين الروس، ومن دول سلافية أخرى، للقتال مع صرب البوسنة، ضد البوسنيين والكروات(ألوية أبو الفضل العباس وحزب الله والحوثيين وفيلق القدس الإيراني والحرس الثوري في الحالة السورية!!!) وبدأت روسيا بإرسال هؤلاء (المتطوعين) وزيادة الدعم العسكري لصرب البوسنة، و كان المتطوعون الروس ينقلون من مطار بطرسبرج إلى بلجراد جواً أو بالقطار، كما كان في بطرسبرج، وبعض المدن الروسية الأخرى، نقاط تجميع لهؤلاء المتطوعين، وأغلبهم ضباط في الجيش السوفيتي السابق، حيث يتلقون إعداداً عسكرياً خاصاً، في قواعد سرية في روسيا، وتدريباً مركّزاً لمدة أسبوع. وتتكفل دولة الصرب بمصاريف نقل المتطوعين إليها من روسيا، والتي تصل إلى(100) دولار للفرد، ويتقاضى المتطوع الروسي (25) دولاراً في الشهر، ووقعت صربيا صفقة أسلحة مع حكومة روسيا، بلغت قيمتها 360 مليون دولار، تشمل بطاريات صواريخ أرض/ جو، ودبابات روسية،تي 55.

الموقف الأمريكي

مع تردي الأوضاع في البوسنة، وازدياد المجازر والجرائم الكبرى، بدأ الموقف الأمريكي، الذي كان يغض الطرف عما كان يحدث، بالتكشّف، وازداد الإحراج أمام الرأي العام، وقال وارن كريستوفر(باتت الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع القيام بشيءبينما أصر كلينتون على (أن الولايات المتحدة الأمريكية، ما زالت تحاول تحقيق السلام). و قال زبيغنيو بريجنسكي، مستشار الأمن القومي للرئيس الأسبق، جيمي كارتر: (أعتقد، بصراحة، أنه منظر مخز أن نرى وزير الخارجية ينفض يديه علناً، بينما سيرايفو على وشك السقوط، وسيشكل ذلك نكسة جيوسياسية خطيرة للغرب، تعكس، بوضوح، فشل قيادات أوروبا بالدرجة الأولى، والولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الثانية).

ورفع الكونجرس الأمريكي توصية إلى الإدارة الأمريكية، مطالباً فيها بضرب أهداف صربية، ورفع الحظر على تصدير السلاح إلى البوسنة، (في الحالة السورية الرئيس أوباما يتجنب هذا باقتراح تصويت الكونجرس على قرار الضربة الأمريكية ثم يتراجع كسباً للوقت !!) في ذات الوقت، كشف ديفيد أوين، الوسيط الدولي، عن حقيقة الوهم الذي تروّج له الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها، في مسألة توجيه ضربات جوية ضد مواقع الصرب! و في حديث له إلى مجلة (لونوفّل أوبزرفاتور) الفرنسية، قال: (إن المسلمين في البوسنة يُمَنُّون أنفسهم، بأن الأمريكيين سوف يأتون لإنقاذهم، كما يحدث في أفلام رعاة البقر الأمريكية، ولقد أقام المسلمون إستراتيجيتهم على هذا الوهم، مع أني حذّرتهم مراراً بألاّ يناموا على حرير الأوهام)، كما كشف السفير الأمريكي بارفولوميو عن حقيقة الموقف الأمريكي، المخالف تماماً لكل التصريحات الرسمية التي صدرت عن واشنطن، حين كان يحث رئيس البوسنة، بيجوفتش، على توقيع خريطة تقسيم البوسنة، قائلاً له: (يجب أن تغلق فمك، لأن الأمريكيين غير جادين في شأن إرغام الصرب على التراجع)!!!!وكانت الولايات المتحدة قد أنفقت ما يقرب من 300 مليون دولار، كمساعدات إنسانية للبوسنة. (في الحالة السورية تجاوز الإنفاق هذا الرقم بكثير ربما بسبب الفوارق الاستراتيجية بين البلدين سوريا والبوسنة)

وقال العديد من السياسيين الأمريكيين، (في الحالة السورية هم جون ماكين وبعض أعضاء مجلس الشيوخ) الذين انتقدوا الموقف الأمريكي في البوسنة، إن فرض القانون الدولي ضد العدوان، لا يتطلّب، بالضرورة، أن ترسل الولايات المتحدة الأمريكية مشاة بحريتها، عبْر الأطلسي، في كل مرة، وفي كل مكان يحدث به انتهاك للشرعية الدولية، ولكن على القوى العظمى والكبرى في العالم، والتي عدّت نفسها مسؤولة عن المحافظة على الأمن الدولي، أن تأخذ كافة الأعمال والنيات العدوانية مأخذ الجد، وأن تتحرك بصورة حاسمة، ضد أولئك الذين يهددون الاستقرار والأمن، على المستويين الإقليمي والدولي.

النهاية

وبعد مذبحة سربرنيتشا، وكانت قد مرّت ثلاث سنوات من التنكيل وارتكاب المجازر وشتى أنواع جرائم الحرب، بدأت الحملة الجوية للناتو ضد جيش جمهورية صرب البوسنة في آب ـ أغسطس 1995، ورافقها هجوم بري للقوات المتحالفة من الكروات والبوسنيين. وفي ديسمبر كانون الأول من العام 1996 تم التوقيع على اتفاقية دايتون في مدينة دايتون بين رؤساء كل من البوسنة والهرسك علي عزت بيغوفيتش والكرواتي فرانيو تودجمان والصربي سلوبودان ميلوسيفيتش لوقف الحرب.

بعد انتشار المتطوعين من البوسنيين والعرب والمسلمين الذين ذهبوا لنصرة مسلمي البوسنة، فكرت الإدارة الأمريكية أنه لا بد من خطة تضمن إخراج هؤلاء المجاهدين من البوسنة والهرسك وبالتالي من أوروبا كي لا ينتشر التطرّف، وقامت الولايات المتحدة بفتح باب الهجرة أمام البوسنيين كي يغادروا هرباً من الحرب، وكان المجتمع الدولي مكتّفاً، وعاجزاً عن فعل أي شيء، إزاء المأساة البوسنية، كما هو اليوم أمام ماساة السوريين، ولكن ما الذي نتج عن مختبر البوسنة عالمياً؟!

ألم يكن التقسيم؟...وقيام كيانات جديدة في المنطقة، بعد تشرّد الملايين ومصرع مئات الآلاف واغتصاب عشرات الآلاف من البوسنيات، وتغيير شكل العلاقات في شرق أوروبا، وفي الحالة السورية، فإن نظاماً يفعل كل ما ارتكبه نظام بشار الأسد، إنما يفعل هذا، بثقة أن الطريق الذي يسير فيها ماضيةٌ إلى اتفاق (دايتون 2) أو (طائف2) مروراً بجنيف2.

حُرّاس.. بيت النمل

• د.ممتاز الشيخ

سيكتب التاريخ المعاصر ذات يوم ، بأنه لم تمر على حوادثه أزمة تشبه في تقاطعاتها وتشابك أحداثها مثل الأزمة السورية منذ بداية الثورة. وإذا بدت للكثيرين أن الأمور جلية ولا تحتاج إلى براهين أو أدلّة تجبر على التريث والاستكانة أمام هول ما يفعله نظام في شعبه. لكن توازنات المجتمع الدولي وتردده وحلفاء النظام من الأنظمة التي تشبهه ما زالت تفتح أمام النظام أبواباً واسعة للاستمرار في القتل والتدمير. وحين تحسس تردد العالم في مساندة حقيقية للشعب الذي يذبح على شاشات الفضائيات تكبر وتجبر ليزيد من فتكه باستخدام السلاح الكيمياوي.

وكثيراً ما جادل بعض الأشخاص الذين ظلوا ينظرون إلى أداء النظام بقدسية معينة لا سند لها في أرض الواقع. معتمدين على شعارات أطلقها الأخير للاستهلاك الدعائي لا أكثر. يجادل هؤلاء في أن النظام لا بد وأن اعتبر (من العبرة) واستوعب أخطاءه في الإدارة والسياسة وبالتالي لا بد من منحه الفرصة اللازمة بحجة الحفاظ على الدولة والمجتمع لعدم وجود البدائل! والجملة الوحيدة التي يستندون إليها في حجتهم، هي أن سورية في المستقبل لن تحكم بالطريقة نفسها قبل اندلاع الثورة!! ومرة أخرى لا يقدمون أي صيغة للعقد الجديد بين السلطة والمجتمع أو أي تفصيل حول العظة التي اتعظ النظام بها.

ثمة من يعرف ولا يريد أن يقر بالأخطاء القاتلة التي شلّت مجتمعاً حيوياً قلّ مثيله في المنطقة. ولعل الأمر الأكثر غرابة أن المسؤولين جميعهم من أعلى الهرم إلى حلقات قواعده الصغيرة، كلهم يقدّمون التشخيص الصحيح للأمراض التي تجذرت في بنية الدولة السورية التي سببها الاستبداد والفساد وتراكم الأخطاء منذ أربعة عقود. لكن كل هؤلاء بقوا عاجزين عن تقديم الوصفة اللازمة للعلاج الذي يتبع التشخيص، ليس قلة حيلة أو معرفة، بل لأن العلاج بات عصياً عن التجسيد.

لا أدري أين قرأت ذات مرة في فترة الحراك المدني الأول (إعلان دمشق في سورية بعد عام 2000عبارة جميلة لأحد الخبراء السياسيين قال فيها «أن سورية تشبه عش النمل الذي لا يمكن إجراء أي

إصلاح فيه، فإما أن تقبله كما هو أو أن تقبل بانهدامه كاملاً».

وتبدو لي العبارة السابقة بالغة الدلالة مع أنها قيلت قبل أكثر من عشر سنوات.

ودون الخوض في حال سورية ما بعد النظام لكن الذي يؤمن بقدرات السوريين لا بد أن يتفاءل بغض النظر عن طبيعة المرحلة القادمة أو شكل النظام فيها. وغالباً ما كنت أستشهد بمثال قريب في شكله من حالة الاستعصاء السورية خلال السنوات الأخيرة بأنها أشبه بالحافلة التي انغرست عجلاتها في الطين (غرّزت) وكل شيء في الحافلة يعمل لكنها لا تسير. في مثال الحافلة لا يهم الركّاب بقصد إخراجها، إن كانت ستسير نحو الأمام أو إلى الخلف. المهم لا بد من تحريكها كخطوة أولى. هكذا أصبحت الحالة السورية الآن.

وبعد مضي أكثر من ثلاثين شهرا في المراهنة على فرض الحل الأمني من قبل النظام بوسائله البشعة التي لا يذكر التاريخ لها شبيهاً مازال من يعتقد بإمكانية حل الأزمة السورية عن طريق قبول التعايش مع النظام. ماتت مبادرات واندثرت جهود وانكفأت وساطات كثيرة. لكن الطغاة كما خبرهم التاريخ يمشون إلى نهايتهم بشكل حتمي على اعتبارهم أنهم ينفصلون عن الواقع ويعجزون بسبب عمى السلطة عن تقييم ما يجري بشكل قريب من الموضوعية.

وعلى هذا الأساس لم يبق النظام وسيلة إلا واستخدمها لقمع الشعب الذي قرر التخلص منه فرمى النظام وأدواته البراميل المتفجرة على الأحياء السكنية ومازال منهمكاً في قصف المدن السورية بالطائرات والصواريخ. ولم يرف له جفن عندما أقدم على مهاجمة الريف الدمشقي بالأسلحة الكيمياوية وقبل ذلك الريف الحلبي وأمكنة أخرى لم تعد مخفية. وهو بالتالي من استدرج التدخل الأجنبي حتى في هذه المرة وقد كان قبلها قد ادخله عن سابق إصرار عندما سمح للخبراء الروس في أن يرسموا خطط القضاء على المعارضة وفق طريقة بوتين مع الشيشان. وعندما استباح الإيرانيون الأرض والعرض في سورية وعندما دخل عناصر حزب الله يقاتلون إلى جانب الشبيحة في السر ثم جهارا نهارا.من لايعرف جوهر النظام وأساليبه يصعب عليه تصديق ما يجري على الأرض من تدمير وقتل واختطاف وتعذيب وتنكيل إلى الدرجة التي لا يتردد فيها من التشنيع حتى بمؤيديه لو كان في ذلك مجرد خدمة إعلامية يمكنه استغلالها لتشويه المعارضة .

وهنا يتعذر على الذهنية الغربية أو سواها من خارج مجتمعات الأنظمة الشمولية أن تتخيل فقط ما يجري يوميا على الأرض السورية ولهذا مازال البعض يعتقد عن - عدم دراية - بإمكانية التفاهم أو التعايش مع هكذا نظام. ولا أعتقد أن عاقلاً كائنا من كان وفي أي بلد يمكنه أن يقبل بالتدخل العسكري الخارجي. لكن ابن خلدون سبق الكثيرين عندما لخص الحالة السورية وغيرها بعبارته الشهيرة (الطغاة يجلبون الغزاة)

وإذا ما اتفقنا أن ما يجري من أهوال وقتل وتعسف واعتداءات على الناس وممتلكاتهم في سورية هو اقل بكثير مما هو حاصل فعلياً بسبب جهود النظام في محاصرة الحقيقة وحجبها تماماً من خلال الحواجز والأدوات التي يفرضها وقد نجح بحدود معينة من ذلك لولا بطولات الثوار الذين حلّوا مكان الإعلاميين في تصوير ما يجري أحياناً على الأرض. وهؤلاء ما زالوا يجازفون بحياتهم وحياة ذويهم من أجل نقل مشهد عابر من آلاف المشاهد التي تجري يومياً.

يبقى أن الحتمية التاريخية تبشر بأن العودة إلى الوراء شبه مستحيلة وأن الحافلة ستسير إلى وجهتها بعد خروجها من الطين ، وأن البيت يهدمه من لم يسهم في بنائه قط . والسوريون بناة حضارة رائدة منذ فجر التاريخ الأول ولن تثبط عزيمتهم في إعادة بناء ما تم تهديمه وفق دهائم مغايرة. وبشّر.. الصابرين.

حصار الغوطتين..

معركة الأمعاء الخاوية والإرادة التي لم تتكسر..

«جوعانين» ، لعلها الكلمة الأكثر حرقةً وتداولاً في مدن الريف الدمشقي المحاصرة، انتابني الخوف وأنا أسمعها من امرأة ستينية، رغم أن الجوع وحده ليس كل شيء، فالنظام يحاصر ما يزيد على مليون ونصف المليون في الغوطة الشرقية منذ أكثر من عشرة أشهر، ونحو 600 الف في الغوطة الغربية، منذ نحو ثلاثة اشهر، يكاد يقطع عنهم الهواء لو استطاع، ما جعلهم يفقدون أبسط سبل الوجود، نشر قواته على محيطه المدن ووضع حواجز لمنع دخول الدواء والوقود والطحين، وقطع الكهرباء والماء والاتصالات، وجعل الاستمرار على قيد الحياة أشبه بمعجزة .

هنا في الغوطة حيث الكثير من الموت والقليل من الحياة، حكاية الرصاص والبطون الخاوية، ورغم كل القصف والتدمير وروائح الموت الواخزة، إلا أنه يمكنني من هنا معاينة بدايات ولادة الحرية، حيث اختار الناس شعارهم بأن «الجوع ولا الركوع»، في استلهام جديد لشعار الموت ولا المذلة.

لا يفصل بين جوع الريف وشبع المدينة إلا سبعة كيلو مترات، أجتازها مرة أو مرتين كل أسبوع لا أحمل معي إلا ربطة خبزٍ واحدة وبعض الخيار والبندورة، أحملها وأنا أحتضر للكثير من الجدال والأخذ والرد على حواجز النظام، وحسب مزاج الأفراد ربما سيسمحوا لي بإدخال مؤونتي وإما أن يصادروها.

أقول مؤونتي لكنها ما تلبث أن تصبح مؤونة غيري، فأنا أبقى وقتاً في الشام وإن شعرت بالجوع يوماً أو اثنين لا بأس، هذه المرة سلمت ربطة الخبز لجدتي الستينية التي أفرغت قبل أيام الرفوف من بقايا مونتها، هذا ما تخبرني به، وحبالها الصوتية ترتجف وجعاً وجوعاً وحسرة، تتعاند وجهها اختزلت شقاء سني عمرها، ولعل أقساها كان في أشهر الحصار.

تحدثني أنها انتظرت قبل فترةٍ وصول الطحين الذي وعدهم به الجيش الحر، ليكتشفوا لاحقاً أن العملية فشلت ولم تستطع حتى الكتائب إدخال الطحين إلى الغوطة الشرقية، تنادي أحفادها الخمسة وترتجف يداها وهي تحاول فتح الكيس واقتطاع لقمةٍ منه، تتنهد مبتسمة «الحمد لله لساتهن عايشين، ما ماتوا لا بالرصاص ولا من الجوع ولا حتى من الكيماوي»، وكمن تذكر أمراً ما تسألني «كيف قدرتي تفوتي الخبز ماعم يخلوا حدا يدخل معو أي شي؟»، ابتسم وأجيبها «دبرناها يا ستي لا تاكلي هم».

ورغم أن عائلتي تقطن في دمشق إلا أن جذوري ومولدي هو كفر بطنا وهذا ما يسمح لي بالدخول والمرور على حواجز النظام

يوميات السوريين

بحرية، أبقى ما يزيد عن نصف ساعة وأنا أدافع عن حقي بإدخال ربطة الخبز. أعاند الحواجز وحتى غير مكترثة حتى لتهديدهم بالاعتقال، أبقى مصرةً على إدخال ربطة الخبز. وبالنهاية بعض المزاح لا يمنع لأستطيع إدخال خبز عائلة واحدة ربما ليس إلا.

في الغوطة الشرقية من دوما وسقبا وزملكا وعربين وحمورية وكفر بطنا، مدن تعتمد كثيراً على المونة، إلى جانب ما تعطيه الزراعة من منتجات، وهذا ما كان حامياً لهذه المنطقة من هجمة الجوع الشرسة، ومنذ وقتٍ قريب كانت العائلات تملأ وجباتها من مطابخ الكتائب، لكن اليوم لا يدخل إلى الغوطة إلا القليل من المواد وأقل من الحاجة بكثير، ومع ذلك استطاع البعض من إدخال المواد بطرقٍ شتى لا تنتهي عند «فساد» حواجز النظام.

وربما أكثر ما يؤلم في جوع المدن المحاصرة هو أطفالها، محمد وهو أحد أحفاد جدتي الستينية لا يتجاوز عمره العامين فقط، يعاني من سعالٍ شديد، لم أستطع أن أدخل له شراب السعال، فهذا الأمر كان سبباً كافياً ليقوم الحاجز باعتقالي، ولا تتوقف مشكلته عند السعال كما تخبرني الجدة «بدنا حليب لهالطفل»، ومعظم أطفال الغوطة لا يصلهم الحليب، حيث المتوافر لا يغطي سوى 10 % فقط من الحاجة، لكن الحفيد الأخير للجدة، ورغم السعال حاجته للحليب، يلعب ويضحك لا بل يقهقه.

ولا تنتهي جراح الغوطة عند الأكل والشرب، فالأجساد لا تجد دواءها من أي مرضٍ أو إصابة، في أحد المشافي الميدانية رأيت طبيباً كان يستمر في تنظيف جرح أحد المصابين دون أي تخدير لمنع القيح والعفن، وعندما سألته أخبرني أن هذا الإجراء حتى لا يصل إلى مرحلة بتر القدم المصابة، فلا يوجد أدوية التهاب كافية لكل الإصابات، والحاجة متزايدة لأكياس الدم والتي لا يمكن الاستعاضة عنها ببدائل محلية، لعدم وجود المواد مانعة التخثر، أما مفجرات الصدر فهي التي يمكن أن الاستعاضة عنها محلياً فالحاجة أم الاختراع يكفي وجود «وعاء زجاجي مغلق وخرطوم» على أن يتم تعقيمها بشكلٍ جيد، أما فيما يخص الشاش فعدم توافر المادة دفع المشافي الميدانية إلى اعتماد القماش الأسود، أو حتى تعقيم أكياس الطحين، وصناعتها.

خلال السير في هذه الشوارع المنهكة، تختلط رائحة الشجر برائحة الرصاص، كما يختلط صوت القصف مع صوت المولدات، التي تعمل في أفضل الحالات لثلاث ساعاتٍ يومياً، وباشتراكٍ جماعي، بين أهالي الحي، فسعر ليتر البينزين وصل إلى 500 ليرة، ولعل إدخاله يعتبر الأكثر يسراً، من خلال خزانات السيارات حيث يتم سحب البينزين منها من أجل تشغيل المولدات، وبالتالي إمكانية التواصل مع العالم الخارجي لا سيما الإنترنت.

وإذا توافر البينزين في الريف الدمشقي فأحد المستحيلات وجود المازوت، وهو ما جعل الناس هنا تعتمد على حطب المزارع، وما دفع بهم أيضاً إلى اقتطاع الأشجار ليكون بديلاً عن المازوت والغاز، وجدتي الستينية لم تحرم أبناء جلدتها من حطب أخشاب أرضها الكبيرة، حيث قدمته في العام الفائت للعائلات في الغوطة.

جدتي الستينية التي أدفأت قلوب صغارها بحطب مزرعتها، تتدثر اليوم بغطاءٍ رقيق، في ليل الغوطة البارد، تمسح وجهي بأطراف أصابعها المدببة، ليخترق جلدي بعض البرد رغم دفء روحها، غادرت غوطتي وودعت جدتي، لكنني أخشى عليها وعلى أحفادها من شتاءٍ قارس يدق على الأبواب.

زويا بدر – غوطة دمشق

مدينة القصير.. رحلة الموت

الانسحاب

الساعة العاشرة مساءاً - الثلاثاء الرابع من حزيران 2013 لم تفارق الدموع

أعين المقاتلين حين اتخذ القرار بالانسحاب لكن لم يكن هناك من خيار آخر ... المدنيين والجرحى كانو عبئاً على كاهلهم لا يمكن تصوره ... قبل أيام من هذه اللحظات وبفترة مناسبة طلب المقاتلون في المدينة من كافة المدنيين الخروج منها و تدبر أمرهم للوصول إلى منطقة آمنة خارجها لكن للأسف أعداد قليلة استجابت للدعوة و بعضهم رفض الخروج دون وعي كان جوابهم « ما رح نطلع اللي بيصير عليكم بيصير علينا » لم يعلمو أن بقائهم في المدينة هو عبء آخر يقع فوق أكتاف المقاتلين .... والغالبية من المدنيين لم تتجرأ على الخروج بسبب استهداف الحزب لسياراتهم اثناء توجههم إلى خارج المدينة إضافة إلى اعتقال الجيش للبعض الآخر ... حان وقت الرحيل كان الجميع متوتراً ويكاد يبكي من غصة الألم في صدورهم لا أحد يرغب بترك المدينة أغلبهم يعلم أنهم إذا خرجوا اليوم لن يعودو إليها ... اجتمعنا جميعاً , حمل كل منا سلاحه وما استطاع من الذخيرة ... جهزنا السيارات وانطلقت الأرتال باتجاه الطريق المؤدي إلى الضبعة ومنها إلى البويضة ... تم تبليغ الجميع بقرار الانسحاب لم يتبقى سوى بعض المدنيين كبار العمر رفضو ترك منازلهم أما البقية فساروا بأرتال طويلة طيلة الليل حتى وصلوا إلى البويضة والبعض بقي في قرية الضبعة... صباح الإربعاء 5 حزيران 2013 تدبرنا أمرنا في النوم تحت الشجر و في الحقول في البويضة لنستيقظ بعد وقت قصير على صوت الراجمات والصواريخ التابعة للحزب تنهال على المنطقة كالمطر ليأتي بعدها الطيران الحربي ويشن غاراته عليها بشدة وكأنه يخبرنا بأننا نتابعكم وسنبيدكم في البويضة ... كانت أرتال المدنيين كبيرة بشكل لا يمكن تصوره و ينتشرون في معظم البساتين دون ماء أو طعام حاولنا اقتلاع بعض البطاطا من البساتين وشيها على النار وتناولنا بعض المعلبات كانت مع البعض دون خبز استعنا بأوراق العنب لنأكلها...القذائف تتساقط من كل حدب وصوب فوق أرتال المدنيين البعض يصيب اهدافه لكثرتها والآخر يخطأ ... قضينا اليوم بأكمله في البلدة كان خلالها

يتم الترتيب من قبل القادة لآلية إخراج الناس من المدينة ... انقسم القادة بين رأيين الأول ينادي باستخدام القوة العسكرية التي توفرت في المنطقة والتي تقدر بأعداد كبيرة نظراً لتجمع مقاتلي القصير والبويضة وكافة الجبهات الموجودة الأخرى والقرى المحيطة في المنطقة ما شكل قوة عسكرية ضاربة كان بإمكانها فعلاً لو سخرت بالشكل الأمثل أن تفتح الطريق العام وتسمح للجميع بالعبور لكن الخوف هنا من سير المدنيين داخل المعركة ما سيؤدي إلى عدد كبير من الضحايا بسبب القذائف العشوائية وتجمع الناس بمناطق قريبة من المعركة . كانت الرغبة بالاشتباك لدى بعض القادة لاخراج العتاد الثقيل معهم مع سياراتهم خارج المنطقة للاستفادة منها في الخارج في حين كانت رغبة البعض الآخر بأسلوب التسلل لتقليل اكبر عدد ممكن من الضحايا بين المدنيين أثناء الخروج ... كان عبء الطريق يقع على كاهل أهل المنطقة والمقاتلين اللذين هم في مناطق قريبة من طريق الخروج لخبرتهم بالمنطقة «تم تأمين الطريق « دخل بعض القادة الذين تكفلوا بتأمين الطريق و معهم شخص من البويضة لا اذكر اسمه, يخبرون الجميع بان هناك طريقا سالكاً إلى خارج المنطقة بعد ورود خبر عن اعتقال بعض الشباب الذين توجهوا لاستطلاعه ثم أتى الخبر بأن الشباب أسروا الكمين وتم تأمين طريق سالم لخروج الناس ... أبلغ من تكفل بموضوع الطريق الجميع بأنه سيربط الطريق وانه سينشر عناصره من المنطقة وحتى الفتحة لتأمين خروج الناس منها ... قدم أحدهم ليبلغ الجميع بأن أبو أحمد جمعة قد أمن طريق للخروج من جهة الضبعة حاول القادة التواصل معه لإرسال أعداد من المدنيين إليه عسى ان يخف الضغط على كاهل المنطقة ... «الأمور بخير والطريق سالك خلّو الناس تمشي « هذا آخر ما تكلم به عمار وبدأت الناس تجهز أنفسها وتوجهت من البويضة باتجاه الفتحة (فتحة الاتستراد الدولي التي سنعبر منها الى الجهة الشرقية» خلال هذا الوقت استخدمت الانترنت و اتصل بي الصليب الاحمر الدولي يخبرني بأنه تم الترتيب والتوصل لاتفاق مع الحزب بايقاف القصف والسماح بالخروج للمدنيين والجرحى من المنطقة وان القصف بالكامل توقف لم اكد انهي المكالمة حتى سقط عدد من الصواريخ بعضها قريب جداً مني اصاب احدها رتل المدنيين..

تكلمت مع الصليب الاحمر وقال انه سيحل الموضوع لكن لم نرى شيئا من ذلك على الارض ليعلن الحزب من خلالها انه لا يلتزم باي اتفاق ... الساعة الحادية عشرة مساءاً لم ينجحوا بالتواصل مع أبو أحمد جمعة و انطلقت الأرتال , سيمشي البعض والبعض الآخر بالسيارات مسافة قصيرة ثم سيترك الجميع سياراتهم ليتابعو سيراً على الأقدام تركنا سيارتنا وبدأنا المسير كانت الجموع غفيرة و الأعداد هائلة وأعداد السيارات التي تركت كثيرة جداً ... بدأ المسير لا نعلم من أين كنا فقط نتبع من سبقنا صادفنا بعض المقاتلين يخبروننا بالاتجاه الواجب علينا سلكه ومشينا مسافات طويلة حتى وصلنا إلى أحد بساتين اللوز وهنا فقدنا الطريق ... لم نعلم أين يتوجب علينا التوجه لا يوجد دليل والساعة قاربت من الثالثة فجراً .... جلست الناس كلها على الأرض بين الأشجار في انتظار أحد يدلهم على الطريق حاولت جاهداً الوصول إلى شخص يعرف الطريق لم أستطع فتحت موبايلي ونظرت إلى الخريطة كنا مقابل بلدة الحسينية و نبعد أكثر من 5 كم عن النقطة الواجب

قطعها لنصل إلى الطرف الآخر من الأتستراد ... بحساب بسيط للوقت اللازم لقطعها مع أعداد الجرحى الهائلة و المدنيين سيسطع ضوء النهار علينا قبل أن نصل إلى النقطة المطلوبة ما يعني حصارنا بين الحواجز ... حاولت الاسراع بالمسير فأضعت من معي و أحس الحاجز بحركتنا في الليل لكثرة المدنيين فبدأ بإطلاق النار علينا برشاشات مضادات الطيران 23 ومدافع ال57 إضافة إلى قذائف دبابات و كمية كبيرة من صواريخ الراجمات التي حاول الحزب والنظام جهده كي تسقط بين المدنيين... كنا حين نرى قنبلة مضيئة في السماء - وما أكثرها - نستلقي في الأرض خشية أن تستهدفنا الحواجز برشاشاتها التي لم تكن تتوقف خلال مسيرنا ... بدأ الضوء ينتشر ومعه تزداد خطورة التنقل تحت مرأى ومسمع كافة الحواجز والثكنات المحيطة أهمها حقل الرمي وحاجز الحسينية هنا بدأت مجموعات من المدنيين بالضياع وتلاشى الرتل متحولا إلى مجموعات كل منها يحاول معرفة أين الطريق ... لم يتواجد أي دليل للطريق ولا أحد يعلم أين يجب أن نذهب كان اعتمادي بالدرجة الأولى على الخريطة الموجودة على هاتفي لتحديد أين نحن .. كل أدلاء الطريق اختفوا ومن تكفل بتامين الطريق لم نعد نعرف أين هو ولا أين رجاله... امتد ضوء الفجر في المنطقة وفجأة أصبح الجميع مرئيين بالنسبة للحواجز لتفتح نيران رشاشاتها بالكامل وبغزارة غير معقولة على المجموعات الضائعة لتسوقها بشكل أو بآخر للاختباء داخل بساتين اللوز على بعد عشرات الأمتار فقط عن الحواجز وحقل الرمي لينتشر الجميع في بستان من اللوز .. الكل مرهق وعطش وجائع , استلقى الجميع على الأرض محاولاً النوم في البستان تحت الشجر.

يوميات السوريين

4 - صباح الخميس 06 حزيران 2013 - الساعة السادسة صباحاً

الكل استلقى تحت أشجار اللوز بين الحواجز وحقل الرمي القريب ... كنا مجموعات منفصلة البعض بعيد عنا و البعض الآخر قريب جداً منا بدأ الجميع بمحاولة التواصل مع من يعرفه للاطمئنان عليه قبل ان نكتشف ان مجموعة كبيرة من المدنيين والمقاتلين تقدر ب350 شخص ومعهم حوالي ال70 جريح لم ينجحو بالوصول إلى المنطقة بسبب ضياعهم فعادوا أدراجهم باتجاه البويضة ... استلقى الجميع تحت الأشجار نسمع بين الحين والآخر إطلاق النار من الحواجز على من يروه داخل البساتين ... من شدة التعب الجميع نام على الأرض بصعوبة بسبب البرد الساعة الثامنة وعشر دقائق تقريباً استيقظنا على صوت الرشاشات وهدير الآليات .. صوت الدبابة قريب جداً منا لا تكاد تبعد عنا عشرين متراً أصبحت داخل البستان اللذي نحن فيه وفتحت نيران رشاشها على الجموع .... حملنا وعلى عجل ما نستطيع حمله من السلاح الخفيف والجرحى وبدأنا الركض أمام الدبابة وهي لا تتوقف ... «وين رماة القواذف ... أعطوني قاذف ... « الكل ينادي بهذه العبارة والرماة لم يستوعبوا ما حصل و لم يكن أمامهم سوى الركض مع الجموع باتجاه آخر البستان لتتدخل العناية الإلهية بوجود ساتر من التراب والحجارة في نهايته تمكننا من الوصول إليه والتمركز خلفه وبدأت المعركة ... كانت الدبابات تحاول التقدم باتجاهنا مرفقة بعدد من العساكر حين بدأنا بمقاومتها و اطلاق عدد من قذائف الآر بي جي باتجاهها بدأت بالانسحاب إلى النقطة التي انطلقت منها في بداية البستان... حاولت التقدم أكثر من مرة ... إطلاق النار من الرشاشات لم يتوقف أبداً لا تصمت إلا حين تبدأ الدبابات باطلاق القذائف ... سقط عدد من الشهداء فوراً وبعض الجرحى ... بعض الشهداء لم نستطع الاقتراب منهم بقيوا على الأرض لأكثر من أربع ساعات قبل أن نتمكن من سحبهم ... عاد بعضنا إلى البستان لسحب ما تركنا من كميات قليلة من الذخيرة و بعض الاسلحة التي لم يتمكن البعض من حملها لشدة المفاجأة بالدبابات ... تمركزنا خلف الساتر وأخذنا أماكننا لصد أي هجوم ... كان الجميع منهك من شدة العطش و الجوع لنفاجأ بعد وقت قصير بمحاولة الجيش التقدم باتجاهنا مرة أخرى من الجهة الشرقية على يمين الساتر لتقوم إحدى المجموعات أيضاً بمحاولة صده هناك في هذه اللحظات بدأ الرصاص يصل إلينا من ثلاثة إتجاهات ... من الشرق والغرب والشمال ... من الجنوب كانت الحواجز تبعد حوالي 2 كم فقط عنا . كنا بحاجة إلى مساتر لتقينا من الرصاص القادم من الجانبين .. لم نملك سوى أيدينا للبدء بالحفر داخل الساتر ليجهز كل مقاتل ما يشبه الحفرة الصغيرة التي هي أقرب ما تكون للقبر منها إلى الساتر ... استهلكت منا ساعات من الحفر باليدين ... تصدينا مرة أخرى للهجوم من الجهة الشرقية (حقل الرمي) تمكنا خلال هذه المعركة من قتل حوالي ال18 عسكرياً وتحدث البعض عن اعطاب دبابة لكن لم أراها ... لم نستطع دفن شهدائنا كما يجب حفرنا بايدينا ما استطعنا ثم أسدلنا عليهم التراب في البساتين .. لا نملك خياراً آخر ... كنا مرهقين جداً البعض منا استطاع النوم من شدة التعب داخل حفرته الصغيرة ... في الساعة الرابعة عصراً تقريبا لم يعد هناك أي

محاولات للجيش للتقدم باتجاهنا كان الحصول على الماء تحدياً... البعض يثقب أنابيب الري الموجودة في البساتين ليخرج منها ما كان متبقياً من المياه أثناء الري في المرة السابقة والتي قد تزيد على أشهر ... الطعام كان اللوز الغذاء الأساسي للناس في المنطقة اللتي كنت فيها ... قبل غياب الشمس بقليل .. كان من تبقى داخل البويضة يتواصل معنا ويناشدنا بارسال من يرشدهم إلى الطريق الذي لا نعرف نحن عنه شيئا أيضا ... كان الطريق يتطلب العبور من منطقة تقع تحت سيطرة النظام أيضاً ليصل إلى منطقتنا المحاصرة ... حاول الجميع البحث عن أدلاء للطريق لكن دون جدوى ... حاولنا إرشادهم عبر الهاتف عندما رفض من يعرف الطريق العودة إليهم ... كان انتحاراً الرجوع إليهم والدليل يعلم ذلك فلم يكن يجرأ على الموافقة بالذهاب إليهم

إلى البويضة و إرشادهم للطريق ... عرضنا عليهم كل شيء خذ ما تريد لكن ارجع إليهم ولم يقبلوا .... لاحقاً تدبرو أمرهم إلى منتصف الطريق وارسلنا إليهم من يعرف تتمته لكنهم لم يصلو إلينا في نفس اليوم .... سيتأخرو عنا يوماً آخر حتى يصلو إلى المكان اللذي علقنا فيه ... مع غياب الشمس بدأت الجموع تتحشد كانت الأعداد هائلة لا يمكن تصورها كانت أرتالاً كبيرة تمتد لمئات الأمتار من السيل البشري .... مدنيين.. جرحى يحملهم المقاتلون .. بعض النساء .. وكبار السن حاولنا تنظيم الأمور في رتل خماسي كبير جداً للمسير تم تلقين الجميع التعليمات لا تصدرو صوتاً يمنع التدخين أو استخدام الموبايل أو إشعال أي ضوء مهما كان بسيطاً .. الصوت قد يؤدي إلى مصرع الجميع حافظوا على الرتل التزموت بأماكنكم ... لم يذكرني ذلك إلا بالمسير

يوميات السوريين

داخل الجيوش .... الساعة الثامنة والنصف تقريباً بدأ الظلام يخيم على المنطقة إنها ساعة المسير ليس فقط نحن من شعر بذلك كانت الحواجز بكامل المنطقة تعلم به أيضاً ... أتى بعض القادة وطلبوا عدداً من المقاتلين من كافة المجموعات لتأمين الطريق ونشرهم حوله ... تحرك الرتل كاملاً بانتظام باتجاه الشرق إلى بستان اتفقنا عليه لنفاجأ بأرتال أخرى ضخمة سترافقنا في الخروج من المنطقة ... لم تكن منظمة كان الصوت والصراخ يملأ المكان ... كان يوم حشر بكل ما تحمله الكلمة من معنى مع هبوط الظلام بدأت الحواجز باستهداف البساتين ... صواريخ - رشاشات - قذائف دبابات - هاون .... يريدون أن يعرفو من أين بدأ التحرك دون جدوى استبدلنا الطريق بطريق آخر غير ذلك الذي حاولنا الانطلاق منه في اليوم السابق .... جنت كافة الحواجز بدأت باستخدام القنابل المضيئة لتحديد أماكن سيرنا وبدأت صواريخ الراجمات تتساقط وتقترب من مسار طريقنا شيئا فشيئاً .... كنت في مقدمة الرتل في البداية ..تركتها لاحقاً حين حدثني أحد أصدقائي ليخبرني أنه أضاع الطريق خلفنا ولا يعرف أين يتوجه مع الجموع التي يقودونها ... كان الضياع داخل البساتين مصيبة بمجرد تأخرك عن الرتل لخمسة أمتار فقط ستكون كافية لأن تضيع الطريق بالكامل بسبب الظلام... كان الجميع متعباً ومرهقاً البعض يحمل جرحى والبعض الآخر فقد أعصابه في الطريق وبدأ بالصراخ ...

كان الجميع متوتراً ينظر إلى الصواريخ تتساقط بين البساتين على مقربة منهم لا يكترثون لتساقطها وانفجارها المدمر سيتابعون ليس لديهم خيار آخر فالبقاء بالمنطقة انتحار بحد ذاته ... اجتزنا رجم الحجارة ... وتوجهنا باتجاه الشرق بموازاة طريق الزفت الواصل الى الحسينية لنصبح أمام الحاجز مباشرة ... طلقات قناص تمر فوق رؤوسنا .. الحاجز لم يرنا لكنه توقع وجودنا في البساتين يرمي طلقاته العشوائية باتجاهها ... يسقط جريح أمامي بطلقاته... الأعداد هائلة سقوط قذيفة بين الجموع سيقتل الكثير و طلقة عشوائية ستصيب هدفا لا على التعيين.... سرنا باتجاه الشرق قليلاً علمت لاحقا أننا اتجهنا بذاك الاتجاه لنبتعد عن مدى رشاش 23 كان متوضعا في الحاجز .... لحظات بدأت أسمع أصوات الناس حولي تأكل تركو الرتل وبدأ الجميع ينتشر في أحد الحقول لأجدهم يحاولون سد رمقهم بالملفوف ... تناولت قطعة منه ووضعتها في فمي لم استطع أكلها أبداً كان حاااراً جدا يستحيل أكله بالنسبة لي... الكثير من الناس اكل منه لا أعرف حتى الآن كيف استطاعو ذلك ... الجميع عطش وجائع البعض لم يكن يملك خياراً آخر ....

تابعنا التقدم باتجاه الاتستراد لنصل إلى أقرب نقطة إليه و هي مدرسة السواقة كنا نسير بجانب الجدار الجنوبي للمدرسة ... كانت الساعة بحدود الثانية عشرة ليلاً

5 -يوم المحشر

منتصف ليلة السادس من حزيران 2013

وصلت طلائع الرتل اللذي كنت أسير معه إلى الجداء الجنوبي لمدرسة السواقة المتواجدة على الجهة الغربية من الاتستراد الواجب قطعه ... أعداد هائلة من المدنيين والمقاتلين اللذين يحملون الجرحى والتعب الشديد ظاهر عليهم.. بعض الجرحى على الأرض طلبو من المقاتلين إنزالهم ليستريحو ... البعض الآخر لا يجد من يساعده في حمل جريحه وقد جن جنونه وبدأ بالصراخ بالناس يطلب منهم مساعدته في حمل الجريح... لم يلتفت إليه أحد حينها كل يفكر في مصيبته وكيف سيتمكن من المسير فالجميع عطش و منهك وجائع ... وصلت الأمور بالبعض بالصراخ وتهديد الناس بأنه سيطلق النار في الهواء إن لم يتقدم أحد منهم ليساعده في حمل جريحه ما سيعني تحديد الحواجز لمكان الجموع و استهدافها ... تحرك الرتل باتجاه طرف المدرسة ساتر ترابي صغير قبل الوصول إلى الطريق تجاوزه عدد كبير من الناس و الجرحى وبعض المقاتلين قدرت العدد بالمئتي شخص كنت أسير خلفهم ... كان الكل متخوفاً الدليل يسير في مقدمة الرتل مع احد القادة اللذي تلقى اتصالاً من القادة اللذين تكفلو بتأمين الطريق على الطرف الشرقي من الاتستراد قبل بدء المسير يخبرنا أن الاتستراد قد تم ربطه وعناصرهم سيؤمنونه ليفتحو الطريق لنا ونتمكن من الخروج بأمان وانهم سيحاولون إلهاء الحواجز كيلا تستهدف الرتل أثناء خروجه... ثواني قليلة بعد اجتياز مقدمة الرتل للساتر الترابي وتوجهها باتجاه اليسار قليلا أمام مدرسة السواقة لتفاجأ الجموع بكمين للجيش أمامهم مباشرة وتفتح نيران الرشاشات الثقيلة والخفيفة على مقدمة الرتل رأيت الرصاص يخلط دماء الشهداء بالتراب المتطاير من الساتر .... فتحت النار علينا من 3 اتجاهات - من داخل المدرسة , الكمين , حاجز قريب على يمين المنطقة ... صعقت الناس من هول ما رأت كانت الاعداد اللتي تجاوزت الساتر تقدر بمئتي شخص قدرت من عاد إلي منهم بحوالي المائة تقريباً الباقي استشهد معظمهم ونجا قليل جداً لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة تمكنو لاحقا من الزحف تحت الرصاص ومتابعة الطريق إلى الطرف الآخر من الاتستراد... تراجعت الناس إلى الخلف وتركت الجرحى و امتعتها في الارض من شدة الخوف كان حولي ما يزيد عن الثلاثين جريحا في الأرض البعض انبطح على الأرض بجانب الحائط لقرب الرصاص منا و البعض الآخر هرب وعاد باتجاه حقل الملفوف .... لم يعد هناك دليل في المكان ولا مجال للتراجع يجب أن يتابع الجميع السير باتجاه الطرف الآخر من الاتستراد وإلا سيموت الجميع في المكان لأن العودة مستحيلة أيضاً ... سمعت رشاشات الدبابات وحركتها وبدأت قذائف الدبابات و الصواريخ تنهال في المنطقة... ورائي ليس ببعيد سقطت احدى القذائف ضمن الرتل فقتلت عدداً من الناس و جرحت عدداً آخر ... بدأت بالصراخ ببعض من بقي هناك سألتهم « بدكمترجعو « كانت إجابتهم « لا طبعاً رح نموت إذا ما قطعنا بس ما بنعرف الطريق ولا وين بدنا نروح» لم أكن أعلم أين الطريق كل ما أعرفه أن الضوء الشديد على الطرف الآخر من الاتستراد هو منطقة آمنة لنا عرفت ذلك حين كنا بطريق الذهاب للقصير قبل شهرين ... لم أكد أشير بيدي إلى الضوء ونطقت أن من يصل إليه سيكون بأمان حتى تركت إحدى النساء زوجها وبدأت بالركض باتجاه الضوء من تحت الأشجار وفعلاً كتب لها ان تعيش وتمكنت من الوصول بسلام... تشجع عدد ممن كانو في المكان وانطلقنا باتجاه الطرف الآخر من الاتستراد لم يكن طريقاً كان كل ما علينا فعله هو الزحف تحت الاشجار منعت الجميع من الذهاب باتجاه المجزرة لاستمرار اطلاق الرصاص الكثيف على المكان واضطر الجميع لسلك طريق آخر...

مما عرفناه عما حدث أيضاً أن احدى النساء كانت تحاول تجاوز الطريق مع ابنها فأصيب بطلقة واستشهد بجانب أمه اللتي قبلت وجهه وتركته في مكانه وتابعت طريقها ... نعم بعضنا شبه الطريق بالصراط المستقيم الكل يجب أن يسلكه البعض سيهلك ويصاب والآخر سيتابع طريقه ... والبعض الآخر كان يردد « يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت « هناك من ترك أخاه وهو جريح على الأرض لعدم تمكنه من حمله وهناك من ابتعد عن أبيه كي ينفذ بجلده إلى الطرف الآخر من الاتستراد .. كانت النار تشتعل في المحاصيل القريبة من شدة القصف و الرشاشات لا تكاد تهدأ خصوصا من الدبابات لم يكن الحديث عم ربط الطريق

يوميات السوريين

من قبل المقاتلين من الخارج صحيحاً لم نجد أحداً , القائد اللذي في مقدمة الرتل وهو جريح قد تمكن من الزحف وتجاوز مكان المجزرة ... وصل إلى منطقة فيها أبنية كثيرة تدعى مدينة الأحلام استدعى مقاتلين اثنين كانو من دير الزور رآهم أمامه وابلغهم عن مكان الكمين جلبو الرشاشات وبدأو باستهداف الكمين ليوقفو استهدافه للجموع المتقدمة ... توجهنا إلى داخل مدينة الأحلام وبدأنا نسمع المقاتلين وقد ضاعت بعض المجموعات الكبيرة خلفنا قبل وصولها للاتستراد ... يطلبون من يرشدهم والاعداد أيضا كبيرة جداً ... حاولنا التواصل معهم عبر اللاسلكي نخبرهم أين يتقدمو كانت القذائف تنهال فوقهم من كل حدب والنار اللتي اشتعلت في المحاصيل تنير المنطقة حولهم لتستهدفهم الحواجز .... ناهيك عن القنابل الضوئية اللتي لم تفارق سماء المنطقة .. كان يوم القيامة ,

محشر بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ... بدأت المجموعات الضائعة تجد طريقها إلى الاتستراد وتسلك طريقها إلينا ليبدأ النهر البشري بالوصول إلى مدينة الأحلام ... «وين المي « « بدنا مي يا عمي « هذا هم الجميع الكل يريد ماء ويسأل أين يجده وصلنا إلى أحد الأبنية كانت الجموع غفيرة الكل ينتظر دوره في شرب الماء الكل منهك وجائع و عطش ... من وصل إلى داخل بناء نام فوراً من شدة التعب ... السيارات تأتي لتأخذ الجرحى وتذهب بهم من المنطقة كانت الأعداد هائلة بعض من كان معنا تدبر أمره بالسيارات وغادر المنطقة أيضاً والبعض الآخر تابع سيره باتجاه بلدة الديبة التي تبعد حوالي ال4 كم أيضا عن المكان .... كان سيلاً بشريا بكل ما تحمله الكلمة من معنى أهالي البلدة حزمو أمتعتهم فور رؤية الجموع وغادروها من شدة الخوف مما قد يلحق ببلدتهم ... بقينا داخل مدينة الأحلام حتى الصباح لنتواصل مع منهم خلفنا ونرشدهم للطريق ... كانت المجموعة اللتي تأخرت عنا بمسافة يوم وبقيت في البويضة قد وصلت إلى المكان اللذي انطلقنا منه تلك الليلة (بساتين اللوز) اعدادهم تقارب ال500 شخص بعد انضمام عدد آخر ممن أضاعو الطريق أيضا إليهم. الساعة السادسة صباحاً من يوم الخميس السادس من حزيران طلعت الشمس اتجهنا باتجاه بلدة الديبة سيراً على الأقدام كانت الجموع مخيفة وأهالي البلدة يغادرونها ..

يوميات وعرة

• حي الوعر احدى احياء حمص الجديده. اطل بثقله في الثوره السـوريه. فكان باذخ الالـم. لم يبكي لكثرت غيرته على حجارته السـوداء البازلتيـه. كان خزان بشـري ضم اكثر من 700 الف نسمه بعد نزوح الاهالي من الاحياء المدمرة

• حي الوعر أحد أحياء حمص الجديده .أطلّ بثقله في الثورة السورية؛ فكان باذخ الالم .لم يبكِ لكثرة غِيرتِه على حجارته السوداء البازلتية؛ كان خزاناً بشرياً ضمّ أكثر من 700 الف نسمة بعد نزوح الأهالي من الأحياء المدمرة.

في الليلة الاولى لقصة هذا الحي مع النظام كانت منذ أن شقت التكبيرات سماءه إثر مجزرة الساعة؛ في تلك الليلة.. وصلت عدوى التكبير إلى نفسي؛ فلم أعد أستطيع أن أخمد الصوت في حنجرتي؛ فصرخت بأعلى الصوت: اللّه أكبر. صباح اليوم.. إرتابني شيء من الخوف من بطش الموالين للنظام والذين كانوا جيران الأمس!.

أمسكت بسماعة الهاتف وإتصلت ببقالية «أبو علي» التي تربطني بها فاتورة يومية ضخمة نوعاً ما؛ وأنا أُضمِرُ خوفي وأُظهِرُ عدم معرفتي بما حدث في تلك الليلة؛ جاء ردّه حذراً: «شوية كلاب.. عم تعوي؛ والكلب اللي خلّا الناس تصيح هو هادي الجندي؛ وعطينا إسمه للأمن.. نحنا ما بدنا مشاكل بالحارة «.

سمعتُ ما قاله بإمعان؛ فاتصلت بهادي وحذّرته من الإقتراب إلى الحي.

عصر اليوم الثاني.. داهمت قوات الاسد بيته ولم تعثر عليه؛ وكان هادي قد أرسل أمه و أخته الى مصر قبل أسبوع خوفاً عليهما من العقاب إثر معرفتهم بإلتحاق هادي بالهلال الاحمر. لكن رصاصة قنَّاص المشفى الوطني.. عثرت على هادي؛ وهو يهتف للحرية فاخترقت صدره وإذا به يقطع الهتاف بأقلّ من كلمة : - آخ.

فارق هادي الحياة قبل وصوله إلى المشفى الميداني تاركاً لأمه وأخته و أبناء بلده وصيته؛ التي كتبها قبل استشهاده:

- لا تظنوا أني فارقتكم؛ ولكنّي سلّمتكم راية الجهاد من بعدي؛ وصيتي إلى كل شاب يغار على عرض هذه الأمة.. إنزلوا الى الشوارع؛ وتابعوا سِلمِيَّتكُم حتى تنالوا حريتكم؛ لاترجعوا عنها حتى تنالوها أو تنالوا الشهادة.. سورية أمانة في أعناقكم أيها الأبطال؛ وها أنا قد فارقتكم بجسدي وأبقى بينكم بروحي.. لأشهد نصركم العظيم؛ فثوروا ولا تتراجعوا.. عاشت سوريا حرّة.

تلك كانت وصية الشاب هادي الجندي للشعب ولأبناء بلده؛ لوالدته التي وصلت بعد يوم من استشهاده لِتُلقِي عليه نظرة الوداع الاخير؛ و لتُخبِرَه أمام الجميع سراً:

«اختك اشتاقتلك كتير واذا بتصحى وبتروح معي رح تخليك تبوسا من خدا ومارح تعصّب لمّا بتشوكا بدقنك؛ هي قالتلي: جيبي هادي معك»

بقيت امه قوية حتى أحضَرَها النظام الى أقبية التحقيق وأجبرها على توقيع اعتراف يُدين هادي بأنه: سلفي.. وإرهابي!!.

تركت أم هادي سوريا وتركت خلفها قبر وحيدها وتركت حيّاً أصبح يزدحم كلّ يوم بقصص الشهداء؛ وبآلام الأمهات.

فقد ذاقت أم حسين العكيدي الألم ذاته؛ حين دخلت يوم الخميس 5-2-2012 غرفة ولدها على أصوات أصدقائه وهم يغنون: «حسين ما مات... زغردوا يل البنات» لتشاهده يمثل دورالشهيد وقد لفّ أصدقائه حول رأسه شالاً ابيض؛ وزيّنوا جسده بورود من صناعة أخت حسين.

صباح الجمعه قبل الصلاة.. كان حسين يغتسل ليُصلّي ويخرج الى للمظاهره؛ قصَدَ والدته وهويرتدي المنشفه ليقبل يديها؛ حضنته بعيونها؛ وكانت تلك المرة الاخيرة التي تمسك بيده؛ حتى انضمّ صباح الجمعه 6-12 2012- عندليبُ حمص العَدِيَّه؛ مُنشِد حيّ الوعر.. الى قافلة الشهداء؛ تاركاً سلاحه لأخيه؛ ليُنشِدَ في تشيعيه أحبَّ أنشودة على قلبه: «حلوه الشهاده» والتي كان قد أنشدها في إعتصام الخالدية وأبكت الألوف.

هكذا كانت بداية قصة النظام الأسدي في حيّنا؛ حين يختار فريسته من عمر الورود وزينة الشباب؛

حتى صار لنا في كل بيت شهيد أو معتقل أو مُهجَّر؛ وفي كل صفٍ بمدرسة.. قصه.

قصدتُ إحدى المدارس التي تنطوي على أوجاع الناس مع مجموعة من الاشخاص لتقديم ما نستطيع من العون إثر مجازر بابا عمرو؛ دير بعلبه؛ كرم الزيتون.

شاهدتُ.. حبل غسيل طويل يلف باحة المدرسة وتحكي ثيابه قصة الساكنين الجدد... عند المدخل نجد مجموعة من الشباب والشابات بعضهم ينقل ما يحمله أبناء الحي للناس من طعام وشراب؛ وبعضهم.. يُفرغ حمولة سيارات الجمعيات الخيرية والبعض أخذ على عاتقه تنظيف الحمَّامات والأدراج؛ والكلّ يعمل.. بكلّ قواه.

دخلت غرفة مكتب على بابها رقم 13

بعد أن فتح لي الباب رجل في الاربعين من العمر؛ كانت الغرفه تضم عائلة من ست أشخاص؛ مفروشة ب 4 إسفنجات بلون أزرق؛ عليها حرام من الصوف الخفيف؛ والمدفئة الكهربائية الصغيرة موجهة نحو طفل لم يُكمل الاسبوع الاول من عمره؛ قصَدَت هذه العائلة حيّ الوعر بعد قصف قوات النظام لحيّ بابا عمرو وتدميره. إلتقت عيوني بأم الرضيع وإذا بها تردد بصوت خافت وتشير للطفل الذي علا بكائه: - «من يومين ما شبع؛ يمكن طار حليبي.. بدّي حليب».

هززت برأسي وخرجت دون أي كلمة .

قصدنا غرفة أخرى لإكمال تسجيل إحتياجات الناس؛

فتحت لنا الباب فتاة في العشرين من العمر رأيت في خوفها و ألمها شيئاً هزّني؛ تركتني وتوارت عني وهي غارقة في دموعها؛ ليأتي إلينا صوت رجل مُسِنّ:

- دخيلك يارب.. البرد أكل عظامي.

وتابعت زوجته: - شايفين.. عندي خمس بنات صبايا هون؛ و3 شباب ضلّوا تحت حتى يحموا الحارة؛ وقلت بيسندني هالرجّال؛ قام مرض من البرد اللّي اكلناه مبارح.

كان حديثاً متل حديث كل النازحين: كيف إنقصف الحي وكيف داهمنا الشبيحة وقصة هروبهم من الموت.

خرجنا غلى غرفة تانية؛ كان هناك شاب يحكي على الموبايل بلهفة بسبب قطع الإتصالات عن الأحياء فتره طويلة:

- ألو.. إيه.. لهلاء عايشين؛ ايه.. وانت شايف شي؛ لاء ما شايف؛ بس.. عم اسمع؛ ما بعرف يمكن هاون نزلت قريبه؛ كيفون اهلك؛ الحمد لله بخير.. بس أخي استشهد قبل ما نطلع بيومين - الله يرحمو :كيف اهلك انت : الحمد لله منيحين.. بس الوالده استشهدت برصاصة قنّاص - لاحول الله؛ وين انتو هلأ؛ بمدرسة نوري حوّا؛ بشعبه 13؛ طابق رابع؛ وانت وين؟.. انا بنفس المدرسه؛ شعبة 3 طابق اول؛ يالله... حمص ما أصغرها.

شو صار بالبيت؟.. أي بيت.. يلعن أسدك؛ طار البيت وصار على الارض؛ يعين الله بتوصي شي»

هكذا كان حال النازحين وهكذا كانت أحاديثهم؛ حتى أصبحنا مثلهم نقول اشياء في نصف كلمة؛ فالنظام أعاد نفس لعبة التدمير والتخويف والتجويع مع حيّ الوعر؛ بحملة أكثر شراسة وعهر وعدوانية؛ فحاصر الحيّ من كل الجهات؛ موجهاً إلينا آلياته العسكرية.

كثيراً ما تتعالى أصوات مكبرات المآذن ليلاً تطلب من السكان إخلاء البناء والنزول إلى الطوابق الأرضيه تزامناً مع بدء تعرض الحي للقصف من قبل الحواجز المحيطه بالحي و برج الموت ولم يترد النظام بإستخدام الرشاشات الثقيلة والدوشكا وكثير من السكان لم يكونوا يملكون الوقت والإنتظار لمعرفة من فقدوا فيقصدون الشارع لتنال من بعضهم رصاصات قناص الغاردينا ومشفى البر؛ فيسقطون ارضاً لتخرج النساء وهي تصيح:

- «يا بشار.. بدنا كيماوي \ أي.. بدنا كيماوي \ ما في عندك... الله يهدك ».

وتبقى الدعوات على بشار جاريةً كل لسان.. كأنها كتابٌ موقوت.

كان الصباح يحمل إلينا قائمة شهداء الليلة؛ شباب ورجال وأطفال وفي إحدى الليالي عند تعرض الحي للقصف نال بشار وسلاحه من ياسمين الحاكمي؛طفلة من أطفال الوعر رفضت أن ترحل وحيدة وتترك جدها؛ فرحلوا جميعا بقذيفة أسدية.

وصرنا لما بنسمع خبر وفاة شخص؛ ننسى نفكر بالتفاصيل:

- مات فوراً.. ولا تعذّب قبل ما يموت؟. تصاوب وصار ينزف وصار يشعر بالوحدة والخوف وهوي بيعرف انو ما في مين يسعفو؟... أمو مانها جنبو لتمسح عرقو وتكبس على جرحه؛ ابنو مانو جنبو ليبوسو ويودعو قبل ما يموت.

و متل جارتي الساكنه في الطابق التاني.. صحيت على صوتها وكانت الساعه 8 نزلت ودقيت الباب وقالت: مين.. مين انت. - انا جارتك سمعتك عم تعيطي نزلت. فتحت لي الباب واطلّعت فيني ورجعت قالت:- مين انت.. شو بدك.. مين قلك تجي؛ حبّابه..

يوميات السوريين

مين مات؟: نزار ولا.. ديانا: حبابه.. قولي: يارب تكون ديانا: نزار حرام.. عندو ست ولاد وفقير وابنه معاق: راح يجيب اغراض من بيته المقصوف: لأنه ما معه يشتري بدالون: حبابه قولي.. يارب تكون ديانا.

أنا وقفت مذهولة عم ردّد متل الببغاء: - صلّي على النبي: انشاالله ما حدا مات. وهي عم تتطلع فيني: - عنجد ما مات: ليش ابنه دقلّي تليفون وعم يصيح: استشهد البابا يا عمتي.

وضلينا هيك ساعه كامله مرّت متل الإحتضار: و بعدها تأكد خبر موت الاخ: يلّي عمرو 48: رجعت جارتي تصرخ وهي ماسكه فيني:

- قولي يارب ما تكون ديانا أختي ماتت كمان: حرام ديانا.. معتّره بالحياة كتير: زوجها معتقل من سنه وشهرين.

بعدها اجو الجيران كلهن: وانا طلعت ع البيت.. مجروحه وعم اتألم: وصرت متلها حكّي حالي: صار هالزمن يجبرنا نختار الموت لأعز شخص لنبعد فكرة موت اعز شخص تاني.

والمضحك المبكي كان مبارح .

بالعاده كنا لما بدنا نطلع من الوعر لحي تاني نوقف بالسياره عند حاجز المزرعه إلي بإيد اللجان الشعبية من الطائفة الشيعية .صحيح كانوا يسمعونا كلمات تنخر العظم و ينزلونا من السياره ع كلمة ترجلوا .وينكتوا السياره باب باب ومقعد مقعد, و نتفتش من الداخلي للخارجي .وياخدوا الشب الي ما بتعجبون نظراته, إلا كانت النزلة أرحم من مبارح بإعتبارنا مندسين كبار وبينخاف منا, وبإعتبار معرفة الحاجز برخص روح الشباب في سبيل يحرروا الحاجز حتى لو بمليه انتحاريه .اخترعولنا شغله جديده, كان لازم حتى نقطع الحدود من دولة الوعر لدولة الانشاءات نوصل بسياره لنهاية شارع الجزيرة الثامنة وننزل مشي على الاقدام مهما كانت حمولة الناس لنوصل حاجز المزرعه وعند هاد الحاجز من المفترض نكون مجهزين الهوية وما في على وجهنا أي علامة إستياء يعني لازم هيك تكون الإبتسامه مرسومة وننتظر ساعه أو أكتر لأنو الطابور بيكون طويل .وأخيراً بيسمحولنا نحن المندسين نعبر الشارع ليلقطنا حاجز دوار طرطوس ونفس السين والجيم .وإبراز الهوية يمكن بيخافوا يكون واحد فلت بالغلط من أول حاجز .ونفس فترة الإنتظار والمحظوظ اللي بيخلصوا من تفتيشوا اسرع: والمضحك المبكي اليوم لما وصلنا المسير لأول حاجز كانت تتقدم العرض عروس بفستانها الأبيض كندرة عالية, الكبار مشوا وشاركوا دموعها اللي كانت عم تنزل متل المطر وهي ماشية وخجلانه والصغار كانو عم يطلعوا فيا مستغربين عروس ماشيه بالشارع !

طريقنا كان طويل والقهر جعل منو طريق أطول والكل ماشي متألم وساكت وبيمحي هالسكوت صوت شب صغير عمروا 14سنه .لما بيبدا بيغني بصوت عالي «تغندري يا حلوه يازينه » والكل بيشارك بالأغنيه كأنا عم نحضر عراضه .وولاد صغار بيصرخوا صلوا على محمد .

وتذكرت حديث لصديق قال مرة : لما بيشوفونا عم نضحك بيخافوا , الحاجز من بعيد استنفر وجهز رشاشاتوا وجهها النا و نحنا ضلينا نغني حتى وصلنا صحيح خلونا تحت الشمس ساعتين بس كنا فرحانين بخوفهن منّا.

فتون الوعري

جامعة و مدارس حلب.. سنة دراسية متعثرة

لحلب تاريخ علمي وحضاري غني تحفظه كتب التراث والتاريخ , بدأت ثورة حلب من طلابها وجامعتها ولا نتفاعل كثيرا ان قلنا ان شباب الثورة الذين نادوا بالحرية والعدالة قادرين على بناء غد اغنى وأفضل لحلب حتى من تاريخها.

امتحانات شكلية لطلاب المراحل الانتقالية في حلب بعد ان مروا بالسنة الدراسية الاصعب :

سنة دراسية محفوفة بالمعوقات بدأت بغلاء أسعار الكتب والقرطاسية مروراً بعدم توفر المكان والأمان والدفء والكهرباء والاساتذة وبتنبؤات بعدم تقديم امتحانات العام وأخرى بتقديمه, تقول شيرين طالبة الشهادة الثانوية: « كنت دائماً أحصل على الدرجة الأولى في مدرستي بطريق الباب, بعد أن نزحنا إلى هنا لم يستطع أبي أن يشتري لي حتى الكتب الدراسية إلى ان تبرع لي أحد المحسنين من المدينة بالكتب وبدأت أدرس متأخرة أربع أشهر عن بدأ العام الدراسي والتحقت بصف أنشأته احدى الجمعيات, نسكن حوالي عشرة اشخاص في غرفة واحدة نعاني الأمرين حتى نستطيع العيش واشعر ان حلمي بإكمال دراستي بالجامعة أصبح شبه مستحيل »

قامت مديرية التربية في محاولة منها لحفظ ماء الوجه بإجراء امتحانات شكلية في نهاية العام الدراسي في بعض المدارس حيث أعطيت اسئلة الامتحان للطلاب وطلب منهم حفظها وتقديمها في اليوم التالي

يقول أحمد وهو طالب قدم امتحانات الشهادة الثانوية في المدينة « اسكن مع اهلي في حيان واضطررت للدراسة اعتماداً على نفسي طيلة العام, اتيت مع صديقي خالد لتقديم الامتحان في المدينة وقد اخذنا مفتاح احد البيوت في منطقة الاشرفية لنبيت فيه خلال الامتحان وحملنا ما استطاع اهلنا ان يوفروه لنا من المال, عند وصولنا عرفنا ان البيت في منطقة خطرة جدا ويصعب الوصول اليه.

قضينا يومين كاملين من أيام الامتحان نبات في الحديقة الى ان قابلنا احدى المتطوعات في احدى مدارس النازحين التي استطاعت ان توفر لنا صفا تطوع النازحون فيه بان يهبوه لنا ايام الامتحان كاملة, وأتساءل ان كان هناك مكان آخر في العالم يقدم فيه الطلاب امتحاناتهم تحت وقع كل هذه الضغوط النفسية».

يقول سامر وهو طالب شهادة ثانوية أيضا «كانت ساعات الامتحان اسوأ الساعات التي مرت علي, تقدمت للامتحان في احدى المدارس في منطقة الحمدانية وتسرب خبر قنص احد الطلاب على مقعد الامتحان خلال فترة الفحص في مدرس مجاورة و اخلاء المدرسة بعدها, اصاب هذا الخبر الطلاب بالذعر الشديد, كنت خائفا بان افقد حياتي في الامتحان الذي يفترض أن احدد به مستقبلي المهني والتعليمي».

احوال مدارس التعليم الاساسي والثانوي

ستون بالمئة من مدارس المدينة مدمرة, جميع المدارس التي تعرضت لدمار جزئي أو كامل بيد النظام تقع في المناطق المحررة في الريف وأطراف مدينة حلب التي يسيطر عليها الجيش الحر بالتالي نالت النصيب الأكبر من جام غضب النظام, بينما تحولت اكثر من مئة مدرسة في المناطق التابعة لقوات النظام لمراكز ايواء للنازحين ما أدى حكماً الى تعطيل العملية التعلمية لسنة دراسية كاملة.

ندخل احدى المدارس المكتظة بالنازحين ولا نجد فيها أي من المظاهر الدراسية عدا بناء المدرسة الذي طبع مع الكتاب بذات المكان من الذاكرة , ظروف شديدة القسوة مرت على النازحين هنا ودفعتهم حدة برد الشتاء لتكسير خشب المقاعد واستعماله حطب تدفئة, اما الهيكل الحديدي لأحد المقاعد تحول إلى قاعدة لبسطة يبيع عليها احد النازحين أمام باب المدرسة.

غالبية النازحين هم من سكان الريف الحلبي, الريف الذي عانى من التهميش التعليمي وارتفاع نسبة الأمية في عهد الأسد, يقول أحد المتطوعين من جمعية محو الأمية وهو طالب جامعي: «عندما لاحظنا ارتفاع نسبة الأمية في المدارس بادرنا بافتتاح صفوف محو الأمية وقد شهدت اقبالاً كبيراً في البداية, اما في الآونة الأخيرة انخفض الحضور كثيراً لانشغال الأهالي بالوضع الأمني والمعيشي المتردي»

الكوادر التعليمية بين الهجرة والتقاعد

- يقول الأستاذ عادل وهو موجه في مديرية التربية : « تقدم معظم مدرسي المدينة الذين تجاوزت أعمارهم الخمسون عاماً بطلبات التقاعد عن العمل طمعاً بالتعويض المادي الذي سيحصلون عليه عله يعينهم على المعيشة بظل هذه الظروف الصعبة ,خسرنا أيضاً الكثير من المعلمين الشبان لسفرهم خارج البلاد « ويقول الأستاذ عادل عندما سألناه عن توقعه لمستقبل الوضع التعليمي « علينا الانتظار والعمل لاكثر من عشر سنوات حتى نعود لنفس المستوى التدريسي الذي كنا عليه قبل الأزمة «

وضع مشابه تعاني منه جامعة حلب فقد هاجر لحد الان ما يقارب ال 50% من الاساتذة المدرسين فيها بحثا عن جامعات في دول اخرى تقدم لهم تقديرا اكبر لدورهم التعليمي وتحترم الجامعة كمؤسسة تعليمية مقدسة لايستبيحها عناصر الامن في أي لحظة علما انه قد تم حرمان مدرسي الجامعة من تعويضات ادت الى خفض رواتبهم الى ال50 % تقريبا

يقول احمد وهو طالب دراسات عليا في جامعة حلب « فقدان الجامعة لكوادرها التعليمية انعكس هذه السنة على اختصاصات الدراسات العليا فقد الغيت الكثير من الاختصاصات في جميع الكليات وحرم مئات الطلاب من الدراسات العليا .

صفوف تعليمية متواضعة في المناطق المحررة بجهود مجموعات العمل المدني

وجدنا في عدة أحياء في المناطق المحررة كبستان القصر وطريق الباب جهوداً واضحة لعدة مجموعات من شباب الثورة الواعي , تحدثنا إحدى المشرفات عن مشروع تعليمي في منطقة بستان القصر

« قمنا بدايةً بتمويل مبدئي من عدة تجار بافتتاح عدة صفوف دراسية في مدرسة غير مدمرة لكننا نقلناها لاحقا الى داخل بيوت في المنطقة خوفاً من استهدافها قصفاً, يقوم اساتذة متطوعون من الحي بتدريس الاساسيات من المواد كاللغة العربية والانكليزية والرياضيات , قمنا بتوزيع الكتب والقرطاسية مجاناً إلى جانب وجبات خفيفة لتشجيع اقبال الطلاب من الفئات الفقيرة على التعلم مع ذلك لازال الاهالي يتخوفون من ارسال ابنائهم , والآن بعد مرور أكثر من اربع أشهر على بدأ المشروع اتمنى أن نحصل على تمويل ودعم اكبر لنستطيع مواصلة هذا المشروع التعليمي «

- صفوف المساجد ظاهرة قديمة جديدة ,قامت بعض الجهات كحزب التحرير والأخوان المسلمين وجبهة النصرة بتبني افتتاح هذه الصفوف التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس تعاليم الدين إلى جانب اللغة العربية والرياضيات

الى ذلك الشاب الثائر الذي وقف امام ابيه يوماً معاتباً جيلاً سابقاً صمت على استبداد الأسد لك في رحم المعناة و الحرب جيلٌ جديد سيكبر ويقف امامنا في يوم ماثل وبالعتب ذاته إن نحن تقاعسنا عن أداء ما علينا ليتعلم و يفكر ويكون انساناً كاملاً كما يستحق .

احمد سالم

إعلام الثورة السورية

احتل النظام الحاكم في سوريا كل مؤسسات الدولة, و زرع الإستبداد و القمع و التسلط في مختلف الجوانب المهنية و بالطبع كان للإعلام الحصة الأكبر من التسييس القمعي الذي يخدم السلطة المخابراتية, و حين قامت الثورة السورية ضد النظام, كان للثورة إفرازات وليدة في مجال الإعلام المرئي و المسموع و المقروء و بدأت تلك النشاطات من مبادرات فردية لشباب طالما حَلموا أن يعبروا عن رأيهم بحرية, فأطلقوا الصحف و المجلات و كان للإذاعات أيضاً حصة لا بأس بها, و منها :

جريدة عنب بلدي جريدة أسبوعية (سياسية - ثقافية - توعوية - منوعة) تصدر من داريا, تأتي انطلاقة جريدتنا (عنب بلدي) التي يقوم على إصدارها مجموعة من أبناء داريا وبناتها دفعهم إلى ذلك حبهم لوطنهم ورغبتهم في المشاركة في الثورة والمساهمة في التأسيس لسوريا الجديدة القائمة على العدل والحرية والكرامة.

الموقع الإلكتروني : http://enab-baladi.com/

"راديو سوريالي " الذي بدأ بثه عبر الانترنت تشرين الأول / 2012 متوجهاً لفئة الشباب و واضعاً كل ثقته بالتغيير و العمل على التمهيد للدخول في عالم إعلامي حر لحظة سقوط نظام الإستبداد في سوريا و أتى شعار الإذاعة و فكرة اسمها من جزأين بمعنى التركيب اللغوي فكلمة سوريالي ليعبرعن تلك الحالة التي تعيشها سوريا من الغموض و الفوضى و الجزء الآخر هو «سوريا لي»

موقع الإذاعة على الانترنت : www.souriali.com

مجلة طيارة ورق : طيارة ورق مجلة سورية شهرية للأطفال بين سن السابعة والرابعة عشر, تصدر عن شبكة حراس بالتعاون مع جريدة عنب بلدي ومنظمة الحراك السلمي السوري.

الموقع الإلكتروني :

http://www.childprotectsyria.org/our-projects/tayarat-waraq

إعلام حُرّ

مجلة صور شهرية تختصّ «صور» بإبراز القضايا والشّؤون المدنيّة فقط وتهتمّ بمقالة الرّأي والفيتشر والزّوايا التّثقيفيّة الملامسة لهموم الإنسان السّوريّ بالنّظر لطغيان الشعبويّة، والخطاب المؤدلج، والتّطرف الدّينيّ، والتّخندق القوميّ والطّائفيّ»

الموقع الإلكتروني : http://www.suwar-magazine.org

شبكة شام الإخبارية والمعروفة باسم «شام» هي منظمة وطنية أسسها نشطاء سوريين في المراحل المبكرة جداً من الثورة السورية. مهمتها الحالية هي نشر الأخبار ذات مصداقية عالية عن أنشطة الثوار داخل سوريا، و عن النظام السوري والفضائح التي يرتكبها والتنسيق بين ذلك لإيصاله إلى العالم الخارجي

الموقع الإلكتروني : http://www.shaam.org

مجلة ياسمين سوريا شهرية تعنى بالمرأة السورية, أنشأتها مجموعة من الفتيات السوريات الناشطات و, قد اتخذ فريق المجلة شعار : من أجلِ سوريا ثوري معنا و شاركينا

الموقع الإلكتروني: http://www.jasmine-syria.com/ar

مجلة بناة المستقبل شهرية سورية مستقلة صدرت مؤخراً وانضمت إلى طيف الإعلام السوري الحر

الرابط الإلكتروني : http://bof-sy.com/bof-1/bof-1.pdf

إذاعة آرتا تبث من عامودا ولأول مرة باللغة الكردية , أنشئت هذه الإذاعة في 16 / 7 / 2013 بعد تدريب لكادر العمل بها بإدارة و إشراف «سيروان حاج باركو» مؤسس الإذاعة, و تعمل على ترسيخ مفهوم التسامح و الحوار الوطني بين كل مكونات المجتمع السوري , بالإضافة لإبراز دور المرأة و حماية حقوق الطفل وإيصال المشاكل اليومية للمواطنين إلى الجهات المسؤولة في السلطات المحلية .

موقع الإذاعة على الإنترنت : http://www.arta.fm

الثورة وإعلام النظام

لم يختلف مصير مؤسسات الإعلام عن سواها من المؤسسات المملوكة للدولة السورية ابتداءاً من وصول حزب البعث للسلطة، مروراً انقلاب حافظ الأسد وانقضاضه على كل مفاصل السلطة، سواء من ناحية اختطاف هذه المؤسسات كلياً من قبل أجهزة النظام الحاكم، أو من ناحية تكريسها وظيفياً لتقوم بما تستدعيه أولوية استمرار النظام وتأمين هيمنته على جميع مفاصل الدولة، والعمل بدأب على تهميش وإقصاء كل ما يمكن أن يهدد هذه الأولوية أو حتى أن يجعلها مسألة قابلة للنقاش ولو بموارية.

بائع الجرائد - سعد يكن

طوال عقود طويلة وثقيلة، حافظ الإعلام السوري على خطاب متكلس وعلى مركزية مفرطة ألغى من خلالها أيّ إمكانية للعمل الإعلامي والصحفي خارج حيّز الرقابة الصارمة، واكتفت وسائله البصرية والسمعية والمطبوعة بتلقي الخبر ونشره حرفياً كما تتلقاه من «الأعلى» وسمح للإعلاميين باجتهادات سقفها محدد بصرامة.

مع بداية الألفية الثالثة، رفع النظام شعار «التطوير والتحديث» و روّج لمشاريع عمل تستهدف تطوير العمل الإعلامي وتعديل قوانينه و لرفع سقف الحرية الإعلامية والسماح للقطاع الخاص بامتلاك وإدارة وسائل إعلامية، فيما كان بيد أخرى يفرغ هذه القوانين ومشاريع العمل من مضمونها تماماً، ويُفشل أي محاولة حقيقية لتواجد وسائل إعلام وطنية خاصة، ويكرّس هيمنته على الفضاء الإعلامي السوري من خلال خطوط رديفة وداعمة للإعلام الرسمي، ومملوكة فعلياً من قبل رجال النظام أنفسهم.

مع انطلاق الثورة السورية، وجد هذا الإعلام نفسه بمواجهة مأزق كبير، فالاحتجاجات الشعبية التي اجتاحت درعا وريفها وانتقالها التدريجي إلى مناطق أخرى، والشعارات التي أطلقها المحتجون، تجاوزت بشكل كبير الهوّة الموجودة أساساً بين إعلام النظام وبين الشارع السوري.

وهكذا غرقت هذه «الأجهزة» بخلق روايات متناقضة لدرجة الفضيحة، محاولة قدر الإمكان الاعتماد على الخطاب الهش للسلطة في تفسيرها للأحداث، فيما كان السوريون يتابعون تنامي الحراك الشعبي عبر الانترنت من خلال الفيديوهات التي يبثها الناشطون على الشبكة، قبل تبدأ وسائل الإعلام العربية والأجنبية بمتابعة الحراك وتغطيته إخبارياً.

ومع سقوط أول كوكبة من شهداء الثورة، تحوّل هذا الإعلام إلى عدوّ حقيقي بالنسبة للسوريين، وشريكاً في استباحة دماء أبنائهم، وذلك من خلال تغطيته على جرائم النظام ضد المتظاهرين السلميين، ومن خلال بث الأكاذيب حول طبيعة الحراك الشعبي في حملة مكشوفة خاصة بالنسبة للمواطنين المتواجدين في المناطق الثائرة والذين كانوا يلمسون التناقض بين ما يحدث على الأرض وبين ما تبثه وسائل إعلام النظام.

بعد أقل من أسبوع من انطلاق الثورة السوريّة، قامت قوات النظام باقتحام الجامع العمري في مدينة درعا، وأدخلت كميات كبيرة من السلاح إلى داخل المسجد وفيما أكمل تلفزيون النظام المهمة وقام بتصويرها وبثها في تقرير إخباري ادعّى بأنها أسلحة تستخدمها «العصابات المسلحة » كوصف دأبت وسائل إعلام النظام على استخدامه لوصف المتظاهرين السلميين، طوال فترة الحراك المدني السلمي والذي استمر لشهور طويلة. كانت تلك العملية بمثابة إعلان واضح من قبل إعلام النظام لانضوائه الكامل في خدمة أجهزة المخابرات والمؤسسة العسكرية في إدراتها الأمنية لـ «الأزمة».

وخلال أكثر من عامين ونصف من عمر الثورة، دأب التلفزيون الرسمي أو التلفزيونات الرديفة إلى اجبار الناشطين المعتقلين في سجون النظام على الإدلاء بإفادات تستهدف تشويه الحراك الشعبي، وتأمين غطاء لجرائم النظام وتأكيد رواياته.

يبقى حاضراً في ذاكرة السوريين إجبار الشيخ الجليل أحمد الصياصنة على تقديم إفادات للتلفزيون السوري، تراجع عنها فيما بعد مؤكداً بأنها تمت تحت التهديد بتصفية أولاده.

على الأرض لم تجد هذه «الاعترافات» من يصدقها لدى معظم السوريين، بل نظروا دائماً للأشخاص الذين ظهروا في هذه التسجيلات كضحايا للممارسات النظام، فيما قام ناشطو الثورة بحملات تدعو للتعاطف معهم وتفضح الطريقة المخابراتية المتبعة للحصول على هذه الاعترافات.

بكل الأحوال فإن محتوى هذه الإفادات يفشل تماماً بتقديم تفسير مقنع للاحتجاجات الشعبية العارمة التي اجتاحت أغلب المناطق السورية، وفي الواقع فإنها لا يمكن أن تقدّم جواباً شافياً للأسئلة البسيطة التي يمكن أن يطرحها المشاهد، بل إن المنظومة الأمنية المغلقة للنظام غير قادرة أصلاً على طرح مثل هذه الأسئلة على الضحايا.

فكل ضحايا «الاعترافات» تحدثوا دائماً عن المؤامرة كونها المفردة الأكثر استخداماً من قبل أركان النظام وأجهزة إعلامه في مواجهة مطالب السوريين بالحرية والكرامة، دون أن يتمكن أحد من هؤلاء الضحايا من يلامس ماهيّة هذه المؤامرة أو أن يوصّفها توصيفاً مقنعاً، خاصة وأن معظمهم هؤلاء أتوا من مناطق ساخنة و مطّلعين تماماً على المجريات على الأرض.

في الأشهر الأخيرة، وسّع النظام مهمة وسائل إعلامه لتمارس جرائم علنية بالإضافة لدورها الموازي لدور آلته العسكرية، فأتيحت للقائمين عليها فرصة إخراج كل العفونة والمشاعر الحاقدة على المجتمع السوري، فصنّعوا اعلامياً فكرة «جهاد النكاح» بمساندة ودعم من وسائل إعلام ممولة إيرانياً، وأقدموا - لترسيخ هذه الفكرة إعلامياً - على إجبار فتيات سوريات مختطفات من قبل أجهزة النظام على تقديم روايات لا تمتلك الحد الأدنى من التماسك والمصداقية، في انتهاك فاضح وعلني لحقوق الانسان، وفي اعتداء سافر على الفتيات وعلى خصوصية المجتمع السوري، جعل كثير من الحقوقيين والمختصين لأن يصفوها بجرائم حرب.

جرائم إعلام النظام لا تقلّ خطورة على المجتمع السوري ومستقبله، عن ضرب السلاح الكيماوي على الغوطة، ولا عن حصار مدينة كاملة وحرمانها من كل أساسيات الحياة.

فالمساهمة المباشرة في تأجيج العداء وزرع الشقاق بين مكونات الشعب السوري والرضوض التي تركها هذا الخطاب السلطوي داخل المجتمع، لن تكون مهمة معالجتها سهلة أو بمتناول اليد في المدى المنظور.

محمود الشرع

حوار مع الفنان السوري

سميح شقير:

في شأن الثورة والأغنية الملتزمة

سميح شقير، الفنان سوري الملتزم، الذي بدأ بتقديم أغانيه، الوطنية والثورية، على المسارح منذ عام 1982، غنى للحرية وكرامة الأوطان، حتى أصبحت أغانيه وموسيقاه، قبل الثورة وبعدها، جزءًا من ضمير المناهضين للإستبداد والظلم، ولم تفارق تلك الموسيقا وإيقاعاتها الشرقية/ الثورية، العقول المطالبة بالتغيير.

اجرى الحوار: عماد مفرج مصطفى - باريس

يرى صاحب أغنية «يا حيف»، أن تأثير الاستبداد وتسلطه على الابداع الموسيقي والغنائي في سورية «كبير بلاشك»، لكن حالة التحدي تنتج نماذج ذكية، «تستطيع توصيل رسائلها، متخطية الرقابة والمنع، ومتسلحة بصدقها الفني ومحمولها الثقافي لتصل بكل زخمها الى مشاعر الناس الراغبين بالتغيير» لافتا إلى أن السلطة اتبعت سياسة ممنهجة في «التسطيح» و«ترييف المدن» و«نشر ثقافة اغاني الكراجات» .

ويشير شقير، الذي أصدر مجموعته الغنائية الأولى (لمن اغني) عام 1983 ، إلى ان الغناء للثورة السورية شكل محطة جديدة في مسيرته الفنية، سواء على مستوى النص، أو على مستوى العمق التعبيري، مؤكدا أن الثورة ستساهم في خلق منتج فني نوعي ولكن الأمر يحتاج بعض الوقت. كما وجه نقده للقوى السياسية الممثلة للثورة في إهمالها للثقافة والفن، وعدم سعيها إلى تفعيل هذا الجانب، في الوقت الذي كان يمكن لفنون الثورة أن تكون عونا للثائرين، وسفيرا رائعا لشعب أراد الحرية.

وحول خشيته على الثقافة والموسيقا السورية من التطرف الديني، يعتقد شقير «أن التطرف الديني عابر ومؤقت، لأنه غير أصيل» في البيئة السورية، وهو «غريب كهيئة الأغراب اللذين اتوا به»، محذرا أن استقرار هذا التطرف وامتداد زمن وجوده، يمكن أن يكرس مسلكياته ويشكل خطراً على الثقافة السورية في بعض المناطق.

ويؤكد صاحب اغنية « رجع الخي»، ثقته بالسوريين وثورتهم العظيمة قائلا: «رغم المنعرجات الكثيرة، وطريق الآلام الطويلة، سيصل السوريون الى اهداف ثورتهم، ويبنون سوريا الجديدة.»

وهذا نص الحوار مع الفنان سميح شقير في باريس

- كانت أغانيك جزء من المنظومة المناهضة للاستبداد والظلم في سورية، ولم تكن تخلوا حتى قبل الثورة من المطالبة بالحرية والكرامة، برأيك إلى اي مدى اثرت أغانيك على المزاج العام، في رفض ذلك الواقع وتشكيل الحالة الثورية وروحها..؟

اعتقد أنها جزء من التراكم الذي ساهمت فيه الأصوات الثقافية والسياسية المعارضة في مرحلة ما قبل الثورة . اما عن خصوصية دور أغنيتي فتقييمه يأتي من الناس .. وقد قالوا فيها الكثير. وبالطبع فقد هوجمت بضراوة من اتباع النظام وكان هذا متوقعاً.

- ما مدى تأثير الاستبداد وتسلطه، الذي استمر لمدة نصف قرن، على الابداع الموسيقي والغنائي في سورية. ثمة مقولة، بأن السلطة كانت تتقصد فرض ثقافة سطحية وموسيقا شعبية بعينها..؟

التأثير كبير بلا شك. فعندما ينخفض منسوب الحرية في بحر الحياة .. يموت الكثير من اسماك الإبداع وتجنح كثير من سفن الفن على الصخور. لكنها بالمقابل تنتج بفعل التحدي نماذجاً ذكية تستطيع توصيل رسائلها متخطية الرقابة والمنع متسلحة بصدقها الفني ومحمولها الثقافي لتصل بكل زخمها الى مشاعر الناس ويتلقفها المعارضين والراغبين بالتغيير .

« عندما ينخفض منسوب الحرية.. تموت الكثير من أسماك الإبداع، وتجنح الكثير من سفن الفن إلى الصخور»

«من سوء الحظ ترابط الواقع السوري الحالي بالمصالح والطموحات الإقليمية بل والدولية المتناقضة..»

نعم، كان التسطح منهجاً مكرساً، وترييف المدن بديلاً عن تمدين الريف، ونشر ثقافة أغاني الكراجات على اتساع قنوات البث والإذاعات، وحضور مشاهير الممثلين كمنظرين على الشاشات في الفكر والسياسة والمجتمع، مع استبعاد المفكرين والأدباء والمعارضين، كل هذا كان ممنهجاً .

- مشاركتك كانت كبيرة في دعم الجانب السلمي لثورة السورية، من خلال عدة أغاني، ربما أهمها أغنية "ياحيف" ، كيف تُقيم تلك المشاركة..؟، هل تعتقد أنها أعطت قيمة وجدانية، وبالتالي احدثت تأثيرا في السلوك الاجتماعي المرافق للثورة ونضالها..؟

قلت انني اترك هذا التقييم للناس..

- هل شكل الغناء للثورة السورية، محطة جديدة في مسيرتك الفنية..؟

بالتأكيد . فعلى صعيد النص .. تحررت من الرمزية في عدة أغنيات لأن مواكبة الأحداث الدامية تطلبت ذلك من اجل ان يكون للأغنية دور في الحراك الشعبي ولكني حافظت في أغنيات عديدة على العمق التعبيري وتجنب المباشرة لأني عموماً لست من أنصار المباشرة في الفن ولكن وفي ظروف محددة لا بد منها وهذا ما حصل . وبالفعل هي محطة مختلفة . فمواكبة حدث تاريخي تراجيدي متدحرج ومفتوح الاحتمالات يمس أغلى ما لديك ويداعب أجمل احلامك بمستقبل بلد تعشقه سيولد لديك مشاعراً استثنائية وطاقة استثنائية تستمدها من ثقتك بهذا الشعب الرائع .

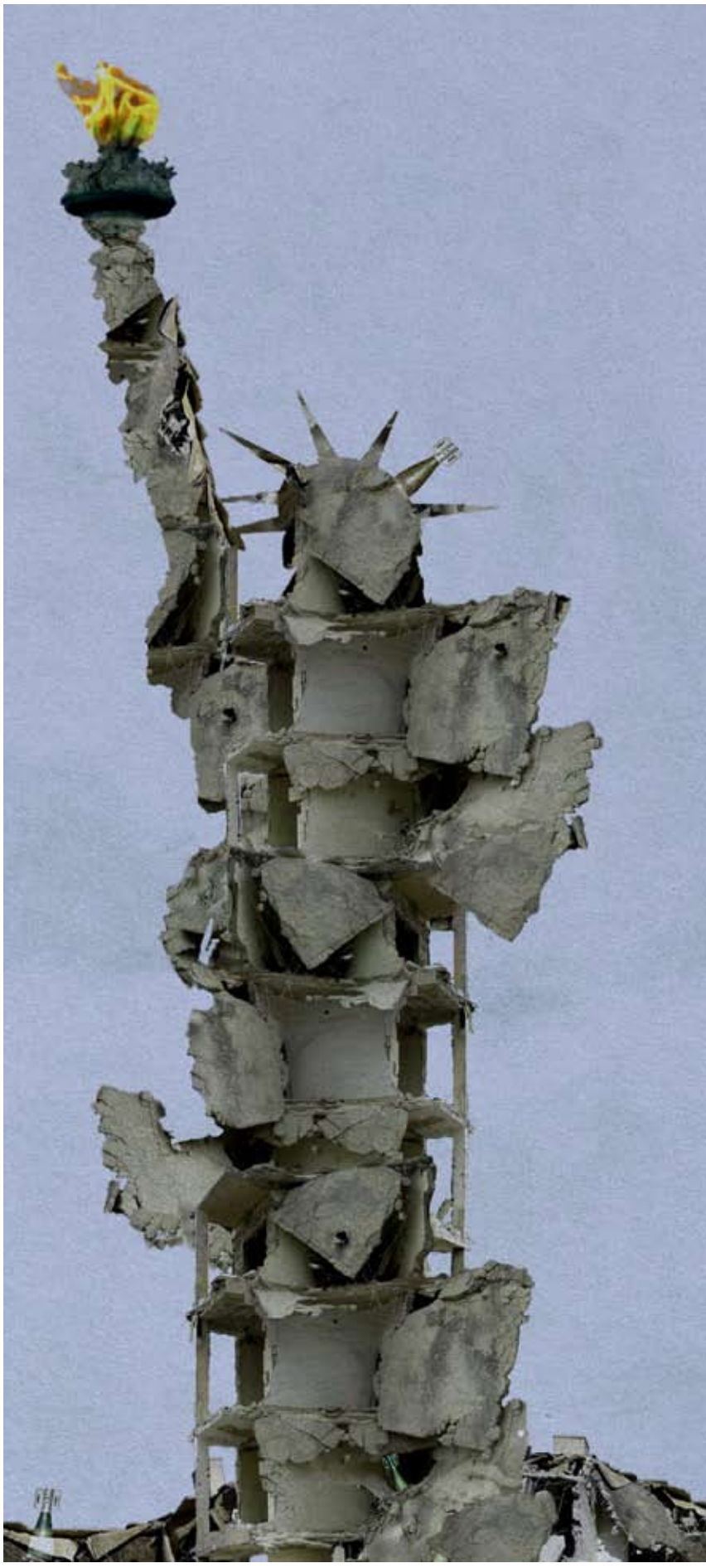

- كيف تُقّيم سوية الفن المواكب للثورة ..وهل غيرت الثورة مزاج السوريين نحو عشق واستقبال الاغنية الملتزمة برؤية جديدة، خاصة، بعد سنوات من هيمنة الاغاني الهابطة وظاهرة "الفيديو كليب"..؟

هذا صحيح . اختلف مزاج السوريين لأن سقف التعبير قد ارتفع، ومستوى الألم والأمل ارتفعا ايضاً ..! . فبعد كل هذه التضحيات، توقع السوريون مستقبلاً يليق بتضحياتهم، وإن كانوا قد واكبوا الحراك الثوري بالدبكات والأغاني والرسوم المعبرة، بل وتحول الكثير منهم الى مصورين وموثقين لما يحدث، غير أن التحول نحو عسكرة الثورة، الذي نتج بداية عن مستوى العنف القاتل واللامعقول للنظام اتجاه الثائرين، قد اسكت المدنيين، محولاً الحالة الثورية الى حرب بنادق وخنادق، فخبى وهج التعبير الفني والجماهيري في الساحات، وخبت الآمال بانتقال سريع للسلطة، وأدرك الجميع انهم بمواجهة جحيم سيطول، خاصة بعد ظهور الاستبداد الديني، ممثلاً بممارسات غريبة لبعض التنظيمات الجهادية التي تجاهر بأهداف غير اهداف الثورة، ما زاد الطين بله وجعلنا نواجه استبدادين: استبداد الجماعات الجهادية المتطرفة واستبداد النظام.

ومع ذلك، تواصلت الحالات والتعبيرات الابداعية، وإن كان معظمها افتقر الى الامكانيات والظروف، التي تساعد على تقديم اعمال فنية ناضجة، لانه وللاسف، اهملت قوى الثورة والمعارضة الثقافة والفن ولم تسعَ الى تفعيلهما، في الوقت الذي كان يمكن ان يكونا عوناً للثائرين، وسفيراً رائعاً لشعب اراد الحرية واستحقها .

- بعيدا عن الحالة السياسية والانفعالية، برأيك هل استطاع الفنانين السوريين خاصة الداعمين للثورة، خلق منتج فني وثقافي، ذو سوية عالية، ويمكنه أن يدوم ويستمر مع الزمن، أم إن أغلب فنون الثورة أرتبط بالآنية وبالحدث اللحظي والانفعالي..؟

العمل المتكامل قليل في الظروف الطبيعية، فما بالك بالظروف الحالية، ثم ان الاعمال الآنية مطلوبة، ولها دورها

ايضاً، ولا يقلل من شأنها، انها لن تستمر طويلاً، خذ مثلاً: أهازيج « القاشوش »، فكلنا رأى أهمية أثرها على الجمهور الثائر، مع أن الجميع يدرك بأنها آنية.

- هل ستؤثر حالة الثورة في خلق منتج ثقافي نوعي..؟

بكل تأكيد ولكن علينا الانتظار قليلاً.

« ليس صحيحاً ما يطرحه البعض من أن صفة الثائر لا يستحقها إلا من رفع السلاح »

- معروف عن سورية تنوعها الثقافي والحضاري، أنت كفنان سوري، كيف استفدت من هذا التنوع ووظفته في ابداعك الموسيقي..؟

الفنان العضوي المنتمي لانشغالات مجتمعه وهمومه، يصوغ فنه من غير تكلف او ترتيب فائض، فيأتي الفن من مخزونه الحسي والمعرفي بكل سلاسة وعفوية وتجده معبراً ومؤثراً .. ليس فقط لأنه حقق شرط الفن .. بل لانه حار وحقيقي .

- كيف تُقيم دور المثقفين في المحنة السورية..؟

يتسابق الكثيرون اليوم، في الهجوم على المثقفين، محملين إياهم مسؤولية كل فشل أو تراجع في مسار الثورة، وفي هذا كثير من الغبن، فهم مثلهم مثل غيرهم من قطاعات المجتمع السوري، تعرضوا للإنقسام منذ بدايات الحراك، ومعظم اللذين دعموا الثورة، قدموا جهوداً غير خافية على أحد، ابتداءً من المشاركة في المظاهرات، أو العمل مع التنسيقيات، أومن خلال

المساهمة بالأعمال الإغاثية، اسوة بالناشطين، وكان للعديد منهم تواجده الإعلامي ونتاجه الثقافي، وحضوره في المجتمع وايضا عبر صفحات التواصل الاجتماعي (والذي يعتبره البعض شيئاً لا قيمة له)، لكنني اعتبره مؤثراً على الحوار المجتمعي، حيث تكمن اهميته في صياغة رأي عام مساند للثورة، وليس صحيحاً انه مجرد عالم افتراضي، لأن أثره ينتقل الى الواقع وبشكل يفوق التوقع احياناً، أما إن كان المأخذ عليهم، ان معظمهم الساحق لم يقاتل بالسلاح، فهل كل المواطنين الثائرين انخرطوا في القتال ؟!!! . ليس صحيحاً ما يطرحه البعض من أن صفة الثائر لا يستحقها إلا من رفع السلاح، ان كل صاحب ضمير وقف مع الثورة ضد الاستبداد والقمع والديكتاتورية، وقدم ما يستطيع من جهد أو مال أو فكر دعماً لهذه الثورة، هو ابن لها.. يشرفها وتشرفه. ولو لم يكونوا مؤثرين لما بلغ عدد السجناء من الناشطين السلميين، عشرات الآلاف، ولما قضى المئات منهم تحت التعذيب، ثم أن تكامل الجهود وليس تشابهها هو ما ينتج عنه النجاح في الوصول الى الأهداف المرجوة، وأنا لا ادافع هنا عن اللذين ارتضوا ادواراً هامشية أو اللذين اكتفوا بأن يكونوا ظاهرة صوتية ليس إلا، فقط أحاول أن أرفع غبناً يتلذذ البعض برميه على المثقفين في تعميم ظالم.

- باعتبار أن الأغاني السياسية كانت إحدى تجليات ومظاهر المرحلة السملية من الحراك الشعبي في السورية، حاليا ومع وصول العنف في سورية الى سويات مرعبة، هل بقي مكان للاغنية السياسية في الوجدان الثوري ..؟

علاقة الأغنية بالوجدان هي كعلاقة العصفور بالغصن، فحيثما يوجد الوجدان توجد الأغاني، لنأمل معاً ان يبقى الوجدان السوري حصيناً، رغم حضور ما تأنف من فعله الوحوش.

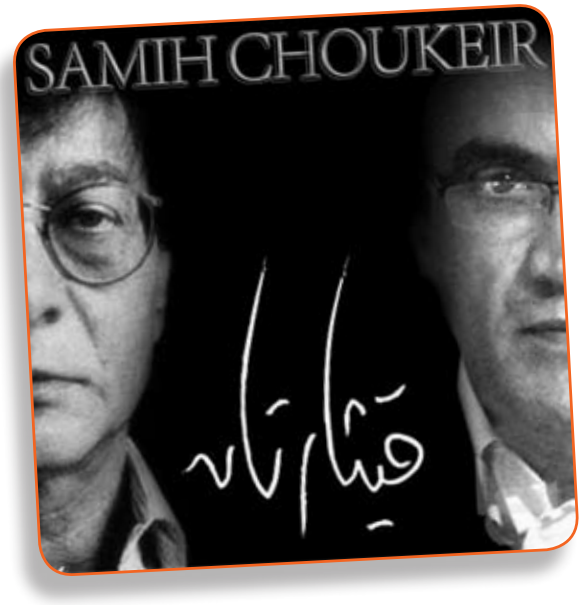

«للأسف أهملت قوى الثورة والمعارضة الثقافة والفن ولم تسعَ إلى تفعيلهما بالوقت الذي كان يمكن أن يكونا عوناً للثائرين وسفيراً رائعاً لشعب أراد الحرية واستحقها.»

- هل تخشى على الثقافة والموسيقا السورية من التطرف الديني، ومع ما تشهده الكثير من المناطق السورية من سيطرة الكتائب الاسلامية المتطرفة..؟

اعتقد أن التطرف الديني عابر ومؤقت، لأنه غير أصيل في هذا المكان .. لأنه غريب كهيئة الأغراب اللذين اتوا به . لكن استقرار هذا التطرف وامتداد زمن وجوده، يمكن أن يكرس مسلكياته ويشكل خطراً على الثقافة السورية في بعض المناطق .

- كيف ترى مستقبل سورية ..؟

أظن أن من سوء الحظ ترابط الواقع السوري الحالي بالمصالح والطموحات الإقليمية، بل والدولية المتناقضة، مما يمكن ان يجعل من سوريا ساحة لتسوياتهم، وهذا يجعلني اخشى امتداد زمن الصراع وزيادة التدخلات به، وتناقص دور إرادة السوريين، بل وارتهانهم جميعاً، سلطة ومعارضين، الى القوى العظمى والدول الإقليمية القوية ولو الى حين.

لذا ارى مراحلاً ثلاث في الأفق السوري:

أولها - الإهمال الدولي لجوهر الصراع، والإهتمام فقط بنزع السلاح الكيماوي السوري وبالملف الإيراني المتعلق بالنووي، وخلال هذه المرحلة يرجح أن تكون الساحة السورية ميداناً لصراع ميليشيات على (الارض والسلطة والموارد)، بما فيها النظام، الذي يصبح شيئاً فشيئاً أشبه بالميليشيا هو الآخر، وتبتعد عن المشهد المظاهر المدنية للثورة بفعل الوضع الحربي وينوء النشطاء تحت عبء إغاثة المنكوبين والهروب من القتل والملاحقة، ويستمر الوضع كارثياً .

ثانيها - تبدأ مع نهاية الولاية الدستورية وتعذر إجراء انتخابات رئاسية، مما قد يستدعي في نهاية الأمر تدخلاً أممياً لإجرائها بعد تفاقم في الأوضاع، وإثر ذلك ستحدث التسوية السياسية وتشكل حكومة انتقالية بعد مخاض عسير، ستفشل محاولات التقسيم، التي قد تكون مطروحة، وسيتم إخراج كل المقاتلين الأجانب وغير السوريين، مع إلقاء أغلبية المتقاتلين السوريين السلاح.

ثالثها - سيتنامى حراك اجتماعي وسياسي جديد، ويكون أشبه بثورة اجتماعية سلمية ذات مضامين متقدمة، يكون من نتائجها مصالحة وطنية تاريخية، بعد محاكمة أصحاب القرار المتورطين، والذهاب الى عقد اجتماعي جديد، مبني على مفهوم المواطنة والتعددية السياسية، رغماً عن المتشددين من جهة، وبقايا النظام من الجهة الأخرى..

رغم المنعرجات الكثيرة وطريق الآلام الطويل، سيصل السوريون الى اهداف ثورتهم، ويبنون سوريا الجديدة متوحدين.

حيّ الرمل...
وفي تداعياته مخيم التضامن

تقول الحكاية: «في دلمون لا يفترس الأسدُ أحداً...لاتوجدُ أرملةٌ.
ولايُدركُ الشيخَ الهَرَمُ..»
فيما يتململ حيُّنا اليوم.. انظروا إلى بحر اللاذقية؛ انظروا إلى اليرموك؛ إنّهُ عيونُ القنص
الأسد هنا يأكلُ كلّ شيءٍ و يستافُ تلالَ الرّملِ

● فاتن حمودي

1

هاهو يُطِلُّ من جديد
هذا البحرُ المُفخّخُ
يُطلُّ
على غيرِعادتهِ..
يُطلُّ مُرتديا عيونَ القنص
فيما الرملُ يمشي خيمةً تلو أخرى
يرتعدُ.. متكئا على صباحٍ خافتٍ
وطريقِ مارةٍ مفتونين بالقتل
هذاالبحرُ يمشي نحوي بزرقةٍ تُشبه الموتَ
يمشي ببسطارٍعسكريٍّ.. وبموجٍ حزينٍ
حوذيٌّ نسيَ الغناءَ
كلُّ شيءٍ يُعِنُ بالذهولِ
الصباحُ
طاولاتُ المقهى
شِباكُ الصيادين
بيوتُ الفقرِ..
فمنْ يجرُّالبحرَ خلفَ المحيطات

2

وحدهاالمرأة.. تُعِدُ القهوةَ
تدربُ الريحَ على الموج.
إنَّهُ يُرْعِدُ ببرقٍ يتقدمُ
ينزاحُ.. الأزرقُ الرماد
الرماديُ ينتظرُ الحوذيَ
لِيُزيحَ عن صدره كلَّ هذا الموت

3

وجهٌ طاعنٌ كالسَّرابِ.. البحرُ
وحشٌ يَعِضُ الأحلامَ
البحرُ..على غيرعادته
يأتينا هذا المساء
ينهشُ بذئابهِ.. حيَّ الرمل
فيما الدروبُ تشدُ الخيامَ
الدروبُ تتوارى..تنشرُ قمصانَ الدَّم
كيفَ لكلِ هذا الموتِ.. أن يّصْرُخ
كيفَ لهذهِ المدينةِ.. أن تقفَ خيمةً في
العراء

4

يا بحرُ..يا بحرُ
يا أغنيةَ الصيادين
ياصوتَ فيروز
هيلا هيلاي
وحدهم آلهةُ الموتِ..يجرُّونَ الشجر
يحرقون رسائلَ العُشّاقِ
وأرجوحةً على غصن شجرةٍ
تُهَدهِدُ لطفلٍ.. نَومَهُا لأخير
يَسحَلُونَ الوقتَ
يَسْحَلُونَ الموجَ
يَسْحَلُونَ.. حكاياتِ كجدتي
فيما تحملُ الخيامُ.. أطواقَ الخَرَز
تحملُ الأطفالَ على ظهرها..
تُهَرولُ بعيداًعن العيون
يابحرَ القَراصِنَةِ
يابحرَ القتلةِ
يابحرُ...أزحْ مساميرَ قنابلِكَ عن صدرنا

شعر تحت القصف
شعر التغريبة السورية

مسيح.. ادوار شهدا

وحدَهُم الصيّادون..
يحلمون بخاتمِ العروسِ في شِبَاكِهم
وحدهم

5

أناعروسُ الحكايةِ
حافيةً على الرملِ..
بينما تمضي الأرصفةُ ببسطارعسكري
وبدلاتٍ مُبرقَعةٍ..تشتهي الموت
القمرُ حَيرَانٌ

وعل يشاطيءالبحر..كنتُ
أُشْعِلُ ضفائرَ الذاكرةِ
مُنذُ حُلمَين و.. وردةٍ
منذرحلةٍ وسفرجلة
منذُ كتابٍ..مسكونٍ بوردِ الرائحة
أوقظُ الحُزنَ.. وأنطوي.
أقلّبُ ألبومَ الصورِ
صبيةُ الضفائرِ
حاملةُ جِرَارالنبيذِ
صوتُ البحارة يرتفعُ..هيلاهيلاي

صوتُالرملِ... هيلاهيلاي
إلى الشمس يمتدُّ
هيلاهيلاي
القمرغارقٌ
في البحر.
والنجوم.. ترتدي السواد
يالَهَوْلِ المذبحة
إنهم يتساقطونَ.. يُغرِقُونَ القراصنةُ
يا لَثِقَلِ قتلاهُم
هيلاهيلاي.. هيلاهيلاي

رياح الخماسين

• أحمد م أحمد

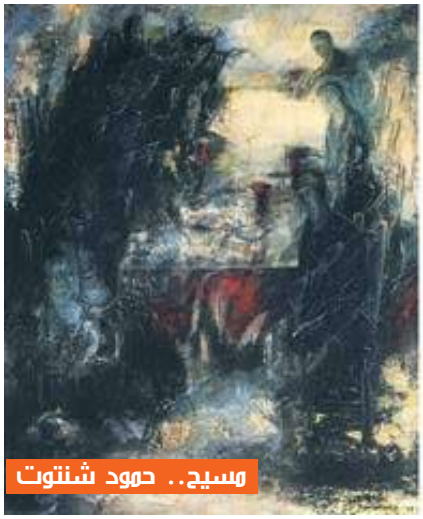

مسيح.. حمود شنتوت

رياحُ الخُماسين
مع الأرغفة السّاخنةِ
المنشورة على بوّابات الصّباح.
علاجٌ ناجعٌ
من ميليشيات القهر.

**

البلادُ خرائطُ جُوْعٍ.
لولا أحاديثِ الرّعاعِ
تُفرقِعُ حولَ سيقانِ
الإناثِ المعتّقاتِ كالدَّمع.

**

الزّخارفُ الرّتيبةُ
ودمُ الأخوةِ
محرقةُ
المخيّلة.

**

أيْ بُنَيّ:
احذرْ وجوهَ المفرداتِ.
فبعضها حفّاضةٌ التفَّتْ على حيادِ وجه.
وبعضها وجهُ جدَّتِكَ
بُعَيْدَ اندلاقِ الدّمِ من رئتيها
وهي تنقعُ الفكَّ الصُّنعيَّ
في كأسِ مراثيك.

**

يغتبطُ وجهُ دوستويفسكي في سعالِه.
ووجهُ الصّرصارِ في الشتاء النووي.
ووجه الزّعيم الشّرقيّ يخطبُ عن الشّرفةِ:
«....يا أبناء شعبِنا.. يا أبناء الكلب..!».

**

لولا خوفي
من أن أصيبَ
عزيمة الأمّةِ بالوهنِ
لقلتُ
إنّ العطّارَ
لا يُصلحُ
ما أفسده الضّئيلُ!

**

يسري النّعاسُ
كسعفة نخيلٍ
تحت مذبحةٍ وشيكة.

**

أشتهي الأقحوانَ.
أُغادرُ الأنثى البُوْرَ
إلى مُعجمي النّاقص.

**

لا أصدِّقُ
أنّني الابنُ الشّرعيّ
لهذيانِ الثّواليث.
للرّذاذِ الأصفر
من حكاياتكم
البرصاء.

شعر تحت القصف
شعر التغريبة السورية

أُصدِّقُ
أرحامَ الثّقوبِ السّوداء.
**
نجمُ حفلِ تأبينِكَ
قاتِلُكَ ــ قال السّوقيّ
وهو يقضمُ
شطيرةَ خبزٍ ملفوفةً بالخبز.
والدّمعةُ تسيل!
**
..وماذا بشأن
كلِّ تلك الحروب
التي أشعلها
التّجريدُ!
**
الكلمات الكبيرة
هي التي أُصيبتْ
بعدوى كثافة الوجود.
**
قد لا نشيخُ
لدى ارتشافِ القهوةِ
مع خمسينيّةٍ تتسقّطُ المديح
منذ أضاعتْ أسنانها
في طريقها إلى السّوقِ
لشراء قضيَّةٍ
تؤنسُ وسادةَ ليلٍ فاغِر.
**
عائلةُ الحريّة
تتعرّى من الأوصافِ.

عائلةُ القزَمِ
تشتري كثيرَ الثّيابِ والمدافئ.
**
نضحكُ لا حزناً ولا فَرَحا.
وهو يقولُ نظريَّتَه
عنِ المدافنِ الجماعيّة
في الفضاء الكَونيّ.
**
نساؤه متكوِّراتٌ
على الرفوف.
إلا ذات نهدين
تمدُّ يدَها النّحيلةَ
لتدفعَ فاتورةَ الغدِ.
بطحينٍ، وابنٍ مقتول.
**
تهدُّجُ آهتِكِ
حركة تصحيحية
للسّوَرِ المكسورة.
**
لم تكن أكثر غياباً
كما أنت الآن ــ
إلهيَ ــ
في سكوتكَ
على محرقة اللغة.
**
منذ أربعين حولاً

لم يقع النّسر عن رتبتِه.
بل خطّمت الجرّة الفخاريّة
تحت قدميه
وهو يعيد تثبيت العلم السّاقط
عن الجدار.
**
بقيتِ الورقة البيضاءُ
بيضاءَ
إلا من عطرِ امرأةٍ
تعثّرتْ في خطوةٍ واحدة.

بقي الصّباحُ النّديُّ
نديّاً
كرنّةِ هاتفٍ
من امرأةٍ
أخطأتْ رقم حبيبها.

بقي أنّ الوقتَ
فأرٌ عجوزٌ غارقٌ في الجبن.
والأصواتَ تبشّرُ
بقمصانٍ مزرّرة.
والاستهلالَ
بـ «الـ» التّعريف
حافلةٌ تقلُّ بشراً
متشابهين ــ تعطّلتْ
فوق جسرٍ مصدوع.
**

يوميات حلب

• فؤاد محمد فؤاد

مسيح.. سعد يكن

(1)

القتلة يعيشون طويلاً

..

يملكون الوقت ليسقوا النباتات في الحديقة المنزلية

ويذهبون قليلاً الى المسرح

وعند الضرورة.. يبدلون طقم الأسنان القديم

بواحد يصلح للقضم.

القتلة العجائز

تطرطق عظامهم حين يهرولون في الممشى البحري

خيط الدم

مازال يسح خلفهم ككلب أعرج

(2)

يفرم القتلة بسكين المطبخ قديد اللحم

ويلحسون أثر الملح المتبقي على الأصابع

الخشبُ الأبيض

فكرتي لوصف المطبخ

الملحُ

فكرة القاتل

لحفظ الذكريات.

9 شعر تحت القصف
شعر التغريبة السورية

(3)

الدميةُ مقطوعة الرأس
لزومُ الساحرةِ منكوشةِ الشعر
ومكنسةِ الارواح
..
لكن المرأة لا تقبل المجاز
وتصرخ هذه طفلتي
لم تكن دميةً ليبعج عينَها الولدُ الشرير
لم تكن على الرف لأرميها في القبو
..
كانتْ مقصوصةَ الشعر لتذهب الى المدرسة
وتلهو بحلقٍ من الخرز
..
أين صار حلق الخرز؟

كانتْ بخدٍ لأقرصه كلما خرجتْ من الحمام
وفمٍ بأسنان لبنية سقط منها ثلاثةٌ
..
لم تكن دميةً
لتمصَعَ رأسَها الشريرةُ
..
(ما دخْلُها بالشريرة ؟)
..
مادخْلُ روحي بكل هذا الحامض الذي يقطر عليها يا ربّي؟

..
طفلتي مقطوعةُ الرأس
لم تكن دميةً
لترمي يديها على اتساعهما
وتتباهى بالتنورة الكشكش
..
ثم ما فائدة اليدين على اتساعهما إن لم يكونا للضمّ؟
..
ليس من هولٍ يعْدُلُ جملةً كهذه:

« طفلةٌ مقطوعة الرأس».

(4)

الطريقُ منكوش من الوقوع على الركبتين
والأصوات عمياء تتخبط بالجدران
اليد التي كانت عصا تُرمى ايضاً كحبلٍ
والجثة في الطريق ليست لتلك العين
الواحدة على أعلى السطح

ثمة من سمح لها ان تسقط كيفما اتفق

هكذا

وأن تترك بحيراتٍ صغيرةً تعلق بأحذية الرياضة

(5)

مقبرةٌ هو ال face book
..
بشمعةٍ مرجّفة نقترب من صور أحبائنا
الضاحكين في الموت
وننحني لنبوس جباههم
ونشْكُلَ الآس في التراب المبلل
..
بعد يومين
سيجفُ الآسُ
وينمو العشب البري في صفحاتهم
ليطمس الاسماء
لكن الشمعة - ولو مرجّفة- سنمر بها
على صور أحباء آخرين
يضحكون في الموت

(6)

يموتون بصوت خافت
بأدنى ضجة ممكنة
اليوم الطلاب الصغار عبروا الممر على
رؤوس أصابعهم كي لا يقلقوا نومنا
وأغلقوا- بصوت مكتوم - خلفهم باب
الحياة الثقيل
الطلاب الصغار غداً لن يكونوا مادة
لقصيدة او خبرا في شريط يعبر سريعا
من اليسار الى اليمين

هم لن يشبعوا - حتى- موتاً

تقلّبات.. فرح بيرقدار

والذي مثلي
يخاف النومَ أحياناً
وأحياناً ينامُ
نومةَ الفهد إذا شاءَ
وإن شئتم كذئب البيد
عيناً دون عينٍ
ربما يعبر في خاطره
صَيْدٌ حرامْ.

* * *

والذي مثلي
يرى الله جميلاً
وبعيدا
وعلى سِدرته سبعةُ ألوانٍ تراهُ
إنها لامرأةٍ خالصةِ المعنى
ولا بدَّ لها
أن تأخذ المنفى من السجنِ
أو السجنَ من المنفى
لعلَّ الله لا ينأى
ولا يبقى وحيدا.
فأعيدوني إليها
أي أعيدوني إلى نفسي
ولو كانت سواها
وأعيدوني إلى المعنى
ولو كان سواهْ.

* * *

والذي مثلي، كما قيل، يحبُّ المستحيلْ
يُرهِفُ السمعَ لمن لا صوتَ لهْ
كي يَعُدَّ الميِّتينْ
ويعدَّ القتَلَهْ
فاقرؤوها
إقرؤوا من أوَّل الدِّينِ
إلى آخرِ دنيا
واتركوني
سأرى سجني بلا أغلالهِ
وأرى نفسي بلا أسمالها
وأراني
أتهجَّى السنبلةْ.

ألمانيا- لايجن برويخ 2001

مسيح.. لؤي كيالي

مازلتِ في عينيّ أجملْ

• عبد القادر الحصني

مازلتِ في عينيَّ أجملْ
يا حمصُ يا أمَّ الحجار السودِ
يا دار الذين تعمدوا بالحبِّ ،
والماء الذي أبقوه في جرن العمادةِ ،
مرّ قديس بهِ.
فأحاله نبعاً لماء الشعر سَلْسَلْ
ما زلتِ في عينيَّ أجملْ
لِبيوتِ أهلي ،
وهي أطلالٌ ،
بحيِّ (الخالديّةِ) حلمُها بالصبحِ ،
يرفعُه الأذانُ ،
و واثقٌ من أنّهمْ بعد الصلاة يسبّحون
اللّه،
ثمّ يلفّهمْ صمتٌ حليمٌ :
مايريد الليلُ من هذا الدمارِ ..
لعلّ هذا الليل يجهلْ ؟!
ما زلتِ في عينيَّ أجملْ
في الليلِ حين الطائراتُ تنامُ
حين القصفُ يعمى عنكِ
حين الياسمينُة يستفيضُ بياضُها :
أنا لايليق بيَ الحدادُ
رمى عليَّ من الغلائلِ ما يوشّحني الغبارُ
- أليس هذا من خراب بيوتِ حمصَ ؟
- بلى - سأرفلُ فيه ،
سوف أعدُّهُ ثوبَ الزفافِ ،
وسوف أحفظه غِطاء» للصلاةِ ،
فأستحمُّ ؛ وأرتدي طُهري ؛
ويطلبني الربيعُ ،وأستجيبُ :
- قبلتِ ؟
- أقبلُ ، بل رضيتُ ...
وسوف يأخذني
اشتهاءُ الشمس يانعةً إلى قمري ،
وأُحْبَلْ .

مازلتِ في عينيّ أجملْ
يا بابَ روحي .. يا بنتي ..
- أنا ليس لي بنتٌ
- كما تدرينَ
- مَنْ سيلمُّني ؟
الستون قاسيةٌ عليَّ ،
وأن ألوذَ بغير قلبك ،
بعد هذا العمرِ ،
أخجلْ.

متعَب

متعبٌ حدَّ أنّي يمرُّ النحاسُ ،
وليس يمرُّ بعينيَّ أصفرُهُ ،
لا يمرُّ بسمعي الرنينْ .
متعبٌ إنّ قلبي يدمر أحياءه القصفُ
أهلي يلمّون أشلاء أطفالهم،
واثقين بأنّ الذي يرثُ الأرضَ ليس الطغاةُ،
بل الياسمينْ
متعبٌ ... لا أقول: حزينْ.

حارتنا

طفلٌ على الشبّاكْ في باله غابةْ
ماذا يمرّ الآنْ في بال دبّابةْ
بنتٌ بباب الدارْ في بالها الحارةْ
ماذا يدور الآنْ في بال طيّارةْ
أمٌّ على الشُرفةْ
والصبحُ حبلُ غسيلْ
لمسته بالكفّينْ
وجدته ؛ بعدُ ؛ بَليلْ
نظرت إلى الشارعْ
(ع الأرض في معطفْ)
ما كان منذ قليلْ قد إنّه ضائعْ
لكنّ في الغرفةْ ولدٌ
هو الأعرفْ ما قال للماما
(المعطف بقلبو قتيلْ)

يا سامعين الصوتْ
قولوا لهذا الموتْ مَنْ يا ترى أقوى ؟
من ياترى أحلى؟
انظرْ وراء الباصْ طفلٌ بقلم رصاصْ
(عمْ يرسم القناصْ)

نحب القمر

وتقول أنت حزنت
أنت على سفرْ
وتقول : إنّك لا يليق بك السهرْ
ألأنّ طفليَّ الشهيد. ومحتَضَرْ ؟
والأم صامتة النحيب على حجرْ ؟
لأراكَ تجهلنا إذا القلبُ انكسرْ
وتظنّنا كالآخرين... بلا نظرْ
ونبيعُ ليلتَنا بليلاتٍ أُخَرْ
نحن الأُلى أحلى على المرّ الآمرْ
«لا تنكسفْ ضوّيْ علينا يا قمرْ»

كم من الزمن يلزم العالم ليرمم ما خلفته الحرب فيهم

أطفال سوريا يصعدون إلى السماء

شهادات أكبر مما يقوله فيلم وأوسع مما تسجله كاميرا

• حسان عزت

في فيلمه التسجيلي الحيّ « أطفال سوريا يصعدون إلى السماء»، لايلجأ المخرج وليد قوتلي إلى الخطاب السياسي ولا الإنشائي والأدبي، ولا حتى إلى السيناريو الفيلمي الجاهز، ليصنع فيلما تسجيليا واقعيا، عن أطفال سوريا زمن الحرب ليقدمه للعالم، بل يلجأ إلى الشهادة الواقعية الحية، لأطفال حقيقيين، اضطرتهم ظروف القتل والإبادة التي تمارسها عصابات بشار الأسد، إلى الهجرة والمنافي واللجوء إلى مخيمات في دول مجاورة ،لاتقيهم حرّ الصيف ،ولابرد الشتاء، ولاتحنو عليهم كأمهاتهم اللواتي قتلن أو شردتهن الحرب، رغم أن مخيمات اللاجئين السوريين في تركيا ،هي الأفضل حالا.

فيلم «أطفال سوريا يصعدون إلى السماء»، من إخراج و سيناريو وليد قوتلي، تصوير عمر بعيج ، مونتاج خلدون السليم، وهاني يعقوب، قامت قناة أورينت نيوز بعرضه مؤخرا.

قدّم الفيلم خلال عشرين دقيقة لوحات فنية ومسرحية، وشهادات من أطفال عاينوا الحرب وأصيبوا خلالها بعاهات لايمكن للزمن أن يمحوها، وكان لبعضهم وقفة ليحكوا من خلالها عن مشاهداتهم وأوجاعهم،وبالتالي فقد تعرض مخرج وكاتب الفيلم لمناماتهم، لأهمية الأحلام في رصد الأوجاع النفسية وما تتركه الحرب من صور في عقلهم الباطن.. ومن يتابع تفاصيل أحلام الأطفال، يفاجأ بمدى الخيال السريالي والواقعي ، والصور الصافعة التي خلّفتها جرائم بشار الأسد وعصاباته في عقول وأحلام أطفال سوريا .

من نار الحرب إلى المخيمات:

بداية نحن أمام طفلين يلعبان ويقلدان صوت انفجارالقنابل (بم ببم بوم)، ثم نرى صواريخ ومدفعية النظام تنهمرعلى المدن والقرى السورية، فتحيل الأرض والبيوت إلى دمار، ونرى الناس واطفالهم ممن بقوا أحياءا ينزحون للنجاة بأنفسهم . فتكون الجملة الأولى في الفيلم على لسان طفلة « الله لا يوفقك يا بشار الأسد!!»، وكأن صرخة الطفلة هي صرخة الشعب السوري كله !!وعلى وقع موسيقى موطني نشاهد الفارين والنازحين عن قراهم وبيوتهم ،شيوخا ونساء وأطفالا.ليضعنا الفيلم بعدها على مشارف (مخيم اللجوء في الريحانية)التركية .

شهادات واقعية :

يضعنا الفيلم أمام شهادات دامية لأطفال اصابتهم الحرب وويلاتها ،ونجوا من الموت بأعجوبة ،وهم يخضعون للعلاج في مشاف ميدانية خصصت لمعالجة النازحين إلى الأراضي التركية .طفلة السنوات الأربعة التي خرجت لتشتري كعكة فأصابهاالقناص، فاخترقت رصاصته الغادرة جسدها الطفل ..وحين تسأل من فعل لها هذا، تجيب بكلمات غير واضحة، فيكرر السؤال عليها، فيما تركز الكاميرا على تفاصيل وجهها.

ثم تنتقل الكاميرا إلى طفلة أخرى تخضع للعلاج، وتعاني من العزلة والوحدة وعدم الرغبة بالحياة، فنسمع صوت طبيب يشرح لنا حكايتها:»قصف النظام بيتهم ،فاستشهدت أمّها الحامل، وجدتها واثنين من أخوتها ،واصيبت هي بشظية افقدتها الحركة، وهي الآن في وضع نفسي يصعب علاجه» .

مات أهلي !!!

واللافت في الشهادات التي يسوقها لنا الفيلم ،أنها جميعا شهادات لأطفال سوريين من المناطق الشمالية مابين حماة والمعرة وجسر الشغور، واللاذقية، وشهادة وحيدة لصيدلاني تركي، هو الذي استقبلهم وسعى متطوعا لنجدتهم وقد تعلم بعض الكلمات العربية منهم في الريحانية ووصف لنا أحوالهم وما تعرضوا له من أهوال يصعب على البشر تحملها ،وحكى لنا بدموع وحرقة عن إحدى الأطفال التي أنجدها قائلا : «ظالم بشار وما في ظلم يعادل ظلمه على الأطفال ،وأنا ابعد المشاهد عن عيني ،ولا استطيع النوم ،واستحي من نفسي وأقول يا ألله ليش انا ماني قادر أروح لسوريا وشارك الناس واكون مع شعبها «. !!وتابع: «عمر البنت ستة سنوات،سألتها شلون وضعك الآن ،لا تحزني عمو ..بإذن الله ما رح يصيبك شيء ،لاتخافي !! قالت لي : ليش أخاف.. أمي وأبي وإخوتي وجديّ جميعهم ماتوا .. كل أهلي ماتوا وأنا بدي روح لسوريا واقرف راس بشار !!».

ويمضي الفيلم بنا إلى شهادات ثلاثة أطفال آخرين اصابتهم الطلقات والقنابل ،صبيتان وطفل ،وهم يروون قصة إصاباتهم ،الصبيتان مقعدتان والطفل انفجرت قذيفة بقربه،فاصابته بتشوهات أفقدته بصره، ليس هذا فحسب، فقد بترت يده أيضا..والملفت في شهادات هؤلاء الأطفال، تصميمهم على الحياة، والعودة إلى سوريا ليشهدوا محاكمة الجلاد ..

مشاهدات واقعيّة:

وعلى وقع موسيقى موطني ،ينقلنا الفيلم إلى مخيم الريحانية، ويضعنا أمام مجموعة من الأطفال الملوحين بأيديهم بمناديل ملونة رمزا للإحتفال بالحرية ،وهم يحاكون احتفالات أهاليهم الكبار، في الساحات أيام الجُمع ويهتفون كما هتف السارون في عراضات بابا عمروالبيّاضة الحمصية :»جنة جنة جنة ..والله يا وطنا ..ياوطن ياحبيّب ..يابو تراب الطيب ..حتى نارك جنة !!«، ثم ينقلنا إلى مشاهدات واقعية لأطفال آخرين في عمر الورود ،يحكون أمام الكاميرا عمّا تعرضوا له وعاشوه وشاهدوه ،اليتم الفقد، وماشاهدوه اثناء رحلة النزوح، وكيف اوقفهم عقيد على أحد الحواجز في الطريق إلى الحدود التركية، ورأى هوياتهم، بعد ذلك أمر بإحراق باصين، واشتعل النار في الأحراش على الحدود التركية، وروى أحد الأطفال كيف عاد بعض الرجال إلى البلد ليعاينوا بيوتهم ،وكان فيهم عمّه الذي اعتقله النظام الوحشي وعذبه ، وقد كسروا له رأسه فمات.

وتحدثنا طفلة أخرى عن ابن عمها الذي تخلف عن الجيش يوما واحدا ،وذهب ليلتحق بمعسكره فأخذه (امن النظام ولم يرجع منذ سنتين).وتحدثت طفلتان في الفيلم عن رحلة المعاناة واللجوء، والأهوال التي تعرضتا لها مع الأهل بين حماة وحلب، ليواجهوا بحواجز النظام في حلب ويعودوا إلى حماة فالمعرة فجسر الشغور إلى خربة الجوز مشيا على الأقدام، حتى استطاعوا النجاة بأنفسهم و الوصول إلى تركيا ، ولدى سؤال إحداهما عن حالها الآن وهل ينقصها شيء قالت: «ينقصني إخواي،أحدهما معتقل لدى النظام في السجن ،والآخر لا نعلم عنه شيئا» ..وأمام هذه المشاهدات لا تسرقنا الآلام والأوجاع التي يعكسها الأطفال عن معاناتهم وما تعرضوا له، بل تشدنا تعابير عيونهم، وحركات رؤوسهم وأيديهم وأصابعهم ،وأجسادهم التي تغلي وتكزّ عاكسة أحزانهم وقلقهم وشرودهم .

كوابيس وأحلام :

يلجأ الفيلم إلى طريقة ذكية ولافتة في تجارب ومعاناة هؤلاء الأطفال ،فيضعنا أمام احلامهم وما يشاهدونه فيها ،فيجيبون بكل براءة وصدق عما شاهدوه ،وما يحمله خيالهم من صور مخزنة، ومشاهد تفوق الواقعي في ماهيتها وصورها ..فمن طفلة ترى بشار على شكل غول يلاحقها وأهلها ليقتلهم وهم هاربون منه ،وطفلة تراه بقرة تأكل نصف جسد أخيها، إلى طفلة تراه يسرق بطتيها اللتين رباهما لها أهلها ، وأخرى ترى نفسها وقد سقطت في حفرة وجدت فيها بشار يمسك بها ويريد قتلها، فتصرخ وتستجير باخيها ليمسك يدها ويشدها خارج الحفرة، وطفلة أخرى ترى بشار قزما صغيرا جدا، يختبئ بين درفتي الخيمة وله ربطة عنق طويلة جدا،وتراه فيفاجأ بها و تسأله :»أنت من اين جايبينك ؟وتدعوا عليه :الله لا يبريه (يشفيه)» ،وطفل يرى الطائرات وهي تهاجم بيت جده. وفي عودة إلى بقية مناماتهم ،نجد أكثرهم وقد رأى وشاهد سقوط بشار ونظامه وعادوا يحتفلون في سوريا بإقامة الأعراس والمظاهرات في الساحات العامة .

تسليات وألعاب :

ولا تفوت المخرج وليد قوتلي في مخيم اللجوء في الريحانية ،ألعاب وتسليات الأطفال، وقد شغلت أكثر من نصف الفيلم ،فمن اللعب بالكرة بين الأطفال الأكبر سنا، إلى حلقات الرسم الحيوية التي تفجر طاقات ومواهب أطفال عاينوا الحرب وخبروا عذاباتها، وحملوا في أخيلتهم وأرواحهم صورها المقلقة المعذبة ،فانعكست مشاهدها في رسومهم وألوانهم التي غلب عليها اللون الأحمر، أطفال رسموا طائرات تغير ،بيوت مدمرة، قتلى ومشردون ،دبابات وجنود ،أعلام فوق ثكنات ،مظاهرات وأعراس دم ،وسماء غاضبة برمادها ، وقد انهمكوا يخطون الأشكال، ويلونون لينعكس الرمادي والداكن المختلط بألوانهم ،وقد تخضبت اصابعهم وملابسهم باللون، ولفتنا فيهم طفل صغير انهمك بكل روحه ووجدانه بخلط الألوان ولطشها فوق القماش بعفوية يعجز عنها فنانون كبار، ثم يرفع أصابعه الطفلة، إشارة على إنجاز رسمه، وما قام به.

لنشاهد بعدها حركة جماعية للبنات وهن يتسابقن إلى لوحة جدارية معلقة على الحائط فيقمن بطباعة اكفهن المخضبة باللون الأحمر عليها وقد أداروا ظهورهم لنا ،وكأن الحائط هو جدران العالم الصامت كله !! ثم تنتقل بنا الكاميرا إلى تحلق بين البنات واللعب، في محاورة تعيدنا إلى ألعاب، بعد ذلك نشهد عرض أزياء لعدد من البنات، وقد ارتدين الصحف، في حركة فاضحة لدور الإعلام وصمت العالم عن المجازر، وجرائم الحرب التي يرتكبها النظام ومن يدعمونه من قوى محلية وعالمية، يقدم الفيلم ذلك على خلفية صرخات حرية حرية، نرى ي تشكيلات فردية وجماعية أشبه بالطيور والفراشات.

وفي مشهد آخر نرى خيوطا وحبالا، تلتف على اجساد البنات، وهن يتحركن حركة دائرية، تتصاعد حتى يقعن معا، وقد قيدت الحبال اجسادهن!! فشكل المشهد لوحة تعبيرية، تبعها مشهد لعبة الأقنعة، التي عكست الفراغ والجمود واللامبالاة ،وصمت عالم الكبار عما يجري لسوريا وأطفالها ، وفي مشاهد المسرح وعرض الأزياء وطبع الأكف الملطخة على الحائط كنا أمام مشاهد حركية تعبيرية ،اعتمدت اللعب الجماعي بتشكيل الأجساد وإيحائية المشهد، وتأثيره الحسي البصري على من يشاهده وكأنه شريك ضالع فيه .ويبلغ الفيلم ذروته بمشهد لمجموعة

اطفال وهم يتحركون معا في المكان فيتقابلون ويدورون بحركة عشوائية ولائبة . ويقوم كل منهم بمكالمة غاضبة ومحتجة مع أحد ما في العالم ،بواسطة فردات صنادلهم وشحاطاتهم وأحذيتهم التي يضعونها على آذانهم :»ألو يا عالم ..الو يا أوربا ..الو ياروسيا ..يا امريكا ..يا إيران ..يا ام يا عالم ..ألو يابوتين انتم تقتلوننا ،بشار قتلنا وأحرق بيوتنا ،الم تشاهدوا ما فعل بنا الجلاد بشار .. ياعرب،يامسلمين ياعالم يا عالم يا أمم متحدة وينكن ..ألو ألو ألو» ...

وفي مشهد آخر نرى مجموعة أطفال يدهنون افواههم بلون الدم ،ثم وعلى خلفية أغنية يادامي العينين والشفتين إن الليل زائل نراهم يدهنون خدودهم ، ثم يدهنون وجوههم كلها بلون الدم ..

ويذهب بنا الفيلم إلى إغنية فيروز:»زغيرة وما بتعرف بلعب الكبار ..كانت عم تلعب أخذها النسر وطار ..بحرب الكبار شو ذنب الطفولة ..شو ذنب الضحكات الخجولة ..قولي لي قولي لي ..يا زغيره»..ثم تنقلنا الكاميرا إلى مجزرة الكيماوي يوم2013/8/21 عاكسة صورا لأطفال وكبار في أكفانهم ، وقد ملؤوا الارض ..تعود الكاميرا إلى الصواريخ التي تنهمر على البشر والشجر وكل شيء حي ،ونرى طفلة من اطفال الكيماوي مروعة تصرخ «أنا ما لي ميته، انا عايشة» ،وصوت الطبيب او المسعف يطمئنها :»انت لست ميتة انت عايشة عايشة» ..

كاميرا فوق الكلام

حقا إن اطفال سوريا يصعدون إلى السماء،إن ماقدمه ورصده الفيلم في مشاهده المقننة والمحكمة، وفي سيناريوحركته ومشاهده ،

بابتكارات ومعلمية المخرج السوري وليد قوتلي ،يشكل نقلة فنية ونوعية على صعيد الرؤية والإخراج ،في التغلب على الصعاب والظروف المعيقة، وضعف التمويل المادي وشحه ،لفنون الثورة التي لا تقل في أهميتها عن السلاح والرصاص ،إن لم تكن هي الأهم لأنها مراة التحضر الباقية على الزمان .وهنا يؤكد رجال ومبدعون على أن سوريا هي الحضارة والفن ،والكفاءات العظمى، التي يمكن أن تقدم إبداعها وتحضرها في أسوا الظروف وأصعب اللحظات ،وفي ظل حصار مادي خانق للمواهب والإمكانات ،وفي مناخ إعلامي احتكاري يريد محاصرة الثورة السورية وحراكها السلمي ،ويصورها على أنها حرب أهلية أو طائفية ،او هي حرب بين فئات متطرفة دينيا ، وبين نظام علماني يحارب تلك الفئات ،والذي يتابع الفيلم والأطفال الصغار الذين شكلوا مادته، يدرك غنى وعراقة الشعب السوري، ومشروعية ثورته، من أجل الكرامة والحرية ،تجاه نظام مافيوي مجرم خارج عن كل القيم والأعراف الإنسانية والمدنية .

أطفال الفيلم هم أبطال الحياة السورية ومستقبلها ،هم إيمانها الأكيد بحتمية انتصارها ،هم لايمثلون ولم يتعلموا التمثيل ،هم يواجهون الكاميرا بصدقهم وعفويتهم وأجنحتهم الغضة التي حاول النظام قتلها، ونجت منه بأعجوبة، النظام الذي يستهدف كل شعب سوريا، ولم يوفر أطفالها من القتل والكيماوي، في محاولة منه لحرق المستقبل والبلد ..ولنا أن نتصور كم من الساعات والعمل المضني والسهر والحلم الذي عاشه الفنان وليد قوتلي، ومن رافقوه في رحلة الفيلم ،فأبدع فيلما، هو بداية عظيمة لرحلة ألف ميل ،في الحرية والوجود ،والفن الخالق، وجعلنا أمام فن الشهادة الحية وقد أصبحت وثيقة من أعظم واهم وثائق الثورة وأسلحتها في إدانة الجلاد القاتل، والقوى المتواطئة معه، على دم شعبنا ،واطفال سوريا ومستقبلها ..فيلم نعم.. مرآة لسوريا عظيمة تنهض من رمادها وتبشر بأطفال المعجزات والمواهب الكبيرة ..اطفال سوريا يصعدون إلى السماء إبداع فوق الكلام ..

خف سندريلا: ثنائية الفراء والزجاج

• صخر حاج حسين

مع أكثر من 340 تنويعاً شفاهياً لحكاية سندريلا، من الصعوبة بمكان أن نتجاهل الضجيج الذي أثاره خطأ في الترجمة في الحكاية بحيث تحول الحذاء المصنوع من الفراء vair بالفرنسية إلى زجاج verre في النسخة التي دونها تشارلز بيرول . في نسخ أخرى من الحكاية، نجد الخفّ صنع من جلد ذهبي، ومعادن ثمينة، وساتان، وحرير وفضة ومخمل. وإن تأملنا في هذا الخطأ على أنه عابر فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن نص بيرول كان أول سرد مكتوب عن القصة ينشر لجمهور مسيحي أرستقراطي مثقف. فقد أقصيت حكايا الجنيات بوصفها تقليداً شفاهياً سوقياً للطبقة الفلاحية قبل أن ينشر بيرول ومشايعوه كتبهم في الصالونات الأدبية الباريسية في أواخر القرن السابع عشر . لقد كان « الفلاحون الأميون الذي يتحلقون حول المواقد في بيوتهم....والتجار المسافرون في الخانات والنزلات إضافة إلى الكهنة، يسردونها باللهجة العامية للوصول إلى الفلاحين. « لعب بيرول دوراً هاماً سواء في النهوض بحكايا الجنيات الأدبية، أو في التحويل الثقافي لها. فقد بدل وعدل الحكايات لجذب طبقة النبلاء أو المدينيين الفرنسيين و جعلها تروق للجمهور الأرستقراطي والبورجوازي. فالفراء كان مادة تقتصر على أثرياء المجتمع ونخبته في أوروبا في القرن السابع عشر. وهو يشير إلى تراتبية اجتماعية محددة، سيما إن علمنا أن القرن السابع عشر فرض قوانين الإنفاق (تلك التي تتعلق باللباس) لمنع البشر من ارتداءه. أما أن ترتديه فتاة من العامة فقد كانت فكرة هدّامة على الصعيد الاجتماعي. ولو أن بيرول جعل من حذاء سندريلا فراءً، لما كانت الطبقات المتسيدة قبلت الحكاية. فللفراء، مسحات من استعارات الخرافة « المتوحشة»، والوثنية، وعدم النقاء، والإثم التي لن تناسب الأذواق الرفيعة أو معتقدات الجمهور المسيحي الذي توجه إليه بيرول.

أقامت حكايات الأخوين غريم مقارنة بين شخصية سندريلا و« الطبيعة» (أي بالنزعات الحيوانية). فهي تصف سلوكها مثل «السنجاب»:

« تسلقت الأغصان مثل سنجاب. .» و لن يكون غريبا والحال كذلك إن نحن علمنا أن كلمة vair الفرنسية تعني أيضاً فراء السنجاب الرمادي. وهنا يمكن لنا أن نأخذ بعين الاعتبار فكرة وصف الأخوين غريم للسنجاب على أنها صدى غير متعمد لخطأ الترجمة الحاصل بين كلمتي vair- verre و/أو أنها إيحاء مشفر لإمكانية هذا الخطأ.

حذاء سندريلا رمز لاستقلالها ومفتاح دخولها إلى الأنوثة. فهو «يعرّفها» كما أنه رمز شخصيتها. باختصار هو تجسيد لها. وإذا كان الحذاء صنع من vair أي من فراء السنجاب الرمادي، فإن سندريلا تشبه السنجاب. وهنا يمكن القول إن الفراء يشير إلى الجانب البدائي فينا، أي «شبيهنا الحيواني» أو « النسخة الحيوانية منا». وماهذا الشبيه سوى الجانب غير المتطور من الذات» .

حذاء سندريلا، سواء صنع من زجاج، أم شُغِل من فراء، هو رمز أدبي فاعل. ويمكن النظر إليه كتجسيد لجوهر كينونة ووجود الشخصية. تقول ماري لوي فون فرانز:

« الحذاء رمز القوة، ويمثل وجهة نظرنا فيما يتصل بالواقع، ومقدار ثبات أقدامنا على الأرض، وحجم دعم الأرض لنا، وهذا ما يعطينا حجم قوتنا »

إن صادقنا على أن الحذاء بوصفه رمزاً للقوة كما تقول فرانز، فيجب القول إنه انعكاس لشخصية المرء. فإن كان زجاجا، فهو هش وقابل للكسر، وهذا ينسحب على صاحبته. و هنا فقط يمكن تأويل خيار بيرول في تزيين قدم سندريلا بحذاء من زجاج على

أنه فعل من أفعال السادية وكراهية النساء. وإن تشظى الحذاء وانكسر، فستضطر سندريلا إلى الوقوف على كسر الزجاج التي ستوجعها وتشوه قدميها، ناهيك عن أن دمج سندريلا مع هشاشة الزجاج يجرد شخصيتها من رمز القوة الحيوانية التي تتجسد بالفراء. وهنا لابد من التنويه أن الحذاء الزجاجي في فيلم « سندريلا» الذي أنتجه والت ديزني الذي اقتبس من نسخة بيرول، يهشم سندريلا ويضعها موضع الخطر.

تم تأويل الحذاء أيضاً بوصفه رمزاً للأنوثة، سيما مهبل المرأة. فقد قدم فرويد أحذية النساء كرموز مهبلية في كتاباته عن النزعة الفيتشية.

ومن هنا أولت جوان غولد حذاء سندريلا بوصفه رمزاً مهبلياً مع إحالة خاصة لجدال «الزجاج» مقابل «الفراء».

تقول غولد:»الحذاء الزجاجي هو تجسيد لعذرية سندريلا وغشاء بكارتها والذي يستحيل ترقيعه عندما يثقب «. فكرتها تردد صدى الملاحظة التي أطلقها بول ديلاروا:» الزجاج رمز نموذجي للعذرية «.

إن نحن أوْلنا حذاء سندريلا بوصفه مرجعاً صريحاً لجنسانيتها (سيما أعضاءها التناسلية)، عندها سيشير الزجاج وهو مادة ناعمة، إلى غياب شعر العانة. ومن هنا قدم بيرول سندريلا كأنثى ما قبل مرحلة البلوغ، أو أنها أزالت شعر عانتها. إن غياب الشعر أو إزالته يقترن عادة بالتجرد من القوة، وما على المرء إلا أن يعود إلى حكاية « شمشون» التي وردت في الكتاب المقدس ليدرك هذه الإحالة. لقد كان الهدف من سندريلا التي ابتكرها بيرول، إمتاع الجمهور المسيحي المدرك أساساً لهذه الإشارة. هذا الملمح من «صناعة» بيرول لشخصية سندريلا، يمنح الحكاية أيضاً مسحات من كراهية النساء (وهذا ما كان شائعاً في المجتمعات التي تحاول أن تبقي على الأنثى في مرحلة الطفولة). وبصورة عكسية، يتضمن الحذاء المصنوع من الفراء إشارة إلى امرأة ناضجة ذات سلطان. فغالباً ما يرمز الفراء إلى شعر العانة، وكما قال فرويد:» تم الجدال ولوقت طويل حول الفراء بوصفه (رمزا أو استعارة)، وهو تثبيت لرؤية « مشهد» شعر العانة» .

إن حضور الفراء في حذاء سندريلا يشير إلى أن أعضاؤها التناسلية، زُوِّدت بشعر العانة الذي يتوقع المرء أن يراه دائماً عند النساء البالغات.

وتؤكد لورا مولين الأفكار آنفة الذكر عندما تقول إن تفضيل بيرول لحذاء صنع من زجاج على آخر حيك من فراء، ماهو سوى إشارة لنزعة الكراهية الجلية للنساء، و»فوبيا الفرج» التي يعاني منها. فهي تقول:» من الواضح أن الخوف من الفراء هو الخوف من أعضاء المرأة التناسلية .» تتفق مولين مع تأكيد مارينا وونر في كتابها من البهيمة إلى الشقراء في أن خيار بيرول الذي تجلى في استبداله حذاء سندريلا المحاك من الفراء، بحذاء صنع من زجاج (أكان ذلك خطأ غير مقصود في الترجمة، أو استبدالاً متعمداً) «طهّر» الحكاية من خلال إقصاء الإيحاءات البدئية أو الحيوانية لصالح حذاء زجاجي مجدب، وهذا ماجعل مولين تساويه بـ»أنبوب اختبار» .

خاتمة

يستحضر الفراء والزجاج في الأذهان، ثنائية التصنيف النيتشوي، أبوللو مقابل ديونيس، في كتابه «مولد التراجيديا». كما يستدعي حذاء الفراء بسماته الحيوانية والبهيمية إلى الأذهان الطاقة البدئية والغريزية المترادفة مع الاحتفاءات الديونيسية «للعالم الطبيعي». فسمات الحذاء الحسية والإيروسية تجعل منه رمزاً «للمتعة» وتمنح حذاء الفراء سمات ديونيسية. وبصورة مقابلة يأتي الحذاء الزجاجي إلى الأذهان بالعالم الأبوللوني. إن صفة الصلابة لبنية الحذاء الزجاجي تتحدث عن حدود مُشَكَّلة، وأما صفاتها الانعكاسية (والتي تتمثلها في المرآة) فهي احتفاء بالمظهر و الوهم. إن وصف مولين للحذاء المصنوع من زجاج بوصفه «أنبوب اختبار» يحدده بهذه المواصفات كما أنه يستحضر «العقلانية العلمية» الأوبوللونية، تقول مولين:

تجسد القدم العارية المتع الحسية لوطء العنب، الذي يتحول إلى خمر، وهو القوة الرمزية للقدرة الديونيسية وبالتالي يمكن القول إن ديونيس هو إله الأقدام العارية..... أما من المنظور الأبوللوني فيوفر الحذاء البنية، والحماية، والحدود للقدم، ويغلق الأطراف السفلى في وجه تربة الأرض المتخمة بالفضلات والمخلفات، أي يشكل البنية الصلبة وبالتالي النظام. في هذه الحسابات، تنتمي الأقدام العارية إلى التطرف الديونيسي في حين ينتمي الحذاء إلى التقييد الأبوللوني. «

أخيرا يمكن القول إن كلا الحذائين الزجاج والفراء خياران معقولان لحكاية سندريلا وتستطيع ارتداء أي منهما، مع فارق بسيط، فإن جسدا مقولة « الزجاج وليس الفراء» سينتفي الخيار أمامها وستغرق في دور الضحية، أما إن جسدا «الزجاج أو الفراء» فستكون صاحبة إرادة حرة، لكن هذه حكاية أخرى.

ورقة عمل

مشروع الصندوق الوطني للاعمار سورية

• د. حسين مرهج العماش

نتيجة المعاناة التي واجهتها الثورة، والمحنة التي يتعرض لها الشعب السوري، على مدى عامين من النضال، وكذلك بسبب عدم وفاء العديد من الدول بوعودها في الدعم المالي والعسكري للشعب السوري، فقد اقر التجمع الوطني الديمقراطي السوري (التجمع) في ايلول 2013 اقتراح ا(الذي قدمته كمقترح باسمي) حداث صندوق مالي لدعم نشاط الثورة في الجمهورية العربية السورية باسم «الصندوق الوطني لإعمار سورية». ويعرف لاحقا باسم الصندوق، لتوفير الموارد المالية المساندة لانتصار الثورة.

الأهداف:

ويهدف التجمع من وراء ذلك إلى تعبئة وتنسيق تخصيص الموارد المالية في شكل تبرعات، وقروض، وهبات، وسندات الخزانة، وأي شكل آخر من أشكال التمويل. وسيتم استخدام هذه الاموال في كل الانشطة التي تعزز قوة الصورة وصمود الشعب السوري.

ويأتي إنشاء هذا الصندوق ترجمة لخطة العمل الوطني: الاعمار والنهوض في سورية الجديدة، التي عرضت على قيادة التجمع. ولتحقيق هذا الهدف فان الصندوق يقوم على تنسيق أنشطته كجزء من الحكومة الانتقالية، لاحقا، بصفتها القيم المؤسسي عليه. وسيشكل وعاءا مؤسسيا لتجميع المساهمات المالية بقصد تمويل الأنشطة الواردة في قرار إحداثه ضمن إطار خطة الاعمار والنهوض.

مصادر التمويل:

نتيجة المعاناة السابقة فان إستراتيجية التمويل لن تقوم على مصدر واحد، وإنما عدة مصادر متنوعة تسمح بتعبئة تلك الموارد بكل الخيارات القانونية والمالية المتاحة. وفيما يلي أهم المصادر التي يسعى الصندوق للاغتراف منها:

المنح والهبات من الدول الشقيقة والصديقة.

المنح والإعانات من المنظمات الأهلية والدولية والأفراد.

القروض والتسهيلات من الدول والمنظمات والمؤسسات الخاصة والعامة.

حصيلة إصدار سندات الدين والصكوك العادية والإسلامية.

تبرعات المغتربين السوريين.

حصيلة استرجاع الأموال المجمدة للدولة والنظام ورموزه كافة خارج سورية.

مصادر أبواب المالية العامة والمرافق في المناطق السورية المحررة.

أي مصادر أخرى بمعرفة التجمع.

ويوضح الجدول رقم 1 تقديرات وتوزيع طبيعة هذه المصادر والجهات المانحة لها هذه المبالغ. ويظهر أن هنالك نحو 3900 مليون دولار يمكن تحصيلها في الجولة الأولى من حملة التمويل، بينما العجز (أو رأس المال غير المسدد) سيكون بحدود 1100 مليون دولار.

رأسمال الصندوق:

سيحدث هذا الصندوق على شكل هيئة اعتبارية عامة سورية تعمل في ظرف استثنائي وصعب. وعليه فان رأس المال (المصرح به) بداية للصندوق هو مبلغ /5/ مليار دولار أمريكي. وقد لايسدد هذا المبلغ كله دفعة واحدة عندئذ سيكون بمثابة رأس المال المكتتب به من قبل المانحين، حتى يكتمل سداد هذا المبلغ من كافة المصادر في فترة زمنية يتفق عليها. وبما إن الاحتياجات الفعلية السورية في الميدان أعلى من هذا المبلغ فان أي دفعات جديدة فوق هذا المصرح به ستعامل على أنها زيادة برأسمال الصندوق.

ويتوقع أن تشكل المصادر الذاتية ومن الدول العربية والمغتربين السوريين الجزء الأكبر من موارد هذا الصندوق، أي نحو 70%، بينما المصادر من مجموعة أصدقاء سورية والدول الأخرى فيتوقع أن تكون بحدود 30% من رأسمال الصندوق عند التأسيس.. كما يوضح الجدول رقم 1.

وبما أن هذا الصندوق جزء من خطة العمل الوطني فانه من المعرف أن رأسمال الصندوق سيكون اقل بكثير من الاحتياجات الفعلية بنحو /100/ مليار دولار، على مدى فترة انتقالية تمتد لثلاث سنوات، ولربما ابعد من ذلك. إلا أن هذا المبلغ سيكون ممكنا فقط عندما تتشكل حكومة للثورة على كامل الأرض السورية، وفي ظل استقرار امني وسياسي معقول.

الصندوق الوطني لإعمار سورية

جدول 1- مصادر التمويل المخططة لرأس المال عند التأسيس

مليون دولار أمريكي

مصدر التمويل/ نوع التمويل	منحة/ هبة	قرض سيادي	سندات دين	صكوك إسلامية	المغتربين والأفراد	أموال النظام المجمدة	أخرى	إجمالي مصادر التمويل
السعودية	300	300						600
قطر	100	100						200
الإمارات	100	100						200
الكويت	100	100						200
تركيا	50	200						250
فرنسا	50	100						150
بريطانيا	50	50						100
الولايات المتحدة	50	100						150
ألمانيا	100	200						300
دول أخرى	100	100						200
سوق الخليج المالية			100					100
الأسواق الأمريكية			100					100
مؤسسات التمويل الدولية	50	50						100
المؤسسات الخيرية وغيرها				150				150
المغتربين السوريين					150			150
أموال النظام المجمدة						500		500
المناطق المحررة							200	200
استثمارات خاصة وعامة			150				100	250
المجموع	**1,050**	**1,400**	**350**	**150**	**150**	**500**	**300**	**3,900**
العجز/ قيد التغطية								1,100
إجمالي أنواع التمويل	**1,050**	**1,400**	**350**	**150**	**150**	**500**	**300**	**5,000**

الانشطة:

من اهم انشطة الصندوق العامة هو دعم الجهد العام للثورة السوري بما فيه تعزيز قدرة قوى الثورة المسلحة على حماية المدنيين وبناء قدرات الحكومة الانتقالية، وزيادة حجم الإغاثة لتحسين ظروف معيشة النازحين، والبدء بالاعمار للمساكن والبنية التحتية المدمرة، واستعادة النشاط الاقتصادي العام.

من أجل تحقيق أغراض الصندوق بصورة عملية فانه يمكن تصنيف الانفاق ضمن ابواب-ميزانية محددة للصرف على الشكل التالي (كما في الجدول 2):

إنفاق لحماية الثورة والمدنيين: وهذا الإنفاق لتوفير البيئة المساندة لقوى الثورة في عمليات حماية المواطنين السوريين تجاه آلة التدمير المتوحشة للنظام الاسدي. ويتوقع أن يحظى هذا الباب بنحو 55% من الإنفاق.

الاعمار: لإنفاق على عمليات إعادة اعمار البنية التحتية والمرافق العامة في المناطق المحررة. ويتوقع أن يخصص لهذا الباب نحو 15% من الإنفاق.

الإغاثة: وتشمل كل جهود الإغاثة ومساعدة الأسر السورية في مقابلة احتياجات الظروف الطارئة في السكن والإعاشة. وهو بند إنفاق مهم في المرحلة المبكرة ويتوقع أن يخصص له نحو 17% أيضا. أما البابين الرابع والخامس التاليين فسوف يخصص 7% لكل منهما.

النهوض الاقتصادي: وهذا موجه إلى تنشيط الحياة الاقتصادية في المناطق المحررة من سورية بما يساعد على تعزيز وانجاح الثورة.

الميزانية العامة: وهو يشمل النفقات الأساسية المتاحة وفق تبويب الميزانية العامة للدولة، وأية أنشطة أخرى ذات صلة بأهداف الثورة.

الصندوق الوطني لإعمار سورية

جدول 2- أبواب الإنفاق المخططة

مليون دولار أمريكي

أ- توزيع مبلغ الإنفاق حسب الأبواب (ماعدا مبلغ العجز)

رقم الباب	بنود الإنفاق	موارد مرنة	موارد مقيدة	المجموع	نسب الأبواب
الباب الأول	حماية المدنيين والثورة	1,440	675	2,115	54%
الباب الثاني	إعادة الاعمار	360	225	585	15%
الباب الثالث	الإغاثة	360	300	660	17%
الباب الرابع	النهوض الاقتصادي	120	150	270	7%
الباب الخامس	الميزانية العامة	120	150	270	7%
	مجموع المدفوع	2,400	1,500	3,900	100%
	العجز/ قيد التغطية			1,100	
	إجمالي أنواع التمويل			5,000	

ب- التوزيع النسبي للإنفاق حسب الأبواب

رقم الباب	باب الإنفاق	موارد مرنة	موارد مقيدة	نسب الأبواب	النسبة العامة
الباب الأول	حماية المدنيين والثورة	60%	45%	40%	
الباب الثاني	إعادة الاعمار	15%	15%	22%	
الباب الثالث	الإغاثة	15%	20%	21%	
الباب الرابع	النهوض الاقتصادي	5%	10%	10%	
الباب الخامس	الميزانية العامة	5%	10%	7%	
	التوزيع النسبي للمدفوع	100%	100%	100%	
	المكتتب به	2,400	1,500	3,900	78%
	العجز/ قيد التغطية			1,100	22%
	إجمالي أنواع التمويل			5,000	100%

ووفقا للبيانات المالية الموضحة في الجدول 1 فانه يوجد عجز مقدر بنحو 22% من رأسمال الصندوق، أي نحو 1100 مليون دولار. وسيتم تعديل التوزيع النسبي بين هذه الأبواب بناء على التدفقات النقدية القادمة، وفيما إذا كانت هذه التدفقات حرة أو مقيدة. ولم تتضمن خطة الإنفاق تفاصيل تتجاوز مضمون أبواب الإنفاق الخمسة لان ذلك سيخضع لمناقشة ميدانية مع الجهات المستفيدة عند وضع البرامج.

مقر الصندوق:

نظرا لوجود المعارضة في الاغتراب والشتات فانه من المنطقي أن يكون مقر الصندوق في تركيا كمقر مؤقت قريب من مقر قيادة التجمع. وسينتقل مقر الصندوق الي أي جزء من سورية المحررة، بناء على قرار من قيادة التجمع. أما مقره النهائي فسيكون في دمشق العاصمة الأبدية لسورية الجديدة.

الطبيعة القانونية:

انسجاما مع طبيعة الصندوق وإغراضه العامة وطبيعة التمويل المنتظر، فانه سيعتبر هيئة عامة سورية ذات طابع إداري، تتمتع بالشخصية الاعتبارية والاستقلال المالي والإداري، ويرتبط بالتجمع في مجال التعبئة ووضع الأولويات والسياسات العامة، ولاحقا بأية هيئة سيادية ستنشأ في سورية الجديدة. وسيتم تسجيله إداريا في تركيا (اوف-شور) لتمكينه من أداء مهامه بسهوله لأنه بمثابة «خزينة» الثورة. ويصفى وضعه القانوني عند تشكيل حكومة وطنية دائمة لتحل محله وزارة المالية.

المبادئ العامة:

بناء على الممارسات الرشيدة لكيفية إنفاق هذه الأموال العامة القادمة من الجهات المانحة المتعددة لتحقيق أغراضه فان الصندوق عليه الالتزام بالمبادئ التالية:

سوف يتبع السياسة العامة للتجمع ولوائح الإدارة التنفيذية في تعبئة الأموال من جهة، وعلى كيفية تنفيذ برامج الإنفاق من جهة أخرى.

ان التمويل الاستراتيجي بالمرن سيمكن الصندوق من التوزيع بين الأبواب بيسر مالم تكن مورد مقيدة بمناطق جغرافية محددة أو بأنشطة قطاعية منتقاة.

ان تلتزم الإدارة التنفيذية للصندوق بالمعايير الدولية والممارسات الجيدة في مجالات لإدارة المالية، والمشتريات، والتوزيع الجغرافي والإنساني، والحكم الرشيد، والاستدامة البيئية، والمساواة بين الجنسين.

التركيز على بناء القدرات الذاتية للصندوق، واحترام مبادئ العدالة الاجتماعية وتعزيز خدمة المجتمعات المحلية، والوزارات والإدارات المحلية، والمؤسسات الخاصة، والمنظمات غير الحكومية، وغير ذلك.

الإصرار على الحكم الرشيد لضمان مشاركة مختلف مستويات المجتمع المدني، والقطاع الخاص، والمغتربين، وشركاء التنمية، والشفافية والمساءلة

الالتزام بسرعة الاستجابة في التنفيذ وادارة المخاطر لضمان استفادة الفئات المستهدفة من خدمات الصندوق.

الحاكمية والإدارة:

سيتم إدارة الصندوق بصورة منهجية من قبل مجلس إدارة إشرافي بوجود إدارة مهنية تنفيذية للصندوق كما يلي:

أولا- مجلس الإدارة:

يشكل مجلس إدارة للصندوق من 11 عضوا، منهم 6 أعضاء يسميهم التجمع، وخمسة أعضاء يمثلون الدول والجهات الممولة والمانحة.

يكون رئيس مجلس إدارة الصندوق هو رئيس التجمع، أو رئيس الحكومة الانتقالية، بحكم منصبه.

يعقد مجلس الإدارة اجتماعا دوريا في مطلع كل شهر، أو كلما دعت الحاجة. ويوضع نظام خاص لعمل مجلس الإدارة ينظم أعماله ومسؤولياته.

ثانيا- الإدارة التنفيذية المباشرة:

يعين مجلس الإدارة رئيسا تنفيذا للصندوق من الخبرات الوطنية، ويكون عضوا في مجلس الإدارة بحكم وظيفته.

يدير رئيس الصندوق العمليات والأنشطة الواردة وفق قرار الإحداث والأنظمة المطبقة.

يضع رئيس الصندوق النظام الأساسي ونظام العمليات واللوائح المالية والإدارية، وتعتمد بقرار من مجلس الإدارة، ويعتبر

رئيس الصندوق الشخص المسئول أمام مجلس الإدارة عن أعمال الصندوق.

يقدم رئيس الصندوق تقارير انجاز ومتابعة دورية كل شهر، وكل ثلاثة أشهر، وبنهاية كل عام.

ثالثا- المنهاج الاسترشادي:

ستقوم الإدارة التنفيذية للصندوق بانتهاج خطوات مهنية استرشادية في تنفيذ مهامها أهمها مايلي:

التأكد من أن التوجه الاستراتيجي للصندوق يسترشد بمبادئ الثورة في التحرير والإعمار والنهوض، وعلى النحو الوارد في خطة العمل الوطني.

إجراء مناقشات وتعديلات منتظمة حول التوجه الاستراتيجي بحسب الأولويات.

وضع المعايير اللازمة للمشاريع والبرامج المعروضة للتمويل وفق أبواب الإنفاق وحسب الأولويات.

ان الموافقة على التمويل وتعديله ورفضه تخضع لمراجعة مهنية وفق مبدأ العمل الاستثنائي.

الاستمرار بإعداد التقارير المالية والمراجعة بما يعزز الشفافية أمام الجهات المشرفة والممولة.

الاعتناء بتنظيم فرق التقييم والمراجعة من داخل وخارج الصندوق او حسب رؤية حملة الأسهم لحماية أموال الصندوق ومهامه.

رابعا- مبادئ العمليات للتنفيذية:

الشكل البياني رقم 1 اتجاهات حركة الأموال والإنفاق التي تحكم تدفقات المانحين ودور الصندوق ودور الوكالات المنفذة.

ستقوم منهجية الصندوق على اعتماد مبدأ الوكالة المنفذة للمشاريع والبرامج، حسب الإمكانية، في حالة كانت الاستفادة موزعة إلى أكثر من جهة أو شريحة أو منطقة.

إن تقييم ومتابعة قرارات تمويل البرامج والمشاريع هي عمل داخلي للصندوق، أما الأولويات والسياسات فتخضع لقرارات مجلس الإدارة.

ان دعم الجهات الشريكة فنيا حول أسس العمليات والمتطلبات سيمنع الهدر والفساد.

صياغة دليل عمليات تشغيلي واسترشادي لضمانة سلاسة العمل.

مبادئ ومهام أخرى كثيرة سيتضمنها النظام الأساسي واللوائح التنفيذية.

الشكل 1

آليات عمل الصندوق الوطني لإعمار سورية

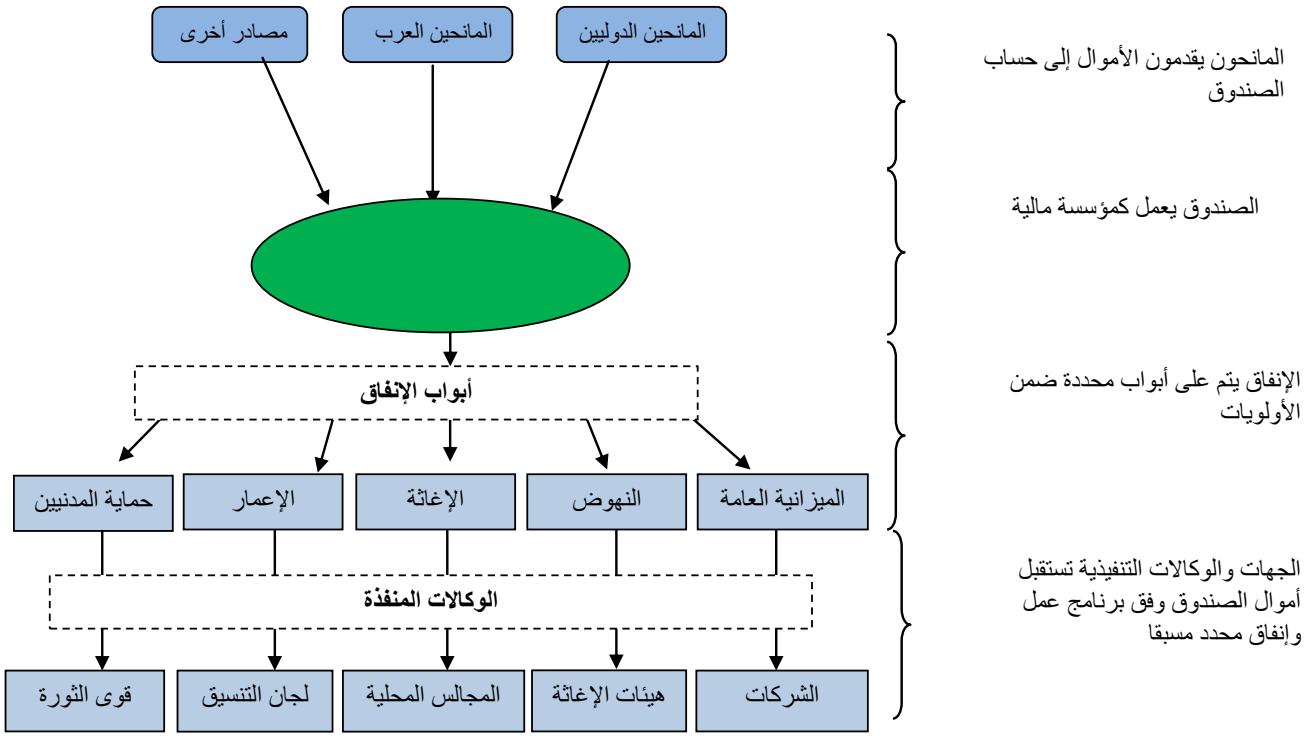

المرونة في الاستعمالات:

عندما تكون مصادر التمويل موارد الميزانية الذاتية فإن المؤسسة لديها القدرة على تحريك هذه الأموال إلى الاستعمالات التي تراها الحكومة مناسبة، وفق أولوياتها السياسية والاقتصادية. أما في حالة الصندوق الوطني لإعمار سورية فان هذه المرونة محدودة، وربما غير موجودة في اغلب البنود بسبب اشتراطات المانحين المعتادة. ولهذا فانه يمكننا إجراء تخمين أولي لقيمة المبالغ المتاحة ذات المرونة المناسبة لتوجهات الثورة السورية، وكذلك تلك المبالغ التي تخضع مسبقا لرغبات الممولين أو المانحين.

ويمكن توزيع الأموال وفق التصنيف المعتاد دوليا كما يلي:

الأموال المرنة:

تبلغ قيمة الأموال المرنة بحدود 2400 مليون دولار. وهي الأموال المحصلة من القروض السيادية، ومن سندات الدين، والصكوك الإسلامية، وحصيلة الأموال المجمدة للنظام، والتبرعات الصريحة من المغتربين والأفراد. وهي أموال بحكم أنها التزامات غير مستردة وغير مشروطة أو واجبة السداد فقد أصبحت بمثابة أموال خاصة به. وعليه فانه من الطبيعي أن يكون لديه الحق والمرونة لاستخدامها كما يشاء تقريبا.

الأموال المقيدة:

وتبلغ قيمة هذه الأموال نحو 1500 مليون دولار. وهي الأموال التي تأتي على شكل هبات ومنح وتبرعات محددة أو استثمارات موجهة مسبقا تحت إدارة الصندوق. فهي أموال تصرف على الأغلب بمعرفة وربما بموافقة الجهة المانحة أو المتبرعة في مجالات وأنشطة ومشاريع منتقاة مسبقا تتلاءم مع توجهات الجهات المانحة.

وبما أن هذا الصندوق يعمل في ظروف أزمة استثنائية فمن المتوقع أن لايكون التقيد صارما بهذا سواء من قبل الجهات المانحة، أو من قبل الصندوق نفسه. ويوضح الجدول رقم 3 التوزيع الأولي لهذه الموارد حسب المرونة المتوقعة من كل منها.

الصندوق الوطني لإعمار سورية

جدول 3- مرونة الاستعمالات لرأسمال الصندوق

مليون دولار أمريكي

	موارد مرنة أو حرة						موارد مقيدة					إجمالي الأموال
مصدر/ نوع التمويل	قرض سيادي	أموال النظام	سندات دين	صكوك إسلامية	مجموع مرنة		منحة/ هبة	المغتربين والأفراد	أخرى	مجموع مقيدة		
السعودية	300				300		300			300		600
قطر	100				100		100			100		200
الإمارات	100				100		100			100		200
الكويت	100				100		100			100		200
تركيا	200				200		50			50		250
فرنسا	100				100		50			50		150
بريطانيا	50				50		50			50		100
الولايات المتحدة	100				100		50			50		150
ألمانيا	200				200		100			100		300
دول أخرى	100				100		100			100		200
سوق الخليج المالية			100		100					0		100
الأسواق الأمريكية			100		100					0		100
مؤسسات التمويل	50				50		50			50		100
المؤسسات الخيرية				150	150					0		150
المغتربين السوريين					0			150		150		150
أموال النظام المجمدة		500			500					0		500
المناطق المحررة					0				200	200		200
استثمارات خاصة وعامة			150		150				100	100		250
مجموع المصرح به	1,400	500	350	150	2,400		1,050	150	300	1,500		3,900
العجز/ قيد الاكتتاب					0					0		1,100
إجمالي أنواع التمويل	**1,400**	**500**	**350**	**150**	**2,400**		**1,050**	**150**	**300**	**1,500**		**5,000**

السوريون يتداولون الدينار الأردني ويحتفظون بالليرة في جيوبهم

الاردن : محمد الغالب

مع وصول اولى قوافل اللاجئين السوريين من محافظة درعا الحدودية بدأت صدمةُ تقريش الليرة السورية على الدينار الاردني؛ حيث الليرة السورية غير رائجة في اسواق الاردن؛ فيما كان اللاجئين يعتقدون ان ليرتهم اقوى من الدينار الاردني لسبب بسسيط وينم عن فكرة وهمية وخادعة جراء تدفق الاردنيين سابقاً عبر البوابة الجنوبية ومكوثهم في اسواق ومطاعم درعا وشراء غالبية احتياجاتهم المنزلية من اسواقها.

تغيرت المعادلة وبات يحكمها لكل زمن ظروفه التي تحكمه وزاد في سيرة معاناة اللاجئيين السوريين ان اجزاء الدينار الاردني / البريزة / خمسة قروش / والشلن / عشرة قروش تلتهم مدخرات السوريين المتآكلة يوميا بفعل انهيار العملة السورية وغلاء المعيشة في المدن الاردنية التي تُصنّف كثالث مدن العالم في الغلاء.

فيما بعد يعتاد السوريون تداول الدينار وارقامه؛ ومع الايام ستبدو الليرة السورية مغيبة منذ لحظات دخول مخيم الزعتري اول قبلة للاجئ ومحطة وصوله حيث تكثر محلات تصريف العملة وكانها محاولة للخلاص من تركات الليرة وما جلبته على السوريين من آلام خلال ثورتهم وسنواتها الطوال .الدينار بالزعتري يعادل 250 ل س وبحكم غياب الرقابة وافواج الواصلين وما يحملونه يرتفع الدينار أكثر ليصل في بعض الليالي الى /300/ ل س ..

حاول بعض العاملين في سوق صرافة الزعتري والمحلات التجارية مقاومة الانهيار الحاصل لليرة السورية تعبيراً عن الانتماء عبر الاصرار على التداول بالليرة لكن صورة الزعتري كإقامة مؤقتة فرض الخيارات الجديدة.

خارج الزعتري تكتمل صورة الحكاية الأقسى على قلوب السوريين حيث كل العملات في اسواق المدن الاردنية مقبولة ودارجه بحكم قيمتها ويمكن لسائقي التاكسي ان يصرفوا اية عملة اجنبية او خليجية باستثناء ليرة السوريين؛ وهكذا يمضي السوري في تقبُّلِ أن لا خيار أمامه سوى دينار بات العملة الاولى في يومياته بدءا من اجرة بيته وصولا الى التحويلات القادمة او المغادرة الى دعم اهله في سوريا وبينهما ثمة تفاصيل كثيرة تفرض الدينار .

يشير الصحفي نبيل شوفان من حمص الى انه لا خيارات في المسألة فاي بلد تفرض عملتها على مواطنيها وحتى ضيوفها سواء طالت ام قصرت يومياتهم؛ فالاقتصاد لا يعرف ابعادا انسانية قد تغير في حضوره وترخي به الى نهايات غير مرغوبة لافتا الى ان المشكلة ليست في العملة الاردنية بل بانهيارات الليرة السورية المتتالية؛ لافتا الى انه سبق وان جال في بعض الاقطار العربية قبل الثورة السورية ولم يشعر بكل هذا الارتباك الذي يعيشه اليوم؛ اذ يستفيق يوميا على سعر صرف جديد مما يزيد من همومه الفردية في الجانب الاقتصادي ويرخي بهمومه الى مصير مجهول ينتظر سوريا بمجملها وليس بليرتها «.

يتحسس / شوفان / صوت الفراطة في جيبه يخرجها ويرمي بها على طاولة الحديث اجزاء من الدينار الاردني وآخر من الدولار يومئ لعامل المقهى بالحضور ويناوله بعضها فيرسم الاخير علامات رضى يكمل / شوفان / حديثه بالقول :» هل تصدق ان تلك الخردة تجاوزت /300/ ل س وقيمتها هنا اقل من ثمن كأس شاي احمر. مضيفا تخيلات تذهب الى ان احتياطي مصرف سورية المركزي من العملات الأجنبية تراجع من 18 مليار دولار قبل الأزمة إلى نحو 4 مليارات دولار حالياً. بسبب استنزاف خزينة الدولة في تمويل الأعمال العسكرية التي يقوم بها جيش النظام. بالإضافة للعقوبات الدولية التي تم فرضها على المصارف السورية بعد اندلاع الأزمة مضيفا بتنهدة طالت الاجواء الغائمة « كانت اسعار الصرف للدولار بحدود /47/ ل س تحتاج اليوم كل ساعة للسؤال كم سعر الصرف والافضل ان تنسى السؤال لانه متعب وموجع.

وحتى بين السوريين المتواجدين على اراضي المملكة الاردنية يندر التعامل بالليرة السورية اذ يسيطر الدينار على التعاملات اليومية من دين وسداد وشراء وتحويلات قادمة او مغادرة وتتحول سيرة الارتفاعات المتتالية لاسعار الصرف الى مانشيتات الاحاديث .

سهى عبدالله ربة منزل أم لأربعة أطفال.. ترى أن التغيرات الطارئة في تعاملات السوريين مؤقتة بانتظار الفرج القريب مضيفة أن يوميات الحياة اليومية فرضت علينا ذلك فمن غير المقبول الشراء من السوبرماركت بالليرة السورية وحتى اطفالنا نسوا ليرتنا جراء التداول اليومي بالدينار لشراء احتياجاتهم وعلاقاتهم مع ابناء الجوار في السكن والمدرسة «.

بالتعاون مع مركز توثيق الانتهاكات في سوريا

الاسم	هاني قاسم النميري
المحافظة	ريف دمشق
الجنس	ذكر - بالغ
الفئة	غير مدني
إسم الام	حمدة قاسم احمد
العمر	31
الوضع العائلي	متزوج ولديه ثلاثة اولاد
المنطقة	الضمير
المهنه	تاجر
الرقم الوطني	
رقم الهويه	
تاريخ الوفاة	22-05-2011
مكان الوفاة	
سبب الوفاة	اعتقال - تعذيب
الرتبه	الجيش الحر
معلومات اضافيه	بتاريخ 18-5-2011 قامت المخابرات الجوية بمداهمة المزارع المحيطة بالضمير واعتقال العديد من الشبان ومنهم هاني وعندما تم تسليم جثمانه شوهدت عليه آثار تعذيب كبيرة ولا يعرف هل تم اطلاق الرصاص عليه بعد التعذيب او كان مصابا اثناء التعذيب مأدى إلى وفاته/ف-م

صفر.. بالسلوك

لي صديق من كردستان
إلى.. سميح شقير

لقمان ديركي

في صيف 1987 أقامت وزارة الثقافة حفلاً فنياً لسميح شقير وفرقته على مسرح قلعة حلب ضمن فعاليات مهرجان بُصرى . لكن الدعوة لم تكُن تتضمّن إقامةً للفرقة أو لسميح. كانت مجرَّدَ سماحٍ لهذا الفنان بأن يُغنّي على هذا المسرح... كتّر الله خيرهالوزارةوهالنجاح العطّار، المهم.. مالكم بالطويلة، الجمهور كان كبيراً ومُتعطِّشاً لسماع فنانه المفضل الذي لا يظهر على شاشة التلفزيون العربي السوري عادةً، فقد كانت الشاشة الصغيرة مُخصّصة لعصمت رشيد وسمير سمرة وأحمد عبد الكافي وسهام ابراهيم وعيسى مسّوح ومسبحته..إلخ. ما علينا.. كان الجمهور مزيجاً من يساريين وأكراد وفلسطينيين، احتشدوا جلوساً ووقوفاً على مدرج مسرح القلعة، تقاسمنا إقامة سميح والفرقة، شباب الفرقة أقاموا في مخيم النيرب، بينما سميح ووالديه وشقيقته المغنّية سُهير أقاموا في بيتنا بحلب، وانطلقنا إلى القلعة، وبدأت الحفلة.. يا شباب، الجمهور يثور ويفورمع الأغاني، ويطلبون بصوتٍ عالٍ الأغاني التي تُخاطِبُ همومهم، عن السجن والمعتقلين، هيي.. يا سجّاني، يصرخون مطالبين بها، بينما يرمقهم رجال المخابرات بغضب، لكن الأكثر غضباً في الحفلة كان مدير المركز الثقافي بحلب، كان أمنياً أكثرمن الأمن، فهو من النوع اللّي ما بدّه توصاية، وقد حضر الحفلة للسيطرة على الوضع الذي قد ينفلت، فكلُّ الجمهورمن المُعَارِضين للنظام بشكلٍ أو.. بآخر، الجمهور يطلب الأغاني ومدير المركز.. يمتعض، الجمهور يرقص مُتحمِّساً والمدير.. مُتعِض، الجمهور يهتف مع المغني والمدير الثقافي.. يمتعض أكثر فأكثر، كان حضورُه تحت شعار: أربعون عاماً نزداد امتعاضاً . وبدأ الشباب والبنات الكُرد بإرسال الأوراق التي تطلب كلّها أغنية: (لي صديق من كردستان اسمه شفان)، وهي أغنية كتبها سميح بالإشتراك مع الشاعر حسان عزت عن الفنان الكردي شفان وعن النيروز والشعب الكردي التوّاق للحرية، وكان سميح يقرأ الورقة ويضعها على الطاولة بجانبه، لاحظتُ أن هناك خللاً ما.. في الصوت؛ فصعدتُ إلى المسرح وهمست لسميح في أذنه عن الخلل؛ ونزلت وسط نظرات رجال المخابرات الغاضبة، وكأنّ الحفلَ قد أقيم خصيصاً لاستفزاز المخابرات ومدير المركز؛ وفجأة.. غنّى سميح الأغنية المطلوبة: لي صديقٌ من كردستان.. اسمه شفان، فقامت الدنيا ولم تقعد، على المدرج مِن جهة، والكلُّ.. يغنيها: عرباً وكرداً، وحول المدرج من جهة أخرى؛ حتى بدأ رجال الأمن بتحسُّسِ مسدساتهم.

- غنِّ يا شفان غنِّ.. للذي سوف يجيء، يهدر الجمهور..مع سميح، بينما يُرسل مدير المركز واحداً من زبانيته؛ ليهمس في أذن سميح أن يصمت، - اصمت يا سميح.. اصمت، تلكَ كانت رسالة المدير الثقافي، لكن سميح تابع الغناء، فنهض المدير بطقمه وربطة عنقه وصعد إلى المسرح وسحب المايكريفون من أمام سميح، واشتعل المدرج بالغناء، تابع الجمهور الأغنية، وبدأ رجال الأمن بإصدار الأوامر بالصمت، لكن.. لا حياة لِمَن تُنادي، وفي عزّ الهَرَج والمَرَج.. ناداني صديقي السرياني وديع عمسيح وهو من: ديريك، وطلب منّي باللغة الكردية؛ كي لا يفهم مَن هُم حولنا ما يقول؛ أن أهرُبَ فوراً إلى بيته في حيّ السليمانية؛ لأنه سمع رجل أمنٍ يقول لزميله؛ بأنني أنا.. الذي طلب من سميح أن يغنّي هذه الأغنية؛ عندما همستُ في أذنه على المسرح، تحت شعار اللّي بيحبّ النبي.. يخلي؛ عَطيتهَا.. يا شباب، ركضت وبجانبي جانو ابن أخت وديع.. وسط عتمة القلعة؛ نازلينَ أدراجها التاريخية العتيدة، مَرَرنا في طريقنا بِحَبس الدم، قال جانو مشيراً إلى الزنزانة الشهيرة:

- والله ليحطوك بحبس الدم.. إذا كَمَشُوك.

وصلنا إلى حيّ السليمانية وجلسنا في البيت مرعوبين، بعد ساعتين جاء وديع وأعطانا التقريرالتالي: الفرقة صعدت في سيارة تكسي مع حميد برو؛ وذهبوا الى بيت أهله في الشيخ طه، لكن الجمهور ظنّ التكسي للمخابرات فكَسَرَ زجاجها، ودفع الشباب للسائق 2000 ليرة حقّ عطل وضرر، سميح وأهله صاروا في بيتكم بسيف الدولة، اتصلنا من عند أقرب بقّال بالبيت، ردّت أمي: تفووو عليك..تركت سميح لحاله وهربت، ناولت السماعة لوديع كي يشرح لها الوضع.. فرضيَت عنّي، وطلبت مني أن أعود فلا خطر الآن.

عُدنَا، كان شباب الفرقة قد سافروا صباحاً، بينما بقي سميح وأهله عندنا لعدة أيام، وكان الزوار يأتون بالعشرات يومياً لِيُسلّموا عليه، أقصد زُوَّاره اليساريّون والملتزمون؛ ومعظمهم.. يكرهونني كوني غير ملتزم، فكان الزائر منهم يكسر على أنفه بَصَلَة؛ وهو يُصَافِحُني مُجبَراً فقط لِكَوني من أصحاب البيت، فيما كنتُ أتعمّد هيئة الوقار والإلتزام والإيديولوجيا أثناء المصافحة، بل.. والنضال أيضاً، أما كنتُ من أشدّ المطلوبين ليلةَ البارحة ولمدة ساعة.. وبَسّ ؟!!! حق.